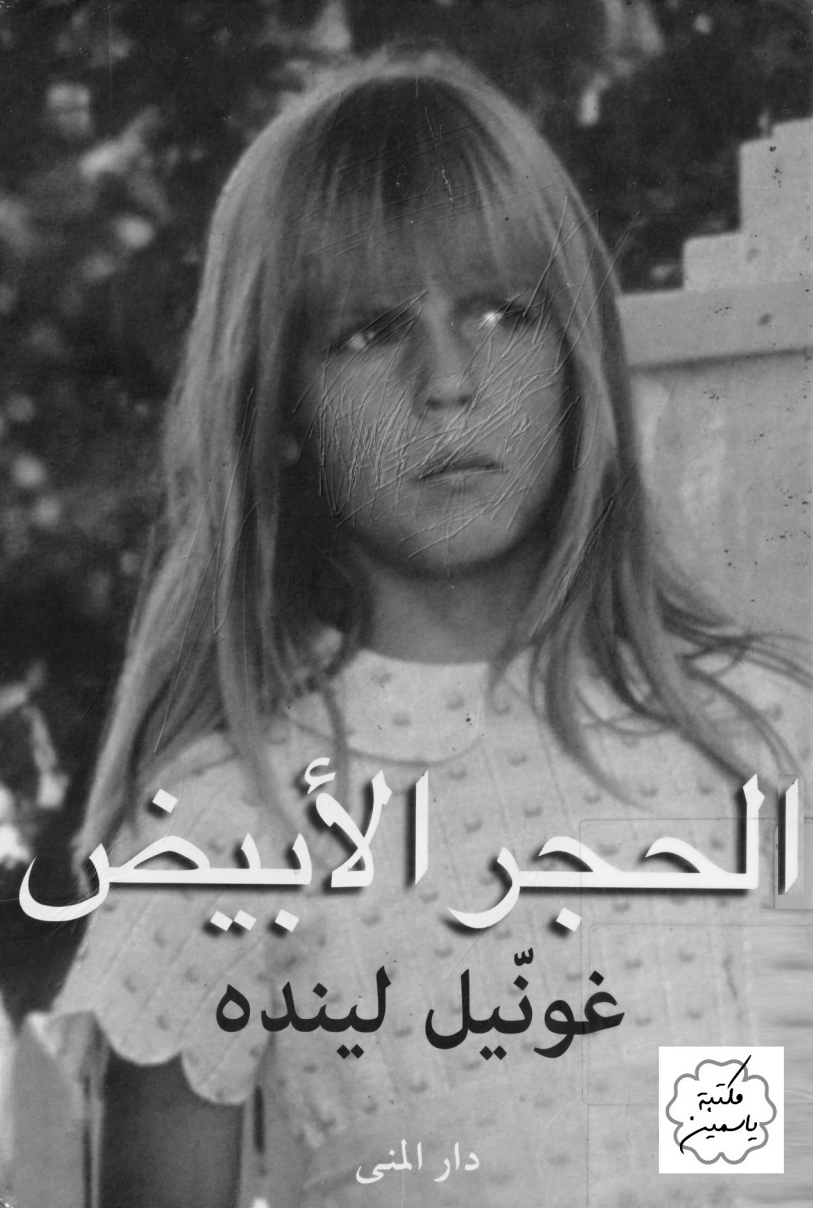

الحجر الأبيض

غونّيل لينده

مكتبة ياسمين

دار المنى

مكتبة ياسمين

هناك نوع من الحجارة البيضاء الملساء التي يحرّضُ جمالُها المرءَ على امتلاكها. كان لدى فِيا حجر من ذلك النوع. ولم تفكّر في منحِه لأحد، إلّا بعد أن التقت بهامْبوس؛ ابن الإسكافي الذي وعدها أن يرسم على ساعة برج الكنيسة عينين وأنفًا وفمًا إن هي فقط أعطته الحجر، وأن يقود أيضًا فيلاً بيديه العاريتين. وهذا ما فعله.

لكن الصعوبات تتوالى من كل حدب وصوب. صعوبات على هيئة مدبّرة منزل ضخمة غاضبة، ومحافظ يتظاهر بالنّوم والشّخير، وأناس آخرين يصعب التّعامل معهم. وفي نهاية المطاف قد تقف الحياة بكاملها ضدّ المرء، إلى حدّ يكاد يجعله يعزف عن المشاركة فيها. لكن سحر الحجر الأبيض يتخطّى العقبات.

رواية الحجر الأبيض حكاية سحرية عن الصّداقة والتّحدي، حازت على جائزة نيلس هولغرسون. وهي واحدة من سلسلة أفضل الكتب؛ اختِيرت باعتبارها من أجود ما نُشِر في النصف الثاني من القرن العشرين، وتتّسم بكونها من الكتب الكلاسيكية المعاصرة التي تمنح جيل الشباب القارئ خبرة غنيّة ذات أثر عميق.

telegram @yasmeenbook

9 789187 333910

دار المنى

غونّيل ليندە

الحجر الأبيض

النصّ العربيّ: راوية مرّة

دار المنى

ISBN 978 91 87333 91 0

Arabic edition © Bokförlaget Dar Al Muna, Stockholm 2018

Text © Gunnel Linde 1964

First published in Swedish by Bonnier Carlsen Bokförlag, Stockholm, Sweden, under the title:

Den vita stenen

Cover picture: Kenneth Thorén / SVT / TT

Typesetting and cover: Joachim Trapp

Published in Arabic by arrangement with Bonnier Rights.

Translation has been sponsored by the Swedish Art Council.

Bokförlaget Dar Al Muna AB
Box 127, 18205 Djursholm, Sweden
www.daralmuna.com

البِدايةُ

يتحَدَّثُ هذا الكتابُ عنْ أشياءَ كثيرةٍ، ما زِلتُ لا أعْرِفُ عَنها شيئاً. أعلمُ فقطْ أَنَّهُ لنْ يَتحدَّثَ عنْ طفلينِ اسمُهُما: «هامْبوس» و«فيا».

فيا طفلةٌ نحيفةٌ جداً، شَعرُها أشعَثُ، والدتُها مُعلِّمةُ موسيقَى. ما من شيءٍ أغْبَى منْ أنْ يكونَ للمرءِ أُمٌّ مِهنَتُها تَعْليمُ الموسيقَى؛ خاصةً إنْ وُلِدَ وتَرعرعَ في قريَةٍ صغيرةٍ لا يحتاجُ فيها أيُّ أحدٍ إلى تعلُّمِ العزفِ... فجَميعُ أطفالِ القريةِ يَضْحَكونَ لِمُجرَّدِ التَّفكيرِ في مُعلِّماتِ الموسيقَى!!

رُبَّما فيا تفضِّل لو أنَّ أُمَّها عبارةٌ عنْ مِلقطٍ للإمْساكِ بِقطعِ السُّكَّرِ، ولكن ما حاجَتُنا لِهذا الملقطِ ما دُمْنا قادرينَ على التقاطِ القطعِ بِأصابِعِنا!؟ أو مِرآةٍ لرؤيةِ الرَّقبَةِ... قولُوا لِي: منْ يحتاجُ للتَّحديقِ في رَقَبَتِهِ بِواسطةِ مِرآةٍ خاصَّةٍ بالرَّقبة؟ أو إلى وِسادةٍ مِنَ الحريرِ اللَّيلَكيِّ؛ تُغطِّيها رَبطاتٌ منَ القماشِ على شكلِ فَراشاتٍ، أو طَاقيَّةٍ للنَّومِ. بِوُسْعِها أيضاً أنْ تُولَدَ لأُمٍّ عِبارةً عنْ ديوانِ شِعرٍ، أو مِسْواكٍ، أو مِروحةٍ يدويَّةٍ.

«كلُّ تلكَ الأشياءِ أَوجَدَها المِقدارُ نفسُهُ منَ الغَبَاءِ» على الأقلِّ هذا ما قالَهُ زُملاءُ فيا في المدرسةِ. لَكنَّ إخفاءَ أيٍّ منْ تِلكَ الأَغْراضِ يظلُّ أَسهلَ على فيا من إخفائِها لأُمِّها؛ فلو أنَّ تِلكَ الوسادةَ الحَريريَّةَ – مثلاً– هي أُمُّها، لَخَبَّأتْها تحتَ سَريرِها. المرآةُ الخاصَّةُ بالرَّقبةِ أيضاً يُمكنُ أَنْ تُخْفِيها داخِلَ أَحدِ الأَدْراجِ. وَتَستطيعُ أَنْ تَغرزَ المِسواكَ في تُرابِ أَصيصِ للزُّهورِ. غيرَ أَنَّ أُمَّها مُعلِّمةُ بيانُو، وَلا حِيلةَ لها في ذلكَ.

الأَطفالُ كُلُّهم يُنادونَ:

فيا – بلينغ – بلونغ – باترشون

وعِندَما يَلعَبونَ لُعبةَ المُربَّعاتِ يقولونَ:

ليسَ مَسموحاً لأَبناءِ عائلةِ بلينغ بلونغ المُشاركة في هذه اللعبة!

وقالتْ بريتا صاحبةُ الجَدائلِ:

تقول العَمَّةُ مالين الَّتي تعمل في بيتِ المحافظِ: «إنَّه ليسَ لأُمِّكِ أَيُّ نفعٍ في هذا الكونِ!»

لا أُريدُ أُمّاً سِواها.

قالتْ فيا. وكانتْ فِعْلاً تَعنِي ما تقولُ.

جلُّ ما تُريدُ هوَ أَنْ تَتزوَّجَ أُمُّها المحافظَ، أَو أَنْ تَعملَ في دُكَّانِ القريةِ، وتُهديَ الأَطفالَ قِطعةً منَ الحَلوى على «البَيعةِ» حينَ يأتونَ لِشراءِ شيءٍ ما، كي تتمكَّنَ مِنَ المُشاركةِ في لُعْبةِ المُربَّعاتِ.

– اذْهبي إلى بيتِكم، واعزُفِي البيانُو قَليلاً، يا حَضْرةَ فيا المغرورة!

قالتْ بريتا صاحبةُ الجدائلِ، فضَحِكَ الجميعُ مُجدَّداً.

تقول والدةُ فيا:

يجبُ على المرءِ أنْ يتجاهلَ منْ يُحاولونَ إغاظَتهُ، وأنْ يعاملَهم بلطفٍ لا بِمثلِ معاملتهم. هكذا يَمَلُّونَ ويَكُفُّونَ عنْ فِعْلِ ذلكَ.

لكنَّ ذلك لا يَنْطبقُ على الأطفالِ في مدرسة فيا، ولا يَنفعُ أيضاً مع العَمَّةِ مالين؛ مُدبِّرةِ مَنزِلِ المحافظِ. فمالين تُغيظُ والدة فيا كُلّ يوم، وتقولُ إنَّها تُخرِّبُ أغراضَ المحافظِ، وإنَّ فيا تَجْلبُ المتاعبَ، وإنَّهما (الأمَّ وابنتَها) كانتا السَّببَ في ضياعِ مقبضِ درابزين السُّلَّمِ في بيتِ المحافظِ.

تَسكنُ فيا في جناحٍ جَانبيٍّ منَ البيتِ. بيتُ المحافظِ ضخمٌ إلى حدٍّ يَجْعلُ المرءَ يَشعُرُ بِالخوفِ عِندَ رؤيَتِهِ. يَقعُ البيتُ خَلفَ أَجْملِ بوَّاباتِ العالمِ، والأشجارُ داخلَ أسْوارِهِ عاليةٌ، جَبَّارةٌ، مكتملةُ النُّموِّ، وإحْدَى تلك الأشجارِ تُشبِهُ العَمَّةَ مالين وهيَ تَجْلِسُ عِنْدَ المَاشِطَةِ. أخذَتْ فيا مِريَلةَ العَمَّةِ مالين مَرَّةً، وَرَبَطتْها حَولَ الشَّجرةِ، لكنَّ أمَّها قالتْ إنَّهُ مِنَ الأفضلِ ألّا تُثيرَ فيا حَنقَ العَمَّةِ مالين؛ فتُضْطرَّانِ معاً إلى الانتِقالِ منَ المنزلِ. لمْ يَكنْ مَسموحاً لفيا بالسَّيرِ فوقَ العُشبِ في مَنزِلِ المحافظِ، ولا فوقَ المَمَرَّاتِ بعدَ العِنايةِ بِها، وَتَمشِيطِ حصَاها؛ هذه الأعمال التي تحدثُ بشكلٍ يوميٍّ. كما لمْ يُسْمَحْ لَها بِرمي الكرة بِاتِّجاهِ الحائِطِ. طَبعاً لَمْ يُسمحْ لَها! لَكنْ لَمْ يَمنعْها أحدٌ منَ الوقوفِ عِندَ البوَّابَةِ لِتَنظُرَ إلى الخارجِ، إذْ لا يستَطيعُ أحدٌ أنْ يدَّعيَ أنَّها تَتَسبَّبُ في أيِّ نَوعٍ مِنَ

الأذى عِندما تَفعَلُ ذَلِكَ. ترى فيا أَحياناً أنَّ كُلَّ شيءٍ سَيكونُ أفضلَ لو أنَّها أكْبَرُ وأقْوَى، فَتَتَمكَّن مِنْ شَدِّ بريتا مِنْ جَدائِلِها، أو لو أنَّها جَميلةٌ حقاً كَإِحْدى بَناتِ الصَّفِ الأعلى مِنْ صفِّها، لَكنَّها ليست كَذلكَ. كَانتْ قَبيحةً في نَظَرِ نَفسِها، فتغتاظ وتَلكُمُ وجهَها فوقَ الأنفِ كُلَّما تَأمَّلتْ صورتَها في المِرآةِ. لِهذا تَقفُ عندَ البَوَّابةِ، وَتَنْظُرُ إلى الخارِجِ. ليستْ هناك –في كلِّ ما سبق– أحداثٌ كافيةٌ لكتابةِ كِتابٍ.

وَلَنْ يَتحدَّثَ الكتابُ عَنْ هامبوس أيضاً. فهوَ في الحَقيقةِ أكْبَرُ مِنْ فيا قَليلاً، لَكنَّهُ لَيسَ كَبيراً إلى دَرَجَةٍ تَجعلُنا نُعلِّقُ عَلى الأمرِ. هامبوس هو الولدُ الَّذي يَسكُنُ عِندَ الإِسْكافيِّ الجديدِ.

الإِسْكافيُّ الجديدُ لَمْ يَحلِقْ ذَقنَه قطُّ، وَلَه إِبْهامٌ واحدٌ بَدلاً مِن اثنينِ، وَلمْ يَبدُ شَكلُهُ جديداً على الإطلاقِ. لَكنَّهُ يُدعَى بالإسكافيِّ الجديدِ أينَما حَلَّ، لأنَّهُ ينتَقِلُ مِنْ قَريةٍ إلى أُخْرى كُلَّما مَرَّتْ نِصفُ سنةٍ. وهكذا لَمْ يَجدْ أحدٌ مُتَّسعاً مِنَ الوقتِ لِكي يَعْتادَ وجودَهُ. وكُلَّما انْتَقلَ يَنتَقِلُ مَعَهُ أطْفالُهُ السِّتُ، وبالطَّبع هامبوس أيضاً، لأنَّه الابْنُ اليتيمُ لِأخِ الإِسْكافيِّ.

لقدْ زارَ هامبوس أماكنَ كثيرةً؛ إذ تواجدَ في مناطقَ مثلَ: إيسلوف، وأوديسهوغ، ونودينغرو، وإيتربودا. يَسْكُنُ أحياناً فيلَّةً قَديمةً أصابَ الخَرابُ سَقفَها الدَّاخليَّ بِفعلِ المَطرِ، أو في كوخٍ تَدخلُهُ الفئرانُ ليلاً مِنَ المجاري بَحثاً عَنِ الطَّعامِ في سلَّةِ النِّفاياتِ. لَكنَّ حَالَ المسْكنِ يَفقِدُ أهمِّيَّتهُ طَالَمَا أنَّ سُكَّانَهُ – دَائماً– على وَشكِ الرَّحيلِ...

لَمْ أطلبْ السّكنَ في هذا المَكانِ. بهذا يجيبُ الإسْكافيُّ كُلَّما تَذمَّرتْ زوجَتُهُ مِنْ شَيءٍ، قبل أنْ يضيفَ: تَوقَّفِي عَنِ الشّكوى وإلّا سَننتَقلُ ثانيةً!!

وبعدَ شَهرينِ آنَ الأوانُ. لَمْ يكنْ لدى هامبوس مَانِعٌ مِنَ الانتقالِ. لَمْ يَشْعرْ بالحَنينِ لِأيِّ مكانٍ مِنْ تلكَ الأماكنِ، لأنَّهُ يجدُ دائماً مُتَّسَعاً مِنَ الوقتِ للقيامِ بِتَصَرُّفاتِهِ المَجْنونةِ في كُلِ مَكانٍ قَبلَ مُغادرَتِهِ. فَفي مِنطَقةِ نودينغرو؛ رَمَى قُبَّعاتِ أبْناءِ القِسيسِ جَميعاً إلى أعْلى، فَتَعلَّقَت فوقَ إحدى الأشجارِ. ثَلاثُ قُبَّعاتٍ؛ واحِدةٌ خَضراءُ، وَأُخْرى حَمْراءُ، وَالثَّالثةُ لَها شَرابةٌ مَنَ الصُّوفِ. ولَمْ يَنجحْ أحدٌ في إنْزالِ القُبَّعةِ ذاتِ الشَّرابةِ مِنْ على الشَّجرةِ. وفي منطَقةِ إيسلوف لَعِبَ لُعبةَ السَّيرِ فَوقَ الجَليدِ، لكنَّهُ مشَى فَوقَ الغرفِ الزُّجاجيَّةِ في حَديقةِ البُستانيِّ، مُحَطِّماً بذلك عَدداً مِنَ الألواحِ الزُّجاجيَّةِ. وَأصَرَّ في منطَقةِ إيتربودا على إنقاذِ قِطَّةٍ غَبيَّةٍ عَلِقتْ في شَبكةٍ رَقيقةٍ لِصيدِ السَّمكِ؛ مِمَّا أدَّى إلى تَمَزُّقِ الشَّبكةِ طبعاً. ومنَ الأفضل ألَّا نَتحدَّثَ عمَّا فَعَلَ في أوديسهوغ...

– إنَّكَ تَفعلُ ذلكَ عَمْداً! أنتَ لَئيمٌ إلى حَدٍّ يَجْعلُ الملائِكةَ تَجهَشُ بِالبُكاءِ. كانتْ زوجةُ الإسكافيِّ تقولُ لَهُ...

– ماذا يَهمُّنِي مِنْ أمرِ مُحتَرِفِي النُّواحِ! يُجيبُ هامبوس الَّذي قدْ فَسدَ تماماً.

هامبوس لَئيمٌ دائِماً، واعتادَ على أنْ يَجدَ نفسَهُ في عِراكٍ في كلِّ

مكانٍ جديدٍ يَنتقلُ إليهِ. وجبَ عليهِ أنْ يُسرِعَ؛ لكي يُثبِتَ أنَّهُ أقوَى أطفالِ المنطِقةِ، قَبلَ أنْ يَحينَ أوانُ الانتِقالِ ثانيةً. وَكلَّما بَدأ النَّاسُ يَتقبَّلُونَهُ في مَكانٍ ما، رأيْتَه يُشمِّرُ عنْ ساعِديهِ، وَيبدأُ مُجدَّداً في المَكانِ التَّالي.

تظاهرَ دائماً بِأنَّ هُناكَ شَيئاً آخرَ عليهِ إنجازُهُ؛ لِكي يُحدِثَ ما يَكسرُ رَتابةَ الأشياءِ: قد يَتَظاهَرُ بأنَّ عليهِ أنْ يحصُلَ على عَلامةٍ في الحِسابِ مَثلاً، أو أنْ يرمِيَ جَميعَ الحِجارةِ الصَّغيرةِ عندَ سُلَّمِ الإسكافيِّ. وفي كُلِّ مَرَّةٍ كانتِ النَّتائجُ كما نَستطيعُ أنْ نَتخيَّلَها، والأمرُ ذاتُهُ يَتكرَّرُ دائماً. والحَديثُ عَنِ الأُمورِ المُتشابِهةِ يُؤدِّي إلى المَللِ، لذلك لنْ أَتَحدَّثَ عَنْ هامبوس.

رُبَّما أَستَطيعُ أنْ أَتَحدَّثَ عَنِ اليومِ المُميَّزِ الَّذي وَصلَ فيهِ هامبوس إلى القريةِ الَّتي تَسْكُنُها فيا.

يَومُ العجَائبِ

كانَ يوماً صَيفيّاً جميلاً عظيماً، تَعلَّقتْ فيهِ تيجانٌ مَنْ نورِ الشَّمسِ فَوقَ الشَّجرِ، وأَشَعَّ فيهِ الدِّفءُ بَريقاً عندَ جُدرانِ البيوتِ كُلِّها. لَمْ يَتبقَّ على بَدءِ الدِّراسةِ سِوى أُسبوعٍ واحدٍ فقط، وبهذا صارتْ أيَّامُ الإجازةِ الصيفيَّةِ مَعدودةً. عند مدخلِ بوَّابةِ بيتِ المحافظِ وَقفتْ فيا تنْظرُ إلى الخارجِ كَعادتِها، بِكاملِ قُبْحِها. وَقَفتْ تَنتَظِرُ أنْ يأتيَ أحدٌ ما ويُضايقَها، لكنَّ الغريبَ في الأمرِ أنَّها تبدو دائماً في غايةِ الجمالِ، دونَ أنْ تَعلمَ ذلكَ.

امتدَّ ظِلُّ الشَّجرةِ الَّتي وقفَتْ تَحتَها كَظلِّ يدٍ امتدَّتْ لِتحمِيَ رأسَها. وبَدَا فُستانُها الأبيضُ الَّذي خِيطَ مِنْ قماشِ تَنُّورةٍ داخليَّةٍ قَديمةٍ وكأنَّهُ ثَوْبُ أميرةٍ؛ ثَوْبُ أميرةٍ مِنْ ذَلكَ النَّمطِ المُميَّزِ الَّذي لا تَتحلَّى بِهِ سِوى مَلِكاتٍ صَغيراتٍ نَحيفاتٍ مِنْ أرضِ مِصْرَ. وأمَّا انْعكاسُ الشَّمسِ مِنْ قبْضةِ بوَّابةِ بيتِ المحافظِ على الفُستانِ؛ فقد أنارَهُ حتَّى خُيِّلَ للناظرِ، وكأنَّهُ حِلْيَةٌ مِنَ الذَّهبِ. رأت ذَلك الصَّبيَّ الغريبَ الَّذي خَرجَ مِنْ بَيتِ الإسكافيِّ في الجهةِ المُقابِلةِ لبيتِ المحافظِ. سارَ في الطَّريقِ كأنَّهُ

مُلكُهُ، وتَوقَّفَ ثُمَّ التقطَ بينَ أصابعِ قَدميهِ بعضَ روْثِ الخَيلِ؛ لكِي يُعطيَ العمَّاتِ المُفرِطاتِ في حُبِّ النَّظافةِ سَبَباً كافياً للتَّذمُّرِ، ثُمَّ أخْرجَ قطعة حجرٍ مكوَّرةٍ مِنْ جَيبِهِ، وَرماها إلى أعلَى شَجراتِ البتولا في حَديقةِ بَيتِ الإسكافيِّ. سُمِعَ صوْتُ حفيفٍ في الشَّجرةِ مع اخْتفاءِ الكُرةِ الحَجَريَّةِ عنِ الأنظارِ، وَكأنَّ الشَّجرةَ أُصيبتْ بِالقشْعريرةِ. سَارَ الولدُ بعدَ ذلكَ باتِّجاهِ بوَّابةِ بَيتِ المحافظِ مُباشرةً.

لم تبْرَحْ فيا مكانَها. إن كانَ لا بُدّ مِنْ تعرُّضِها لِلمُضَايقةِ فلا بأس، لتجْعلْ نفسَها عُرضةً لِمُضايقةِ إنسانٍ غَريبٍ... لا ضَيرَ في التَّغييرِ. ثُمَّ إنَّها رأتْ أنَّهُ ولدٌ غاضبٌ وسيمٌ، والمُضايَقاتُ الَّتي تأتِي مِنْ ناحيتِهِ تُعتبرُ بِمثابةِ شَرفٍ لها. لذلكَ لمْ تَتَزحْزحْ منْ مَكانِها قيْدَ أُنمُلةٍ.

– لماذا تَقِفينَ هُنا؟ سألَ الولد.

لمْ تُجبْهُ فيا.

– مَنْ هُمْ سُكَّانُ هذهِ المَدينة الفضلاء؟... أجَل، مُجرَّدُ بقايا محافظٍ مُسنٍّ. قالَ وهوَ يَنظرُ إلى اللَّافتةِ المُعلَّقةِ عندَ البوَّابةِ.

لَمْ تُجبْهُ فيا هذهِ المرَّة أيضاً.

– هل المحافظُ والدُكِ؟ سألَها.

هزَّتْ بِرأسِها نفْياً. عندَها رَكلَ الولدُ لافتةَ البوَّابةِ.

– هل يَعملُ المحافظُ بوَّاباً عِندَكم يا تُرى؟

لم يكنْ بِمقدورِ فيا الامتناعُ عَنِ الضّحكِ. يا لَها مِنْ فِكرةٍ! لو صَحَّتْ لكانَ بِمقدورِها أنْ تَستخدِمَ العمّةَ مالين كَكرسيٍّ للقدمَينِ،

تَقفُ عليها إن احتاجَتْ أنْ تُحْضِرَ شيئاً ما مِنْ مكانٍ عالٍ، كالحَلوياتِ مَثلاً! وقف الولد عندها صامتاً، وراحَ يُحدِّقُ فيها. نَظرَ إليها طَويلاً، طَويلاً جدّاً، فلم تجدْ بدّاً من أنْ تَنظُرَ إليهِ هيَ أيضاً. سارتْ خطوةً واحدةً باتِّجاهِ المَنزلِ، ومدَّتْ يدَها إلى جَيْبِها بَحْثاً عَنِ الحَجَرِ الأبيضِ الَّذي تَحتَفِظُ بِهِ هناكَ.

– ابْقَيْ هُنا. قالَ الولدُ. تعالَيْ!

مَدَّ ذِراعيهِ عبرَ قُضْبانِ البوَّابةِ مُحاولاً الإمْساكَ بِها، لكنَّهُ لمْ يَظْفرْ بِلَمْسِها.

– اقْتَرِبي قَليلاً، أُريدُ أنْ ألمَسَكِ فقطْ!

اقْتَرَبَتْ مِنْهُ قليلاً لكنَّها لمْ تَكنْ تنوي السماحَ لهُ بلمسهَا.

– اقتربِي خُطوةً أُخرى! خُطوةً صغيرةً فقطْ! نَقلتْ قَدمَيْها باتِّجاهِهِ مسافةً صغيرةً يَصْعُبُ عليه مُلاحظتُها.

– بِضعَ خُطواتٍ أُخرى... لنْ أتمَكَّنْ مِنَ الإمْساكِ بِكِ هكذا مَهما حاولتُ!

خَطَتْ فيا خُطوةً واحدةً إضافيَّةً.

عندئذٍ أسرَعَ الولدُ باتِّجاهِها، ورمَى بِجسدِهِ نحوَ البوَّابةِ، مادّاً ذِراعيهِ من خلالِ قُضبانِها الحَديديَّةِ، ثُمَّ أمْسَكَ بثيابِها. سَحبَها إلى أنْ صارتْ بِقُربِهِ تماماً، وظَلَّ مُمْسِكاً بيدِها. اليدِ الَّتي في قَبضتِها الحَجرُ الأبْيضُ. أخْرجَ يدَها مِنَ الجَيبِ، فَتحَ أصابِعَها عنوةً، وأخذَ منْها الحَجر.

– لا تفعلْ هذا! صاحت.

– بل سَأفعلُ ما يَحلو لي. قالَ الولدُ.

– هذا الحَجرُ لِي.

– إنَّهُ مُجرَّدُ حجرٍ!

– إنَّهُ أجملُ الحجارةِ، إنَّهُ حَجَرُ مُواساتِي! الحَجَرُ الأنعَمُ مَلْمَساً، والألطفُ في الوجودِ... أَعِدْهُ لي.

عاودَ النَّظرَ إليها بِتلكَ الطَّريقةِ ثانيةً. وشَعرتْ فيا حينها بأنَّ أمراً جديداً قد طَرأَ عليها اليومَ. انتابَتْها الرَّغْبةُ في أنْ تكونَ حيواناً بريّاً، وبَحْرَ دُموعٍ، وأميرةً مَسحورةً دُفعةً واحدةً. هزَّتِ البوَّابَةَ بِعُنفٍ، عضَّتْ يَدَهُ، غَطَّتْ وجْهَها بِذراعِها، وذَرَفتْ دُمُوعاً حقيقيَّةً، وابْتسمتْ خلفَ خُصلاتِ شَعرِها الَّتي لمْ تستطعْ إزاحتَها عنْ وجهِها؛ لأنَّهُ يُمسكُ بِذراعَيْها. عندئذٍ فتحَ الولدُ يدَهُ وناولَها الحَجَرَ. ثُمَّ أخذا يتأمَّلانِه معاً.

– ما اسمُكِ؟ سألَها.

– اسمي... فيديلي. قالتْ فيا. ليسَ مسمُوحاً لي أنْ أُفصِحَ عنِ اسمِ أُمِّي واسمِ أبي لأحدٍ... إنَّها مِنَ الأسْرارِ. ما اسمُكَ أنتَ؟

اسْتدارَ باتِّجاهِ بَيتِ الإسكافيِّ، وكأنَّهُ لا يَنوى الإجابةَ عن سؤالِها، ومرادُهُ فقطْ التَّحَقُّقُ منْ أمْرِ الضَّجَّةِ الَّتي سَمِعَها مِنْ هُناكَ. اقْتربتْ خَلفَهُ أرْبعُ عرباتِ سيركٍ في طريقِها إلى باحةِ الاحتفالاتِ عندَ السَّاحةِ الكبيرةِ. أُلصقَت على بوابةِ إحدَى العرباتِ، صورةٌ لِرجلٍ يَرتَدي ثياباً مِنْ جِلدِ الفَهدِ. كُتِبَ على المُلصَقِ عبارةُ «مَلِكُ المخاطرِ».

– ذَلكَ هوَ اسمِي؛ ملك المخاطر. قالَ هامبوس. هَكذا أُدْعَى. ثُمَّ

راحا يَتأمَّلانِ الحَجَرَ ثانيةً.

– لو رَسَمتُ عينَينِ وَأنفاً وَفماً على السَّاعةِ الموجودةِ في أعلى برجِ الكَنيسةِ، هل ستُعطينَنِي الحَجَرَ مُقابلَ ذَلك؟ سألَ مَلِكُ المَخاطِرِ.

– نَعمْ، سَأعْطيكَ إيَّاهُ. قالتْ فيديلي، وراحتْ تَعدو مُبتعدةً عَنِ البوَّابةِ، على قَدميْها المَسْحورَتين.

والآنَ سَيروي لَنا هذا الكِتابُ حِكايةَ مَلكِ المَخاطِرِ وفيديلي.

بِدايةُ الإنجازِ الأوّلِ لِملكِ المخاطِرِ

عندَما عادَ ملكُ المَخاطِرِ مِنْ جِوارِ بَوَّابةِ بَيتِ المحافِظِ، تَوقَّفَ في الطَّريقِ عِندَ المَكانِ الَّذي رأى فيهِ رَوْثَ الخيلِ. اِنْتَابَهُ شعورٌ غَريبٌ، وأرادَ أنْ يَعرِفَ ما الَّذي أصابَهُ. غَير أنَّ ما أصابَهُ ليسَ أمراً خَطيراً. كُلُّ ما في الأمرِ هوَ أنَّهُ يَشعرُ بِالفرحِ؛ الفرحِ في داخله، وَالقوَّةِ في رُكْبَتيهِ، والخَدَرِ في يديهِ، وكلُّ ذلكَ دُفعةً واحدةً. شُعورٌ يُشْبِهُ التَّوفيقَ في نَفْخِ فُقَّاعاتِ الصَّابونِ. شيءٌ رائعُ الجَمالِ، يَتلألأُ ثُمَّ يَنمو وَيكْبُرُ، ويَنتابُ المرءَ شعورٌ بِأنَّهُ سَينجحُ في نَفخِ أكبرِ فُقَّاعَةِ صابونٍ ظَهرتْ في الوجودِ.

نَزعَ هامبوس قَشَّةً مِنْ عُشبِ الطَّريقِ، وراحَ يَنفُخُ الهواءَ مِنْ خِلالِها حتَّى كادتْ أنفاسُهُ تنْقطِعُ. سَتكونُ هذهِ أفضلَ المغامراتِ الَّتي اعتادَ أنْ يَخْترعَها لِنفسِهِ، لكن عليه أنْ يَتوخّى الحَذرَ. بَصَقَ القشَّةَ مِنْ فَمِهَ إلى أعلى، وَراحَ يَجولُ بِنظرِهِ باحثاً عَنْ أولادِ الإسكافيِّ في حَديقةِ البيتِ، مُتسائلاً إنْ كانوا يَرَونَ مِنْ أينَ يَعُودُ هو الآنَ، لكنَّهُم كانوا جميعاً داخلَ المَنزلِ. ثُمَّ اسْتدارَ ونَظرَ باحثاً عَنِ البنتِ الَّتي اختفتْ، فيديلي. لمْ يَتبقَّ في المكانِ سِوى انْعكاسِ أشعَّةِ الشَّمسِ على قَبْضةِ

البَوّابةِ. تَسلَّلَ بعدَ ذلكَ عَبر بوَّابةِ بَيتِ الإسكافيِّ، وَدخَلَ إلى الحَديقةِ.

لا يَنوي مَلِكُ المَخاطِرِ تَغييرَ مَلامِحِ وَجهِ السَّاعةِ في بُرجِ الكَنيسةِ قَبلَ حُلولِ المَساءِ. عليهِ أنْ يرتاحَ خِلالَ النَّهارِ اسْتعداداً للمَصاعِبِ القادمةِ. تَمدّدَ في بِدايةِ الأَمْرِ على العُشبِ ناظراً إلى «نانا» و«سيري»، وهما يَتشاجرانِ حول اسْتخدامِ مِكْبَسِ مضَخَّةِ ماءِ البئْرِ كأُرجوحةٍ، لكنَّ زَوجةَ الإسكافيِّ خَرجَتْ مِنَ المَنزِلِ، وراحتْ تَصرخُ فيه:

– إنْ تَسبَّبَ ذَلكَ اللَّعِبُ بموتِهما فالذَّنبُ ذَنبُكَ. كيفَ تَسمحُ لَهمَا بِلُعبةٍ خَطيرةٍ مِثلِ هذهِ!؟

تَسلَّقَ بَعدَ ذَلكَ إحدى الأشجارِ لِيرتاحَ قليلاً، جاعلاً قدميهِ العاريتين تَتَدلَّيانِ لِتمرّ الرِّيحُ منْ بينِ أصابعِ قَدميهِ الَّتي تُعانِي مِنْ جَفافِ الجلدِ. عِندَما شَعرَ أنَّ أصابعَ قدميهِ غُسِلتْ في الرِّيحِ، وصارتْ نَظيفةً مُنتعِشةً، سارَ باتِّجاهِ الدُّكَّانِ، وَوَقَف سانِداً ظَهْرَهُ إلى أحدِ الجُدرانِ الخارجيَّةِ، طَلباً للراحةِ.

لَمْ يكنْ لَديهِ رغبةٌ في رؤيَةِ أحدِ مالِكِي الأشجارِ يأتِي لِيطْردَهُ مِنَ على الشَّجَرةِ ويُقلِقَ راحتَهُ. أرادَ أنْ يُمضِيَ يومَ عُطلتِهِ بِهدوءٍ وسَكينةٍ. يومَ العُطلةِ الطَّويلَ الَّذي لا يَعرفُ المُستحيلَ، نَظراً لِما سَيحدُثُ في المساءِ. أحياناً فقطْ خَطَرَتِ البنتُ الَّتي كانتْ تَقفُ عِندَ البَوّابةِ بِبالِهِ بِسرعةِ البَرْقِ، البنتُ الَّتي يُشبِهُ شَعرُها الظِّلَّ، صاحبةُ الحَجَرِ الأبيضِ...

– لماذا تَقفُ هُنا؟ سألَهُ صاحبُ الدُّكَّانِ مِنْ أعلى الدَّرجِ المؤدِّي إلى مَدخلِ الدُّكَّانِ.

– ليسَ هُناكَ سببٌ. أجابَ مَلِكُ المَخاطِرِ تَجَنُّباً لأيِّ نقاشٍ.

ليسَ في نيَّتِهِ الشِّجارُ معَ صاحبِ دُكَّانٍ، لا علاقةَ لهُ بِالمَوضوعِ، لا مَنْ قَريبٍ ولا من بَعيدٍ.

– قُمْ بعملٍ مفيدٍ؛ خُذْ كيسَ البَطاطِسِ هذا، وأسْرِعْ بِهِ إلى بيتِ بلومغرين! لا أريدُ أنْ يَقفَ أطفالٌ مِثلُكَ مُتَّسِخونَ هنا، يَملؤونَ هذا المَكانَ قَذارةً. قالَ صاحبُ الدُّكَّانِ.

– لا أريدُ القيامَ بِذلكَ.

– لا تريدُ القيامَ بِذلكَ؟... ماذا سَتفْعلُ إذن؟

– سَأرتاحُ.

– يا للوقاحة!

– لا، ولكنِّي لمْ أَعِد بِأنْ أعملَ صبيّاً مأموراً هُنا. لمْ أعْرِضْ نَفسي للبيعِ على تُجَّارِ العَبيدِ. قالَ مَلكُ المَخاطِرِ بِقدْرٍ كَبيرٍ مِنَ الحَزمِ.

– هلْ تَعْلمُ أنَّكَ عَديمُ التَّهْذيبِ تَماماً؟ قالَ صاحبُ الدُّكَّانِ. اغرُبْ عَنْ وَجْهِي في الحالِ، وإلَّا سترَى منِّي ما لا يُرْضِيكَ!

قَفزَ مَلكُ المَخاطِرِ فوقَ مَجْرَى الماءِ بِمُحاذاةِ الطَّريقِ، واخْتفَى خَلفَ كومةٍ كبيرةٍ مِنْ نباتِ القُرَّاصِ، مُدْرِكاً أنَّ صاحبَ الدُّكَّانِ سَيكونُ أوَّلَ عَدوٍّ لهُ في هَذهِ القريةِ.

هلْ أنتَ أحدُ أبناءِ الإسكافيِّ الجديد؟ صاحَ أحدُهُم خَلفَهُ.

لكنَّهُ لمْ يكنْ غَبيّاً تماماً لكي يُجيبَ عن سؤالٍ كَهذا.

– لا بُدّ منْ أنْ أعْرِفَ أينَ أستطيعُ أنْ أجِدَكَ. صَرخَ صاحبُ الدُّكَّانِ.

تَسلَّلَ مَلكُ المَخاطِرِ إلى داخلِ حقلٍ مِنَ الجاودارِ، وَجَلسَ على الأرضِ بينَ السَّنابلِ المُصْفَرَّةِ، وَكأنَّهُ في قَفصِ عَصافيرِ الكَناريِّ.

– كالعادةِ، لا بُدَّ من أناسٍ يَخْتلقونَ الشِّجاراتِ مَعِي! وَكالعادةِ هُناكَ رِجالٌ مُسِنّونَ أشرارٌ في كُلِّ مكانٍ! كالعادةِ! لكنْ لنْ يكونَ لهُم مَعِي كلامٌ هَذهِ المَرّة. حينَ أتَّخذُ قراراً ما، سيكون حاسماً ولنْ أتراجَعَ عنهُ. فَكَّرَ الولدُ. يَجبُ أنْ أحصلَ على الحَجَرِ الأبيضِ قَبلَ أنْ ننتَقلَ مِنْ هُنا! الوعدُ وعدٌ، وما قيلَ قيلَ! تَبّاً للشيطانِ، لَنْ أتراجعَ! حَجرٌ ونارٌ، والقلبُ يَنطِقُ بِقَسَمِهِ! قالَ الولدُ لِنفسِهِ بِصوتٍ سَمِعَتْهُ طُيورُ السُّنونو، وظلّ مُستلقياً هُناكَ حتَّى حَلّ المساءُ.

يَعمُّ الضّجيجُ دائماً في المَطبخِ، في بَيتِ الإسكافيِّ عندَما يَحينُ وقتُ النَّومِ.

– يأخذُ «هنينغ» المِخدةَ كلَّها لِنفسِهِ، فلا أجدُ مكاناً أضعُ رأسِي فيهِ، . قالتْ نانا.

– أنا مَنْ سَيتَغَطّى بِبَطّانيةِ الكَيِّ اللَّيلة؛ لأنَّهُ دَوري. صَرخَ توري.

– إيفور تَقْرُصُني تَحتَ اللِّحافِ. صَرخَتْ سيري.

– لِماذا لا نَسكُنُ – ولو لَمَرَّةٍ واحدةٍ– في بَيتٍ كَبيرٍ يَتّسعُ لَنا جميعاً؟ تَساءلتْ زوجةُ الإسكافيِّ. لِماذا يُجْبَرُ الأولادُ دائماً على النَّومِ في أوضاعٍ مُتعاكِسةٍ مِثلَ السَّمكِ في عُلبةِ السَّردينِ؟ ولا يُمكنُنِي أنْ أتخيّلَ كيفَ سَيكونُ الحالُ يومَ يَكْبُرُ لولي وَلا يَعودُ قادراً على النَّومِ في صُنْدوقِ حَطبِ المَوْقدِ. أظنُّ أنَّني سَأفقِدُ عَقلِي قَريباً!

– لمْ يُجبرني أحدٌ على السكنِ هُنا! اصْمُتي وإلَّا سَننتقِلُ مُجدَّداً.

– ها هُما يَبدآنِ مَنْ جَديد. قالَ هنينغ.

لمْ يَسمعْ هامبوس الَّذي تَمددَ فوقَ أريكةِ المَطبخِ ما دارَ حولَهُ؛ لأنَّهُ قد حانَ وقتُ التَّفكيرِ في وضْعِ عينينِ وأنفٍ وفمٍ على وَجْهِ ساعةِ الكنيسةِ. عليهِ أنْ يَجدَ سُلَّماً يَصلُ إلى السَّاعةِ، رُبَّما! أو أنْ يَصعدَ أعلى بُرجِ الكنيسَةِ، ويَجدَ فُتحةً في لوحةِ السَّاعةِ يَمُدُّ منْها ذِراعَه للقيامِ بالمُهمَّةِ. هذا إنْ كانَ هُناكَ فُتحةٌ في لوحَةِ السَّاعةِ. سَيتأكَّدُ مِنْ ذَلكَ حالَما يَعُمُّ الهدوءُ في المَكانِ.

– هيَّا نَمْ! زَأرَ هامبوس في وَجهِ توري، وَدَفعَ بِرأسِهِ إلى الِوسادةِ.

– إيَّاكَ والشِّجارَ يا هامبوس! صَرختْ زوجةُ الإسكافيِّ.

أدارَ عندَها هامبوس وَجَهَهُ إلى الحائِطِ، وأدْخلَ طَرفَيْ سِتارةِ المَطبخِ في أُذُنَيهِ تَحاشياً لِسماعِ البَقيَّةِ. تَظاهرَ بالنَّومِ، وبعدَ بُرْهةٍ خيَّم السُّكونُ على البيتِ. ذَهَبت زوجةُ الإسكافيِّ للنَّومِ هيَ أيضاً. انتَظرَ هامبوس طويلاً، طويلاً، ثُمَّ تَجرَّأَ في نِهايةِ المَطافِ، فرفعَ رأسَه عَنِ الوِسادةِ لِينظُرَ حَولَه. نامتْ سيري على ذِراعِ إيفور في السَّريرِ، كانَ بَطنُها عارياً. وَنام هنينغ، دافعاً بِأنفِهِ إلى زاويةِ الأريكةِ. لنْ يَصحوَ أحدٌ منْهُم بعد بُرهَةٍ وشيكة.

يا لكم من كُسالى وهواةِ نومٍ!، فَكَّرَ هامبوس. ليسَ لديكم أدْنَى فكْرةٍ عَمَّا أنْوي فِعلَهُ اللّيلةَ!

في الغُرفةِ المُجاورةِ تَمددتْ زوجةُ الإسكافيِّ كجبلٍ جاثمٍ تَحتَ غِطاءٍ خِيطَ مِنَ رُقَعِ قماشٍ زرقاء، وراحتْ تَتنفَّسُ بِصوتٍ مَسموعٍ

هيَ أيضاً. لكنَّ الإسكافيَّ لمْ يَغفُ بَعدُ، بلْ تَمدَّدَ في مَكانهِ، وشَرع يَخُطُّ أحرفاً مُزخْرفةً بِإِصْبَعِ السَّاهدِ في الهواءِ كَما يَفعلُ عادةً في المَساءِ قبلَ النَّوم. كتبَ في البدايةِ اسمَهُ ثلاث مرَّاتٍ، ثمَّ كتبَ قَصيدةً مِنْ خَمسةَ عشرَ بيتاً.

– نَمْ يا عمي، هَيَّا! هَمسَ هامبوس.

– نَمْ أنتَ. تَمتَمَ الإسكافيُّ.

لمْ يَقوَ هامبوس على الانتظارِ

– عليَّ أنْ أخرجَ قليلاً. قالَ وخَرجَ مِنْ نافذةِ المطبخِ.

ها هوَ مَلكُ المخاطرِ، وجهاً لوجهٍ معَ بُرْجِ الكنيسةِ. بُرْجِ الكنيسةِ الَّذي يَعلُو فوقَ الأشجارِ وأسْطُحِ بُيوتِ القرية. كانتْ لوحةُ السَّاعةِ مُضيئةً بيضاءَ، وكأنَّها قَمرٌ ثانٍ. رأى الأرقامَ كلَّها، لكنَّهُ لمْ يرَ أيَّةَ فُتحةٍ في اللَّوحةِ.

أخذَ ملكُ المَخاطرِ درَّاجةَ الجارِ، واسْتَقلَّها باتِّجاهِ المَقبَرةِ. لمْ يتَطايرْ حَصَى الطَّريقِ، ولم يسمع له صوتاً. لمْ يُسمعْ سوى حفيفٍ خافتٍ للعُشبِ حينَ تَمايلتْ فوقَهُ الدَّرَّاجةُ وفوقَها هامبوس، كأنَّهُ ظِلٌّ أفْعَى. حَدَّقتْ ساعةُ الكَنيسةِ فيهِ مِنْ عَلِ، خلفَ أغصانٍ كادتْ تُخفِيها، حينَ اقْتربَ منها.

– اِنتَظِري فقطْ حتَّى نقفَ وجْهاً لوجهٍ، وَينظرَ كلٌّ منَّا في عينِ الآخرِ. همسَ ملكُ المَخاطرِ.

مَلِكُ المَخاطِرِ وبُرجُ السَّاعةِ

– قبلَ كُلِّ شيءٍ، عليَّ الصعودُ إلى أعلى بُرجِ الكَنيسةِ. قالَ مَلكُ المَخاطِرِ لِنفسِهِ. تَوقَّفَ عندَ شُجيرةٍ بِالقربِ منْ سُورِ المَقْبرةِ، وَتَركَ الدّرّاجَةَ هُناكَ. تَردّدَ قَليلاً قَبلَ انْ يَخرجَ مِنْ خَلفِ الشُّجيرة.

– ربَّما مِنَ الأفضلِ أنْ أَظْهَرَ بِمظهرِ الشَّبَحِ فيما لوْ قابَلْتُ أحداً في المَقْبَرةِ. فَكَّرَ هامبوس مع نفسه.

كانْ يَرتَدي بيجامتَهُ ذاتَ الخُطوطِ الحَمْراءِ، خاطتْها لَهُ زَوجةُ الإسكافيِّ مَنْ غِطاءٍ لحافٍ قديمٍ. خَلعَ سُتْرَةَ البيجامةِ وَوضعها في المكَانِ المُخَصَّصِ للحُمولَةِ في الجزءِ الخلفيِّ مِنَ الدَّرَّاجةِ، ثُمَّ شمَّرَ عن ساقيهِ إلى أقْصَى حَدٍّ مُمْكنٍ. كانتِ الأرْضُ تَحتَ الشُّجيرةِ رَطْبةً مُغطَّاةً بِالطِّينِ. طَلَى صَدْرَهُ ووجَهَهُ بِالطِّينِ حتَّى صارتْ ضُلوعُهُ رَماديّةَ اللَّونِ، بارزةً. وظَهرتْ دوائرُ داكنةٌ حولَ العينينِ.

– هكذا! أستَطيعُ الآنَ أنْ أضعَ يدي في فَمِي، وأُكَشِّرَ عن أسناني كما يُكشِّر الموتَى إنْ قابلتُ أحداً. فَكّرَ وغادرَ المَكانَ من تحت الشُّجيرةِ.

امتدَّتِ المَقْبَرةُ أمامَهُ كَحديقةٍ ساكِنةٍ تُزيِّنُها الكَثيرُ مِنَ الأزْهارِ الحَديديَّةِ المُصمّمَةِ على هَيئةِ صَليبٍ. تَسَلَّقَ السُّورَ وراحَ يَسيُر فوقَهُ حَولَ المَقبرةِ. كانَ سور المقبرة سهلَ البلوغ، وعَريضاً يَتَّسِع لِمن يمشي فوقَهُ، وتُغَطِّيهِ طَحالِبُ نَّديَّةٌ.

ناعمةٌ ومفيدةٌ للأقْدامِ. قالَ ملكُ المَخاطرِ لِنفسِهِ وهوَ يَسيرُ مُتظاهراً بِأنَّهُ شبحٌ.

تَسلَّلتْ زهورٌ صغيرةٌ بينَ أصابعِ قدميهِ، وبدَتِ الرِّيحُ مَهيبةً مُعتدلةً كَحالِ المَقابرِ. سَطعتِ النُّجومُ حولَ بُرجِ الكَنيسةِ، إلَّا أنَّهُ ما من فتحةٍ في البرجِ، لا منْ جهته الشَّماليَّةِ ولا من جهته الشَّرقيَّةِ. وَصلَ إلى بوَّابةِ المَقبَرةِ الَّتي أعَاقتْ طَريقَهُ، نَزَلَ عَنِ السِّياجِ ثُمّ تَسَلَّقَهُ ثانيةً بعدَما تَخطَّاها. لا وجودَ لفُتحةٍ في البُرجِ مِنَ الجِهةِ الجنوبيَّةِ، ولا في لوحةِ السَّاعةِ ذاتِها، ما من فتحةٍ يَخرجُ منْها قطْعاً.

– غيابُ الفُتحةِ أمْرٌ إيجابيٌّ. هَكذا لنْ أضْطرّ إلى إيقاظِ حارسِ الكَنيسةِ كي اسْتعيرَ منْهُ المِفتاحَ في هذهِ السَّاعةِ المتأخِّرةِ منَ اللَّيلِ. تَمْتمَ مَلكُ المَخاطرِ.

قَفزَ عنِ السِّياجِ، ودفعَ بوَّابَةَ الكَنيسةِ الكَبيرةِ كي يَتأكَّدَ إنْ كانتْ مُقفلةً... لمْ يَصْدُرْ عنْها أدْنَى صريرٍ حينَ حاولَ دَفعَها.

– لو أنَّهم ينْسَون إقفالَها ولو لِمرَّةٍ واحدةٍ، أو ينْسَون المِفتاحَ في قفلِ البوَّابةِ على الأقلِ. قالَ لِمقْبضِ البوَّابةِ.

كانَ مُتأكِّداً مِنْ أنَّ كلَّ شيءٍ سَيتمُّ بِسهولةٍ، لكنّه استغرَب كيف

لم تُتْرَكْ البوَّابةُ مَفتوحةً بِانتظارِهِ. سارَ إلى زاويَة المَبْنَى، وَعانقَ بُرجَ الكَنيسةِ وهوُ يَنظرُ إلى أعلى.

– كيفَ يتصرَّفُ حارسُ الكَنيسَةِ عندَما يضْطرُّ إلى ضَبْطِ السَّاعةِ!؟ هلْ يتسَلَّقُ البُرجَ مِنَ الخارجِ، ويَشُدُّ عقاربَ السَّاعةِ بِيديهِ العاريتينِ!؟

كانَ البرجُ أبيضَ اللَّونِ، خَشِنَ المَلمسِ منَ الخارجِ، ذا زوايا حادَّةٍ. بَدَا وكأنَّهُ يَميلُ فوقَ منْ يقفُ بِالقُربِ منْهُ. خَطَرَ ذلكَ لملكِ المَخاطرِ الَّذي أخذ يَعدُو مُسرِعاً منْ هُناكَ كَقطَّةٍ مَذعورةٍ، حتَّى لا يَسحقَهُ البرجُ فيما لو تداعَى فوقَهُ. ظَلّ يركضُ بينَ القُبورِ، وقَفزَ عالياً مرَّتَيْنِ، ثُمَّ أسرعَ مُجدَّداً، وراحَ يَعدُو عائداً بِاتِّجاهِ البُرجِ. تسلَّق أحدَ جُدرانِهِ محاولاً أنْ يصلَ إلى الأعلى حتى يبلغَ هيكلَ السَّاعةِ. عندَ الخُطوةِ الرَّابعةِ توجَّبَ عَليهِ أنْ يدُورَ وَيقعَ. وجَدَ الأمْرَ مُمْتِعاً لِدرجةٍ جَعلَتْهُ يُعيدُ الكَرَّةَ. راح يَتسلقُ جُدرانَ الكَنيسةِ مِنْ كُلِّ الجهاتِ، وفي كلِّ مَرَّةٍ يقعُ عندَ الخُطوةِ الرَّابعةِ. لنْ يَتمكَّنَ أبَداً منْ رَسْمِ وجهٍ على السَّاعةِ بِهذهِ الطَّريقةِ!

– لا، لا بُدّ منْ أنْ نعملَ بِجِدٍّ. قالَ ملكُ المَخاطرِ، ورَاحَ يَبْحثُ عنْ سُلَّمِ المَطافِئِ.

كانَ السُّلَّمُ خارجَ غُرفةِ المُقدَّساتِ، يَصلُ إلى السَّطحِ الأوّلِ فَقطْ. ليس فيه منَ الأدرَاج ما يَكفي لِصُعودِ البُرجِ.

– إذا أرادَ البُرجُ أنْ يَميلَ برأسِهِ، ويَنظرَ إلى هذهِ النَّاحيةِ سَيكونُ عِندَها أقربَ. قالَ مَلِكُ المَخاطرِ.

خُيِّلَ إليه فَجأةً أنَّ هُناكَ امرأةً مُسنَّةً تَقفُ عندَ السُّورِ، وتَنْظرُ إليهِ. لمْ يعلمْ إنْ كانَ عليه أنْ يَعدوَ هارباً، أو ينْبطحَ فوقَ السَّطحِ مختبئاً، أو يقولَ لَها «مَساءُ الخيرِ.»

– رُبَّما تعتقدُ أنِّي مَجنونٌ وتشْعرُ بِالخوفِ منِّي، أو تَظنُّ أنِّي شَبحٌ وتَشْعرُ بِخوفٍ أكبرَ.

فكَّرَ في أن يَرسُمَ إشارةً في الهواءِ بيديهِ. جَلسَ القُرفُصاءَ، وراحَ يَخدِشُ الهواءَ بِأصابعَ مَعْقوفةٍ، وكأنَّهُ يُمشِّطُ ظلامَ المَقبرةِ. تَمدَّدَ لكي يَسلِبَها كلَّ ما تملكُهُ منْ هُدوءٍ. تَبخْتَرَ وراحَ يَقفزُ مُتسلِّلاً إلى رأسِ السَّطحِ القرْميديِّ. وما لبث حتى فقدَ تَوازُنَهُ وهَوَى إلى أسفلَ. خَدَشَ سَاقيهِ بِحافَّةِ السَّطحِ الحادةِ، ووقعَ على أطْرافِهِ الأربعة داخلَ مكانٍ مُسيَّجٍ صَغيرٍ هوَ قَبْرُ المرْحومِ أولسون؛ صاحبِ العِزبةِ. عندَما رفعَ رأسَهُ بعدَ ذلكَ رأى أنَّ مَنْ يَقفُ هُناكَ ليسَ سيدةً سَمينةً، بلْ هي مِكنسَةُ أرضٍ حَديديَّةٌ تُستخدَمُ عادةً لِجمْعِ أوراقِ الشَّجرِ المُتساقِطةِ على الأرضِ.

– ما كنتُ سَأفعلُ لو كُسِرتْ ساقايّ من أجلِ مِكنسةٍ حَديديَّةٍ!؟

لكنَّهُ لمْ يَكسِرْ ساقيهِ. عندَما بَدأَ يتحرّكُ لاحظَ أنَّهُ سَليمٌ معافًى، وفي تلكَ اللَّحظةِ خَطَرتْ لَهُ فكرةٌ تُمكِّنُهُ منَ الوصولِ إلى ساعةِ البُرجِ.

تَسلَّلَ عائداً إلى الدَّرَّاجةِ بِسرعةٍ. تَوقَّفَ عِندَ حَديقةِ حارسِ الكَنيسةِ، وقَطفَ تُفَّاحاً لمْ يَنضجْ بعدُ. كمْ واحدةً يَحتاجُ يا تُرى؟ عشرَا! كانَ قِطافُ التُّفَّاحِ صعباً؛ لأنَّهُ لمْ ينضجْ بعدُ، ويحتاجُ البقاءَ

على الشَّجرةِ الأمِّ لِفترةٍ أطولَ. لكنْ إذا لوَى المرءُ العِرْقَ الَّذي يَربطُ التُّفَّاحةَ بِالشَّجرةِ بشكلٍ دائريٍّ يُصبِحُ قطْفُها أسهلَ. اهتزَّتِ الأغصانُ، واقْشعرَّتْ أوراقُها كُلَّما شدَّها الولدُ إليهِ.

– آسفٌ يا شجَرتِي الصَّغيرةَ، لا تَغضبِي منِّي! أنا مُجبَرٌ على قَطْفِها، وإلَّا فلنْ أحصلَ على الحَجرِ الأبيضِ. قالَ وحدَّقَ في نافذةِ بيتِ حارسِ الكَنيسةِ المُظلمةِ. يا منْ في الدَّاخلِ، لا تنظرُوا إلى هُنا! هَمسَ الولدُ.

عِنَدما حَصلَ على عشرٍ منْها، وضَعَها في سُتْرةِ البيجاما ورَبَطَها، ثُمَّ رمَى بِجسمِهِ فوقَ الدَّرّاجةِ. عليهِ أنْ يذهبَ إلى الدُّكَّانِ حيثُ رأَى حاويةَ قطرانٍ.

لا زالَ الأمرُ أشبَهَ بِحُلمٍ؛ السَّيرَ في المَقبرةِ، والتَّحايُلَ على بُرجِ السَّاعةِ. لكنْ عندَما فَكَّرَ بِحاويةِ القطْرانِ، صارَ الأمرُ خطيراً جدّاً. مالكُ الحاويةِ هو عَدوُّهُ الأوَّلُ. لمْ يَمكُثْ في القريةِ فترةً كافيةً تَجعلُهُ يعرفُ نِقاطَ التَّسلُّلِ الأنْسبِ، والمَخابِئَ الأفضلِ، فيما لو دَعتِ الحاجةُ. بلْ إنَّهُ لا يعلمُ بِالضَّبْطِ أين موقعُ الدُّكَّانُ الآنَ، وهوَ آتٍ منْ ناحيةِ الكنيسةِ. أهوَ قبلَ مبْنَى المدرسةِ أم منَ الجهةِ الأُخرَى منْهُ؟ ظَنّ أنَّهُ في الجهةِ الأُخرَى.

وجدَ نفسَهُ فجأةً أمامَ الدُّكَّانِ، وكادَ يدخلُ باحتَه بِالدَّرَّاجةِ. قادَ درَّاجتَهُ حولَ المَكانِ، وعادَ إلى حيِّ مُجاورٍ. لمْ يرَ نوراً في أيَّةِ نافذةٍ مِنَ النّوافذِ. عسَى ألَّا يكونَ هناكَ مَنْ يَسْهرُ في الظَّلامِ داخلَ البيتِ

ليتَجَسَّسَ منْ خلفِ سِتارةٍ! وصاحبُ الدُّكَّانِ لا يعلمُ أنَّ في نيَّتِهِ المَجيءَ إلى هُناكَ.

قادَ مَلكُ المَخاطِرِ الدَّرَّاجةَ، وتَركَها خلفَ كَومةٍ منَ الحَطبِ قُرْبَ مبْنَى المدرسةِ، ثُمَّ سارَ بِبُطءٍ عائداً إلى الدُّكَّانِ. وحثَّ الخطا حينما عَبرَ الفُسْحَةَ المُغطَّاةَ بِالحَصَى أمامَ مَحَطَّةِ البَنْزينِ، فالحجارةُ الَّتي غَطَّت الأرضَ هُناكَ لئيمةٌ وحادَّةٌ.

يُريدُ صاحبُها بِالطَبعِ أنْ يتألَّمَ المرءُ إنْ سارَ عاريَ القدمينِ هُنا. فَكَّرَ ملكُ المخاطِرِ.

تَوقَّفَ عندَ زاويةِ البيتِ لاهثاً، يبحث عمَّا يُشعَره بِاحتقارِ الموتِ داخلَهُ. فَكَّرَ مِراراً بِما قالَه له صاحبُ الدُّكَّانِ سابِقاً: «لا أريدُ أنْ يقفَ هُنا أطفالٌ مُتَّسِخون يَملؤونَ المكانَ قَذارةً مثلَكَ... يا للوقاحةِ... هل تعلمُ أنَّكَ قليل الأدب!؟» شَعرَ بعدَ ذلكَ بغضبٍ كافٍ لتَعْتريَهُ رَغبةٌ بِدُخولِ الباحةِ أمامَ الدُّكَّانِ، ليأخذَ حاجتَهُ منْ حاويةِ القَطرانِ. سارَ بلا تَردُّدٍ ماراً بِزاويةِ الدُّكَّانِ وبينَ المخازنِ الخارجيَّةِ التَّابعةِ لَهُ في الباحةِ الخلفيَّةِ، باحثاً عنْ وِعاءٍ يَحملُ فيهِ القَطْرانِ. وجدَ عندَ جدارِ كوخِ الغسيلِ حَجرَ مَجْلخةٍ وتحتَهُ وعاء لِجمعِ ماءِ الجَلخِ. في اللَّحظةِ الَّتي رأى فيها الوعاءَ أدْركَ أنَّهُ وجدَ ما يحتاجَهُ. رفعَ الوعاءَ منَ المكانِ الَّذي عُلِّقَ فيهِ، أفْرَغَهُ من الماءِ، ووضعَ التُّفَّاحَ فيهِ، الواحِدةُ بِجانبِ الأُخرَى على طينِ الجَلخِ الأحْمرِ الَّذي تَجمَّعَ في القَعْرِ. كانَ الوعاءُ ثقيلاً لكنْ ليسَ لدرجةٍ لا يستطيعُ بها حملَهُ. وضَعَهُ فوقَ كَتِفِهِ، وسارَ بِاتِّجاهِ حاويةِ القَطرانِ.

كانتِ الحاويةُ في الباحةِ الأماميَّةِ للدُّكَّانِ تَحتَ نافذةِ السُّلَّمِ. وضعَ الوعاءَ على إحدَى أدراجِ السُّلَّمِ الَّتي وقفَ عليها صاحبُ الدُّكَّانِ سابقاً، وحَملَ حبَّاتِ التُّفَّاحِ واحدةً تلوَ الأُخرى مِنْ عُودِها. غَطَّسَها واحدةً تلوَ الأُخرَى في القَطْرانِ القاتمِ الَّذي غَلَّفَ التُّفَّاحَ وكأنَّهُ مُهلَّبيَّةٌ سوداءُ اللَّونِ. اسْتغرقَ في العملِ، إلَّا أنَّ الوقتَ كانَ كافياً ليتأمَّل جمالَ المشْهدِ، حينَ يُغلِّفُ القَطْرانُ تُفَّاحةً عاريةً تلوَ الأُخرَى. عادَ ووضعَها، الواحدةَ تلوَ الأُخرَى في التَّجويفِ الَّذي تَتركُهُ في ترسُّباتِ قَعْرِ الوِعاءِ. صارَت لديهِ الآنَ تسْعُ تُفَّاحاتٍ سوداءَ اللوْنِ.

عِندَما هَمّ بِالتقاطِ التُّفَّاحةِ العاشِرةِ، رأى صاحبَ الدُّكَّانِ يَقفُ خلفَ النَّافذةِ مُحدِّقاً فيه. لوَى مَلكُ المَخاطرِ وَجْهَهُ في أقبَحِ تَكشيرةٍ اسْتطاعَ اصْطناعَها، بِفعلِ الذُّعرِ واللُّؤمِ. فإذا تمَّ افْتضاحُ أمرِهِ، لا ضَيْرَ في أنْ يُعَبِّرَ لصاحبِ الدُّكَّانِ عنْ رأيِهِ فيهِ. غَطَّسَ التُّفَّاحةَ الأَخيرةَ، رماها في الوعاءِ، وأشارَ بِمَخالبِهِ الوهميَّةِ تجاهَ النَّافذةِ، ثُمّ حَمَلَ الوعاءَ وراحَ يعدُو. لا بُدَّ أنْ يَستغْرقَ فَتْحُ بابِ الدُّكَّانِ الخارجيِّ وقتَ صاحبِهِ.

– سَأرْكضُ حتَّى لا يُمْسِكَ بِعُنقِي. قالَ لِنفسِهِ، وشَعرَ بأنَّ الوعاءَ أخفُّ وزناً منْ ذي قَبلُ.

لمْ يتطلَّبْ حَملُ الوعاءِ بينَ ذراعيهِ فنّاً منْ نوعٍ خاصٍّ. ركض حتَّى شَعرَ أنَّ باحةَ الدُّكَّانِ تُسحبُ منْ تحتِ قَدميْهِ. مَرّ كالسَّهمِ في جانبِ الطَّريقِ حتَّى وَصلَ مَبْنَى المدرسةِ.

لماذا لم يأتِ في الحالِ؟ تَساءَلَ مَلكُ المَخاطِرِ.

لكنَّهُ لمْ يجْرؤْ على النَّظرِ إلى الخلفِ حتَّى لا يخْسرَ سُرْعَتَهُ. وضعَ الوعاءَ على الأرضِ عِنَدما وصلَ إلى كومَةِ الحَطبِ، ثُمَّ نَظرَ إلى الخلفِ. صاحبُ الدُّكَّانِ لمْ يخرجْ منْ بيتِهِ بَعدُ!

– أستطيعُ أنْ أُخْرِجَ الدَّرَّاجةَ منْ مَكانِها أيضاً، فَكَّرَ وشدَّ المِقودَ. أسْرَعتِ الدَّرَّاجةُ إليهِ رجوعاً، تَوقَّف عِندَ كومَةِ الحَطبِ. وضعَ عليها الوعاءَ، بِالعَرْضِ. ثَبَّتَهُ على سرجِ الدَّرَّاجة، ثُمَّ قادَها مُغادراً! كادَ يقعُ عنْها حينَ حاولَ تَحسُّسَ طريقِهِ، لكنَّهُ اسْتعادَ توازنَهُ، ومَرَّ بِزاويةِ مبْنَى المدرسةِ، وابْتعدَ سالكاً طريقاً آخرَ... لقدْ نَجَا!

– بِحقِّ السَّماءِ، لماذا لمْ يخرجْ ويُمْسِكْ بِي؟ تَساءَلَ مَلكُ المَخاطِرِ. تُرَى، ما الَّذي يَنتَظِرُ؟

ثُمَّ تَذكَّرَ وجهَ صاحبِ الدُّكَّانِ، وكيف بَدتْ ملامحُهُ. لمْ يكنْ غاضباً، بلْ... مذْعوراً حدَّ الموتِ! كانَ الذُّعرُ بادياً على ملامحِهِ! صاحبُ الدُّكَّانِ يَشعرُ بِالخوفِ منْهُ؛ منْ مَلكِ المَخاطِرِ! لمَ يا تُرى؟ كلُّ ما فَعَلَهُ هوَ أنَّه وَقفَ هَناكَ وفي يدِهِ تُفَّاحَةٌ سوداءُ اللَّونِ. أجلْ، بِالطَّبعِ، لقد نسيَ أنَّ وَجهَهُ قد طُليَ بِالطِّينِ ليبْدوَ كالشَّبحِ!

عِندَما فَكَّرَ مَلكُ المَخاطِرِ بِالأَمْرِ، شَعرَ بِسَعادةٍ عارمةٍ، وكادَ يصْطَدمُ بِسياجٍ نباتيٍّ، تَراقصَ قلبُهُ فرحاً، وكادَ أنْ يقفزَ إلى حَلقِهِ مغنِّياً. أرادَ أنْ يبدأَ بِمطلعِ أغْنيةِ «يا شمالَ الثُّلوجِ»، لكنَّ الوقتَ لمْ يكنْ مُناسباً لذلكَ. قدْ يعودُ صاحبُ الدُّكَّانِ إلى رُشدِهِ ويبدأُ بِمُلاحقتِهِ.

تُرَى هل يعلمُ إلى أينَ يتَّجهُ مَلكُ المَخاطرِ الآنَ؟ لا، ذلكَ ليسَ بِالأمرِ المعقولِ!

أتمنَّى ألَّا ألتقِيَ بِأحدٍ سِواهُ، وعِندَها سَيسيرُ الأمرُ كلُّهُ على ما يرامُ. فكَّرَ مَلكُ المَخاطرِ.

بعدَ قليلٍ وصلَ المَقبرةَ، لا يزالُ الظَّلامُ يَعُمُّ مَنزلَ حارسِ الكنيسةِ، ولا يزالُ برجُ الكنيسةِ جاثماً هُناكَ. يتأمَّلُ ملك المخاطر لوحةَ الساعةِ البيضاءَ النَّظيفةَ. أوقفَ الدَّرَّاجةَ جانباً، وحَمَلَ وعاءَ التُّفَّاحِ إلى المَقبرةِ. تَوقَّفَ عِندَ السِّياجِ تقريباً، أمْسكَ بِالتُّفَّاحةِ الأُولى الَّتي تَقطُرُ سَواداً، ثُمَّ صوَّبَ بِتركيزٍ تامٍّ نحو لوحةِ السَّاعةِ. بوْم! لقدْ أصابَ السَّاعةَ فوقَ الرَّقمِ ثمانية. التُّفَّاحةُ التَّاليةُ! بوْم، وها هيَ بُقعةٌ سوداءُ تظهرُ عِندَ الرَّقمِ سبعة. أرادَ مَلكُ المَخاطرِ أنْ ينْتهي أوَّلاً منْ رسمِ الفمِ الضَّاحكِ. لمْ يكنْ واثقاً في يومٍ منَ الأيَّامِ منْ قُدْرتِهِ على التَّصويبِ مِثلما هوَ الآنَ. أَمْسكَ بِكلِّ تفَّاحةٍ بِهدوءٍ، وزنَها بيدِهِ، صَوَّبَ، ثُمَّ رماها بِحركةٍ تُشْبهُ شَكلَ قَوسٍ باتِّجاهِ وجهِ ساعةِ الكنيسةِ. وها هيَ السَّاعةُ تَبْتَسمُ بِأسنانٍ سوداءِ اللَّونِ جميلة. المِسَاحةُ بينَ بُقَعِ القَطْرانِ مُتناسقةٌ وواضحةٌ للعيانِ. صارَ للسَّاعةِ عينانِ أيضاً. أُجْبِرَ مَلكُ المَخاطرِ على التَّوقفِ عنِ العملِ ليرُدّ للسَّاعةِ ضحكتَها، حيثُ أطلَّتْ عليهِ بِنظرةٍ تؤكِّدُ موافقتَها على ما قامَ بِهِ. لقدْ راقَ لها أنْ يُصبِحَ لها عينان فَترى! انْزلقتِ التُّفَّاحةُ الأَخيرةُ منْ يدِ مَلكِ المَخاطرِ عِندَما أوشكَ على رَمْيِها ولهذا أصابتِ السَّاعةَ بِشكلٍ مائلٍ. لكنَّ المَهمَّةَ انْتهتْ. أسْرعَ والتَقطَ

التُّفَّاحَ الَّذي عادَ وتَساقطَ على الأرضِ، ثُمَّ غرزَ كلّ واحدةٍ منْها على رأسِ قُضبانِ بوَّابةِ المقبرةِ الحديديَّةِ. بعدَ الانْتهاءِ منْ مُهمَّتِهِ على أكملِ وجهٍ عادَ وارْتدَى سُترةَ البيجامة ملائماً جميعِ أزْرارِها دونَ أنْ تَرْتجفَ يداهُ. أخذَ بعدَ ذلكَ الوعاءَ وركبَ درَّاجتَهُ عائداً إلى البيتِ.

جَمَحتِ الدَّرَّاجةُ فرَحاً في طَريقِ العَودةِ إلى البيتِ، وكادَ مَلكُ المَخاطرِ أنْ يَفقدَ السَّيطرةَ عليها. ثُمَّ تركَها تقومُ بِقفزاتٍ في الهواءِ بالعَجلةِ الأماميَّةِ، وتَتَرنَّحُ منْ حافَّةِ الطَّريقِ هذهِ إلى تلكَ، بينَما شاهدَ هوَ انْعكاسَ صورتِهِ في الزُّجاجِ المُظلمِ اللَّامعِ للنَّوافذِ الَّتي مَرَّ منْ أمامِها. رأى أنَّهُ قامَ بِعملٍ عظيمٍ، وأنَّ على أهلِ القريةِ جميعاً أنْ يَكونوا مُمْتنِّين لِذلكَ، فقد رسمَ وجهاً جميلاً، منْ أَجلِ خالقِ الخلقِ. وجهٌ يجْعلُ الملائكةَ تَضْحكُ عندَ رؤيتِهِ. فَكَّرَ لِوهلةٍ أنْ يتوقَّفَ عندَ الدُّكَّانِ ليَطرُقَ البابَ، ويُخبرَ صاحبَهُ بِكلِّ ما حدَثَ، لكنَّهُ توخَّى الحذرَ في النِّهايةِ، ورمَى وعاءَ الجَلخِ منْ خلفِ السِّياجِ إلى داخلِ الباحةِ. لمْ يَرْمُشْ لهُ جفنٌ، حتَّى حينَ رأتْه امْرأةٌ مُسِنَّةٌ، وهيَ تفتحُ البابَ لتخرج منْهُ قطَّتُها، في أحدِ البُيوتِ الَّتي تقعُ في نهايةِ الشَّارِعِ. تابعَ طريقَهُ إلى البيتِ مباشرةً، حيثُ رمَى بِبيجامتَهُ ذاتَ الخطوطِ الحَمراءِ، وبِداخلِها حَجرٌ في بِئْرِ بيتِ الإسكافيِّ منْ أجلِ مزيدٍ منَ الحِيطةِ والحَذرِ، ثُمَّ تَسلَّلَ عَبرَ النَّافذةِ لينامَ.

بدايةُ الاختبارِ الأوّلِ لفيديلي

عِندَما أفاقتْ فيا منَ النَّومِ في صباحِ اليومِ التَّالي، تَذكَّرتْ كلّ ما يتعلَّقُ بِالولدِ الَّذي رأتَهُ عندَ البوّابةِ يومَ أمسِ. ركضتْ باتِّجاهِ الكُرسيِّ الّذي علَّقتْ عليهِ ملابسَها؛ لترَى إنْ كانَ الحَجرُ الأبيضُ لا يزالُ في جَيبِ الفُستانِ. ثُمّ صبَّتْ بعدَ ذلكَ الماءَ حتَّى تَطايرتْ كُراتٌ وكُتلٌ لامعةٌ منْهُ وسقطت على المَفْرَشِ الّذي يُغطِّي الطَّاولةَ تحتَ حوضِ الغسيلِ.

– لا تطْرُقِي حافَّةَ حَوضِ الغسيلِ بالإبْريقِ هكذا! قدْ تَنكَسِرُ حافَّةُ الحوضِ، وقْد تَسْمعُكِ العمَّةُ مالين. قالتِ والدةُ فيا محذِّرةً.

يجبُ أنَ يلْزَمَ المَرءُ الصَّمتَ دائماً في بيتِ المحافظِ، خاصةً في غُرفةِ فيا ووالدتِها. وهما في أمسِّ الحاجةِ إلى الصَّمتِ في فترةِ الصَّباحِ، لكنَّ فيا نَسيتْ ذلكَ اليومَ. وقفتْ على كُرسيٍّ، ورأتْ صُورتَها في المِرْآةِ الَّتي كانتْ في يومٍ ما ملْكاً لخالَةِ المحافظِ. كلُّ ما في غُرفةِ فيا ووالدتِها مِلْكٌ للمُحافظ ما عدا الكُرسيَّ الهزَّازَ والأغراضَ الموجودةَ في الأدْرَاجِ. لكنّ فيا لم تأْبَه لذلك اليوم. عليها أنْ تتأكَّدَ إنْ كانتْ فعْلاً على ذلكَ القَدْرِ منَ القُبْحِ الَّذي تعتقدُ دائماً. قد لا تكونُ قبيحةً إلى

ذلكَ الحَدِّ رُبَّما! كَشَّرَتْ في وجهِ المَرآةِ.

– لا تفعلي ذلك! هَمسَتْ والدتُها. إذا دقَّتِ السَّاعةُ، وغيَّرتِ الرِّيحُ اتِّجاهَها، وصاحَ الدِّيكُ في آنٍ معاً، قد تُصبحينَ حقّاً قَبيحةً إلى ذلكَ الحَدِّ فعْلاً!

– ماذا لو دقَّتِ السَّاعةُ، وغيَّرتِ الرِّيحُ اتِّجاهَها، وصاحَ الدِّيكُ حينَ أُحاولُ أنْ أبدوَ جميلةً، هَمستْ فيا. رُبَّما أُصبِحُ عِندَها جَميلةً فعْلاً!

– نعم، لا يُمْكِنُنا مَعرفةُ ذلكَ. تَمْتمتْ والدةُ فيا، لكنَّها لَمْ تبدُ سعيدةً.

هي لا تبدُو سعيدةً أبداً.

– أرجو ألَّا يَتعالى صَريرُ الحَديدِ حينَ أفتحُ النَّافذَة. تَنفَّستْ، ووضَعتْ أَغطيةَ الفِرَاشِ فوقَ ذراعِها.

اسْتدارتْ قَبضةُ النَّافذةِ بعِنادٍ رغْماً عنْها، واهتزّتْ ألواحُ الزُّجاجِ مُنذرةً بالشُّؤمِ، وتعالى صريرُ الحديدِ كالعادةِ.

– ماذا تفعلانِ في الدَّاخلِ!؟ وصَلَ صوتُ العمَّةِ مالين الغاضبُ إلى مَسامعِهما عَبرَ الحائطِ.

– ماذا حدثَ لسَاعَةِ الكَنيسةِ يا تُرى!؟ قالتْ والدةُ فيا.

قالتْ ذلكَ بصَوْتٍ عالٍ تقريباً. تَجمَّدتْ فيا في المَكانِ الَّذي وَقفتْ فيهِ وَسطَ الغرفةِ. أدارتْ رأسَها ببطءٍ شديدٍ نحوَ النَّافذةِ، ونَظرتْ بِحَذرٍ منْ تحتِ غُرَّةِ الأشجارِ المُخْضَرَّةِ في الحَديقةِ، حيثُ ظهرتْ ساعةُ الكَنيسةِ عنْ بُعدٍ. هل يُعقلُ أنْ يَصيرَ لها أنفٌ وفمٌ!؟

– يَبدو وكأنَّ للسَّاعةِ عينَين وأنفاً وفماً! هَمستْ والدتُها. منْ فَعَلَ ذلكَ يا تُرى؟ اقْتربتْ فيا، وحَشرتْ نفسَها بِجانبِ والدتِها، وحَدَّقتْ في وجهِ السَّاعةِ. وجهٌ مُستديرٌ أبيضُ، عقْربٌ مُندهشٌ يُشكِّلُ الأنفَ، فَمٌ منَ النِّقاطِ السَّوداءِ، عَينٌ مَفتوحةٌ، وأخرى بِالكادِ تَظْهرُ للعَيانِ. لقدْ نَجحَ في القيامِ بالمُهمَّةِ!

– غريبٌ أمرُ النَّاسِ وما يفعلونَهُ! لا بُدّ منْ أنَّهُ ولدٌ صُعْلوكٌ يُحاولُ أنْ يُظهرَ مَواهِبَهُ المُضحكةَ. قالتْ والدتُها.

لم تنْبِس فيا ببنتِ شفةٍ. كانَ الأمْر مُضحكاً بِالنِّسبةِ لها. إنَّهُ الحَدَثُ الأكثرُ تشويقاً في حياتِها حتَّى الآنَ. لمْ ترَ ساعَةَ كنيسةٍ بِهذهِ الهيئةِ المُضْحكةِ منْ قبلُ! لا بلْ تكادُ تكونُ جميلةً أيضاً. في اللَّحظةِ الَّتي ارْتدتْ فيها فُستانَها، تسلَّلتْ إلى الخَارجِ مُروراً بِالمَطبخِ، وطارتْ نحوَ البوَّابةِ. ظنَّت أنَّها سَتجدُ مَلكَ المَخاطرِ هُناكَ، واقفاً، مادّاً يدهُ مُطالباً بِالحجرِ الأبيضِ سَلفاً، لكنَّهُ لم يكن.

وقفتْ تحتَ الشَّجرةِ مِثلما فعلتْ في اليومِ السَّابقِ، وراحتْ تَنتظرُهُ. نَظرتْ نحوَ بيتِ الإسكافيِّ، لكنَّها لمْ ترَ هُناكَ سِوى امرأةٍ مُسنَّةٍ تغسلُ الثِّيابَ.

سارتْ في الطَّريقِ، وتظاهرتْ بِأنَّها تَلعبُ لُعْبةَ المُربَّعاتِ بمفردها. قفزتْ مُقتربةً أكثرَ فأكثرَ منْ بيتِ الإسكافيِّ. لمْ تكنْ تظنُّ أنَّهُ يَسكنُ هناكَ إطلاقاً. لا بُدَّ منْ أنَّ مَلكَ المَخاطرِ يسكنُ في خَيمةِ السِّيركِ في ساحةِ الاحتفالاتِ. رُبَّما ينامُ في أُرجوحةٍ مُعلَّقةٍ تحتَ السَّقفِ مباشرةً،

أو لهُ فِرَاشٌ في الحَيِّزِ الَّذي تَنامُ فيهِ الفيَلَةُ. لكنَّها ظَنَّتْ أنَّهُ رُبَّما لهُ مَعارِفُ في ذلكَ البيتِ، فقد خرجَ منْهُ في اليومِ السَّابقِ، ولذلكَ أرادتْ أنْ تسألَ عنْهُ. وقفتْ في نِهايةِ المَطافِ عندَ السِّياجِ الخَشبيِّ لبيتِ الإسكافيِّ تنظرُ إلى الغسيلِ. فَرَكتِ المَرأةُ المُسنَّةُ الثِّيابَ بِحدَّةٍ جَعلتْ وعاءَ الغسيلِ يئنُّ.

– هل تريدينَ شيئاً؟ قالتْ.

– هل رأتِ الخالة مَلكَ المَخاطرِ يا تُرى؟

– مَلكُ المَخاطرِ!؟ إنْ كُنتِ تقصدينَ ذلكَ الشَّخصَ الَّذي يعملُ في السِّيركِ، فلا بُدَّ منْ أنَّكِ ستجدِينَهُ في مكانهِ الصَّحيحِ. قالتِ المرْأةُ وأشارتْ برأسِها صوبَ ساحةِ الاحتفالاتِ.

عادتْ فيا إلى بوَّابةِ منزلِ المحافظِ، أغلقتْها خلفَها، ودخلتْ تَعريشةَ شُجيراتِ اللَّيلَكِ، حيثُ يُمكنُها الوقوفَ هُناكَ وتأمُّلَ ساعةِ الكنيسةِ دونَ أنْ يراها أحدٌ.

دخلَ أحدٌ ما فجأةً منْ بينِ أغصانِ اللَّيلَكِ، ممَّا جعلَها تُرَفْرفُ وكأنَّها سرْبٌ منْ عصافيرِ الدُّوري.

– هل ستُعطِينَني الحجرَ الآنَ؟ قالَ ملكُ المَخاطرِ.

أخْرَجتْ فيديلي الحجرَ من جيبِها في الحالِ. لمْ تكنْ تعلمُ كيفَ تَحدِّثُهُ؛ لأنَّهُ لمْ يسبقْ لها قطُّ أن الْتقتْ من قبلُ بِشخصٍ يستطيعُ أنْ يرْسمَ عينينِ وأنفاً وفماً على وجهِ ساعةٍ كنيسةٍ. مدَّتْ يدَها بِالحجرِ وحسبُ. مدّ مَلكُ المَخاطرِ يدَهُ أيضاً فاسْقطتِ الحجرَ في يدِهِ بِحذرٍ. لَمَعَ الحجرُ في أشعَّةِ الشَّمسِ قبلَ أنْ يلتقطَهُ. أغلقَ مَلكُ المَخاطرِ أصابعَهُ

عليهِ، وراحَ ينظرُ إليها. كانَ على وشكِ أنْ يضَعَهُ في جيبِهِ، لكنَّهُ مَدَّ إليها يدَهُ بِالحجرِ وقالَ:

– افْعَلي ذلكَ ثانيةً.

– أفْعلُ ماذا؟ قالتْ فيديلي.

– أعْطيني إيَّاهُ مرَّةً أُخْرَى.

– لِمَ؟

– أحِبُّ رؤيةَ يدكِ وأنتِ تُخْرجينَها منْ جيبِ ثوْبِكِ. ضَعيهِ هُناكَ ثانيةً!

قامتْ فيديلي بِما طلبَ منْها. وَوضعتِ الحجرَ في جيبِها ثُمَّ أخْرجَتهُ ثانيةً، وأسْقطتْهُ في يدِهِ من ارتفاعٍ أعلى هذهِ المَرَّةَ؛ لكي يلمَعَ مرَاراً تحت أشعَّةِ الشَّمسِ وهوَ يَتقلَّبُ في الهواءِ. أخَذَهُ ثُمَّ قالَ:

– مرَّةً أُخْرَى!

أوقَعَهُ على الأرضِ هذهِ المرَّةَ؛ ولذلكَ ألقَى الاثنان بِنفسَيْهِما على الرَّملِ في قلبِ تَعْريشةِ اللَّيلكِ عسَى أنْ يجدَهُ أحدُهُما قبلَ الآخرِ. رآهُ كلٌّ منْهُما في اللَّحظةِ ذاتِها، لكنَّ مَلكَ المَخاطرِ كانَ أسْرعَ فالتقطَهُ واخْتطفَهُ، وكأنَّها حاولتْ أنْ تأخذَهُ منْهُ.

– إنَّهُ الآنَ مِلكي أنا. قالَ.

– نعمْ، إنَّهُ مِلكُكَ أنتَ... هل وجدْتَ صُعوبةً في رسمِ ملامحِ الوجهِ على لوحةِ السَّاعةِ؟

هزَّ مَلكُ المَخاطرِ رأسَهُ نَفْياً، لكنَّهُ أراها كَفَّيْهِ. كانتْ راحةُ كِليْهِمَا

مَخدوشةً ومُقرَّحةً تُغطِّيهما شُقوقٌ سوداء.

– كانتِ الصُّعوبةُ في تَنْظيفِ يديَّ فيما بعدُ. لقد قُمْتُ بِغسلِ يديَّ بِالرَّملِ لسَّاعاتٍ عِدَّة! لا تظهري لأحدٍ أنَّكِ تعلمينَ مَنِ الَّذي فَعَلَ ذلكَ!

أوْمأتْ فيديلي برأسِها.

اذْهبي إلى المقبرةِ، وسوفَ تَرَيْنَ عشرَ تفَّاحاتٍ سوداءَ مغْروسةً أعلى قُضبانِ بوَّابةِ المقبرةِ!

اقْشعرَّتْ فيديلي. بَدَا الأمْرُ مُخيفاً. لمْ تفهمْ ما دَخْلُ التُّفَّاحِ بِالموضوعِ.

جَعَلَ مَلكُ المَخاطرِ الحجرَ الأبيضَ يلمَعُ بينَ يديهِ. شَعرَ بِنُعُومةِ مَلْمَسِهِ، وحَرَصَ على ألّا تُلطِّخَهُ البُقعُ السَّوداء.

– لنْ تَرَيهِ بعدَ اليوم. قالَ ونَهضَ من مكانِهِ.

نظرَ إليها ليرَى رَدَّةَ فِعلِها، لكنَّ فيديلي ضَحكتْ وحَسب.

– بلى، سَتَرينَهُ؛ لأنَّني سَأُعيدُهُ إليكِ!

وبعدَ لحظةٍ قالَ:

– إذا نجحْتِ في التزامِ الصَّمتِ ليومٍ كاملٍ دونَ أنْ تُجيبِي عن أيِّ سؤالٍ، مَهما قالَ النَّاسُ أو وجَّهوا لكِ منْ لوْمٍ. هل تَستطيعينَ ذلكَ؟

– متى أبدأُ ومتى أنْتهِي؟ سَألتْ فيديلي.

– عليكِ أنْ تصْمُتِي في الحالِ، ولا تنْطِقي بِبنْتِ شَفَةٍ حتَّى تَنهضِي منَ النَّومِ يومَ غدٍ.

أوْمأتْ فيديلي بِرأسِها.

– هل تَعِدِينَ بِذلكَ؟

لمْ تُجِبْهُ فيديلي؛ لأنَّها كانتْ قدْ بدأتْ بِتَنفيذِ وَعْدِها بِالصَّمْتِ.

– اكْتُبِي «أَعِدُكَ» على الرَّملِ.

أمَرَها مَلكُ المَخاطِرِ. قَطَعَتْ فيديلي غُصناً صَغيراً منْ شَجيرةِ اللّيلكِ، ثُمَّ مَسَحتِ الأرضَ لتُهيِّئَ مَساحةً منَ الرَّملِ القاتمِ اللَّونِ، وتَكتبَ فوقَها.

كَتبَتْ «أعِدُكَ بِذلكَ» بِحروفٍ واضحةٍ جداً، ثُمَّ دَفَنَتْها تحتَ حَفْنَاتٍ منَ الرَّملِ الجَّافِ.

فيديلي والصَّباحُ الأبْكَمُ

أوَّلُ ما فَعلتْهُ فيديلي بعدَ ذلكَ هوَ أنَّها تَسلَّقتْ شجرةً. لنْ يُكلِّمَها أحدٌ ما دامتْ تَجْلسُ هناكَ. تسلَّقتْ شجرةَ الزّيزفونِ القابعة وسطَ حديقةِ منزلِ المحافظِ. مكانُها لا يَخلو منَ المَخاطرِ، إذ إن الشَّجرةَ تقفُ مقابلَ السُّلَّم العريضِ الّذي يؤدّي إلى المَدْخلِ الرَّئيسِ للبيتِ، حيثُ مُنِعَتْ من المُكوثِ. لكنْ إنْ أُتيحَ للمرءِ ما يكْفِي منَ الوقتِ ليَختفيَ داخلَ تلكَ الشَّجرةِ، فسَيجدُ أنَّها أفضلُ مخبأ في جميعِ أنْحاءِ المنزلِ. يتمُّ تقْليمُ أغصانِ الشَّجرةِ كلَّ سنةٍ، لذلكَ بدَتْ كوعاءٍ قُلِبَ رأساً على عَقِبٍ. أوراقُها عبارةٌ عن قِشْرةٍ كثيفةٍ منَ الخارجِ، أمَّا منَ الدَّاخلِ فهيَ عبارةٌ عنْ شَبكةٍ منَ الأغصانِ منْ أسفلَ إلى أعلى. بَدتْ وكأنَّها مجْموعةٌ منَ السَّلالمِ المتشابكة في كلِّ الجهاتِ.

تسلَّلتْ فيديلي إلى داخلِ الشَّجرةِ منَ الخلفِ، وتسَلَّقتْ بِسرعةٍ نحوَ القِمَّةِ. تلوَّنتْ أشعَّةُ الشَّمسِ داخلَ الشَّجرةِ باللَّونِ الأخضَرِ الفاتحِ، ولاحَتْ ذراعَا فيديلي كذراعَي جرادةٍ، مُخْضرَّتَين أثناءَ تَسلُّقِها إلى أعلى. بدايةُ الغصونِ العُليا تُشكِّلُ مِقْعداً عميقاً يستطيعُ المرءُ أنْ

يَجْلسَ عليهِ، أو يَضَعَ فيهِ أغراضَهُ. السِّحرُ الأخْضرُ في شجرةِ الزَّيزفونِ غَلَّفَ صَمْتَها منَ الخارجِ، فشعرتْ أنَّها عاجزةٌ عنِ الكلامِ بِغضِّ النَّظرِ عمَّا إن أرادتِ التَّكلُّمَ أمْ لا. اسْتطاعتْ أنْ ترَى العمّةَ مالين وهيَ تتنقّلُ بينَ المطبخِ وصالةِ الطَّعامِ داخلَ المنزلِ. ظهرَتِ العمَّةُ مالين عندَ النَّافذةِ، وهيَ ترفعُ قِدْراً منْ على الفُرْنِ، وهي تصُبُّ طعاماً في وعاءٍ ما. ثُمَّ ظهرَتْ بعدَ ذلكَ معَ الوعاءِ في صالةِ الطَّعامِ، حيثُ وضعتْهُ على طبقٍ مُخصَّصٍ لحمايةِ الطَّاولةِ منَ الحرارةِ. سَيتناولُ المحافظُ وجبةَ الصَّباحِ بعدَ قليلٍ، فَيحينُ موعدُ والدةِ فيا لِتُعدّ طَعامَها في المطبخِ. دقَّت بعدَ ذلكَ العمَّةُ مالين جرسَ صالةِ الطَّعامِ بِخنوعٍ كيْ يَحْضُرَ المحافظُ، ويتناولَ طعامَهُ.

نَظرتْ فيديلي إلى نافذةِ غُرفةِ النَّومِ؛ لترَى إنْ كانَ المحافظُ جاهزاً لتناولِ طعامِهِ. أجلْ، إنَّه يقفُ في الشُّرفةِ وينْظرُ بِمنظارِهِ. انْكمَشتْ فيديلي على ذاتِها. تمنَّتْ ألَّا ينْظرَ نحوَ شجرةِ الزّيزفونِ فيراها تجْلسُ بينَ أوراقِها! لكنَّه أنْزلَ المِنْظارَ عنْ عينيهِ؛ ليتوجَّهَ إلى صالةِ الطَّعامِ.

هل لدى مالين عِلمٌ بِما حدثَ لساعةِ الكَنيسةِ؟ قالَ.

سمِعتْ فيديلي ذلكَ بِكلِّ وضوحٍ.

قالتِ العمَّةُ مالين شيئاً ما، وهي تُتمْتمُ كعادتِها حينَ تتحدَّثُ إلى المحافظِ.

– أشباحٌ! قالَ المحافظُ. آثارُ أقدامٍ على جِدارِ الكَنيسةِ! يا لها منْ سخافاتٍ! منْ قالَ ذلكَ؟

أجابتِ العمَّةُ مالين ثانيةً متمتمة بشيءٍ ما.

– هُراءٌ! قالَ المحافظُ. صاحبُ الدُّكَّانِ كانَ ولا يزالُ أحمقَ. سَلِّمي على صبيِّ المأموريَّةِ وقولي لهُ ذلكَ. وحارسُ الكنيسةِ لا يقلُّ حماقةً عنْهُ!

لمْ تجْرؤ العمَّةُ مالين على الاعْتراضِ.

– تفَّاحُ الموتِ! يا لها منْ تفاهاتٍ. عِندَما ينمو التُّفَّاحُ على قضبانِ بوَّابةِ المقبرةِ ثانيةً، أُريدُ رؤيتَهُ بِأمِّ عينِي. قالَ المحافظُ.

فكَّرتْ فيديلي بِما سمعتْهُ من حديثٍ. يبدو أنَّ هُناكَ أُناساً يعتقدونَ أنَّ الأشْباحَ هيَ الَّتي رَسمتْ ملامحَ الوجهِ على ساعةِ الكَنيسةِ! لقدْ نجحَ مَلكُ المَخاطرِ بِخداعِهِم جميعاً، وجَعْلِهِم يعتقدونَ ذلكَ بِطريقةٍ ما! الوحيدُ الّذي لمْ يُصدِّقْ حكايةَ الأشْباحِ هوَ المحافظُ. ماذا لو أخذَ الأمرَ إلى المَحكمةِ، وسألَ فيديلي عنِ الفاعلِ الحقيقيِّ؟

حدَّقتْ فيديلي مذعورةً في المحافظِ الّذي كانَ واقفاً في الدَّاخلِ. لا أستطيعُ الإجابةَ عن أيَّةِ أسئلةٍ في تلكَ الحالةِ؛ لأنَّني خرساءُ! فكَّرتْ. ثُمَّ إنَّهُ لا بُدّ منْ أن يَجدَ مَلكُ المَخاطرِ طريقةً لإنْقاذِهِما معاً منْ تلكَ الورطةِ.

زَحَفَتْ نُزُولاً بعضَ الشَّيءِ بينِ أغصانِ الشَّجرةِ، وجَلَستْ بِلا حِراكٍ. أَتَى طائرٌ، وحطَّ على أحدِ أغصانِ الشَّجرةِ، وراحَ يقفِزُ بينَ الأغصانِ ظنّاً منْهُ بِأنَّهُ وحيدٌ هُناكَ. عِندَما لَمَحَ فيديلي قفَز ودُهِشَ، وبدا وكأنَّهُ في طريقِهِ للطَّيرانِ هرباً، لكنَّهُ هَدَأَ قليلاً، وراحَ يتأمَّلُها بعينيهِ السَّوداوين الصَّغيرتَينِ.

– يرَى أنَّني فيديلي، وأنَّني لمْ أعُدْ فيا القديمةَ العاديَّةَ. عِندَما أكونُ فيديلي، لنْ أجدَ حيواناتٍ تَخْشانِي. فكَّرتْ وابْتسمتْ للطَّيرِ. زَقْزقَ الطَّيرُ عبارةً ما، ثُمَّ طارَ مُجدَّداً.

– يظنُّ أنَّني أفهمُ لغةَ الطُّيورِ، وأنا أفْهمُها فعلاً، فَكَّرتْ فيديلي. لقدْ قالَ: «سَأطيرُ الآنَ باحثاً عنِ الطَّعامِ»!

نظرتْ فيديلي صوبَ المطبخِ ثانيةً. فقد جرت العادةُ أنْ تدْخلَ فيا المطبخَ، وتتناولَ طعامَها بعدَما ينتهي المحافظُ من تناولِ وجبةِ الفطورِ، لكيلا تُضْطرَّ والدتُها لُمناداتِها و«إثارةِ الضَّجيجِ» في حضورِهِ. ها هي والدتُها تُطلُّ منْ نافذةِ المطبخِ، وتنْظرُ حولَها في أرجاءِ المكانِ. إنَّها تبْحثُ عنْ فيا طبعاً.

– المِسكينةُ، لا علمَ لديها بِأنَّني صِرْتُ فيديلي المسْحورةَ، المَمنوعةَ عنِ الكلامِ، والَّتي لا تستطيعُ أنْ تدْخلَ إلى المطبخِ وتتناولَ طعامَها. فكَّرتْ فيديلي.

نزلتْ عنِ الشَّجرةِ، وقطفَتْ بعضَ الزُّهورِ كاسرياتِ الحجرِ الأبيضِ الَّتي تنبُتُ بِالقربِ منْ شجرةِ الزّيزفونِ. تُشْبِهُ أوراقُ هذهِ الأزهارِ حبَّاتَ الأرُزِّ المطْبوخِ بِالحليبِ، فقطعتْ فيديلي أوراقَها الصَّغيرةَ، ووضعتْها فوقَ عددٍ منْ أوراقِ شجرةِ الزَّيزفونِ والتي تقومُ مقامَ الطَّبقِ.

– هذا طعامُ الأميرةِ فيديلي المسْحورُ، فكَّرتْ وراحتْ تتظاهرُ بِأنَّها تتناولُهُ. سَوفَ أسكنُ هذهِ الشَّجرةَ، وآكُلُ أوراقَ الزُّهورِ هذهِ، حتَّى أصيرَ خضراءَ شفافةً كواحدةٍ من أوراقِ الشَّجرةِ تماماً.

علا عِندَها صوْتُ العمَّةِ مالين منَ المطبخِ. لمْ تَعُدْ تَتكلَّمُ بِصوْتٍ خافتٍ الآنَ.

– إذا عجَزَتِ البنتُ عنِ احْترامِ مواعيدِ الطَّعامِ سَوفَ تُحْرَمُ منْهُ! لا يُمْكنُني إبْقاءُ الطَّعامِ على المائدةِ طيلةَ النَّهارِ! عليَّ أنْ أكْويَ القُمصانَ. قالتْ.

بَدَا صوْتُ والدةِ فيا خافتاً الآنَ.

– أستطيعُ أنْ أضعَ بعضَ الطَّعامِ على صينيَّةٍ، وأُدْخلَهُ إلى غرفتِنا حتَّى لا نُعيقَكِ عن عملِكِ. قالتْ.

شعرتْ فيديلي بِالشَّفقةِ على والدتها مُجدَّداً. يجبُ أنْ تُحاولَ دُخولَ البيتِ لتكتُبَ لها رسالةً. قد تتمكَّنُ حينَها منْ تناولِ شيءٍ منَ الطَّعامِ... رُبَّما! تَسلَّقتْ فيديلي إلى أعلى الشَّجرةِ ثانيةً؛ لكِي ترَى ما يحدُثُ. سَوفَ تحاولُ أنْ تتسلَّلَ إلى داخلِ البيتِ حينَ يبْتعدُ الجميعُ. لكنَّها اضْطرَّتْ للانتظارِ؛ لأنَّ العمَّةَ مالين جلستْ على المقعدِ بِالقربِ منْ بابِ المطبخِ، وراحتْ تُحرِّرُ حبَّاتَ البازيلاءِ منَ القشُورِ الخضْراءِ الَّتي تُغلِّفُها، بِانتظارِ أنْ تترطَّبَ القمصانُ الّتي رشَّتْها بِالماءِ جيِّداً. المرورُ بِالعمَّةِ مالين إلى داخلِ المنزلِ أمرٌ مستحيلٌ الآنَ. ولِسوءِ الحظِّ أخرجتْ والدتُها صينيَّةَ الطَّعامِ منَ الغرفةِ إلى المطبخِ قبلَ أنْ تَتزحزحَ العمَّةُ مالين منْ مكانِها. أدْرَكتْ فيديلي أنَّ عليها اجتيازَ وجبةِ الفطورِ لهذا اليومِ. بقِيتْ جالسةً في مكانِها. ثُمَّ طالَ انتظارُها وطالَ. كانَ لدى والدةِ فيا مُتَّسعٌ منَ الوقتِ لتَحضيرِ

طعامِ الغداءِ أيضاً، ورأت فيديلي كيف تُسرعُ بهِ على صينيّةٍ أُخرَى إلى داخلِ الغُرفة.

ـ أحسنْتِ! أحسنْتِ، فكَّرتْ فيديلي الَّتي كانتْ تَرَى والدتها والعمَّةَ مالين عندَ بابِ المطبخِ .

بعدَما وضعتِ الصّينيَّةِ في الغرفةِ خرجتْ والدتُها، وسارتْ باتِّجاهِ البوَّابةِ باحثةً عنْ فيا بِجديّةٍ. في الوقتِ ذاتِهِ جَمَعتِ العمَّةُ مالين قرونَ البازيلاءِ في مِريلتِها، ودخلتِ المطبخَ. رُبَّما تستطيعُ الآنَ مُحاولةَ دخولِ البيتِ!

نزلتْ فيديلي، وسارتْ في نورِ الشَّمسِ خلفَ شجرةِ الزَّيزفونِ. طارتْ فوقَ سَجَّادةِ العُشبِ القريبةِ أسرعَ منْ يعسوبٍ، ووصلتْ إلى مَدْخلِ المطبخِ قبلَ أنْ يلمحَها أحدٌ.

هناك ممرٌّ طويلٌ يؤدِّي إلى المطبخِ، وغرفتَي العمَّةِ مالين ووالدةِ فيا، وينتهي عندَ مدخلِ صالةِ الطَّعام. يَعُمُّ الظَّلامُ هُناكَ الآنَ لمنْ دخلَ لتوِّهِ منْ تحتِ أشعَّةِ الشَّمسِ، وسَمِعَ رنينَ الأوعيةِ المُرْعبِ في يدِ العمَّةِ مالين.

تَوخَّتْ فيديلي الحَذرَ كي لا تتعثَّر بالمِكنسةِ والشِّبشِبِ الخشبيِّ على الأرضِ، ومرَّتْ بسرعةٍ فوقَ الصّينيَّةِ. في غُرفةِ والدتِها رأتِ البيْضَ والشَّطائرَ والجزرَ المسْلوقَ بالحليبِ، لكنَّها لمْ تجْرُؤْ على تناولِ الطَّعامِ في الحالِ... عليها أنْ تكْتبَ الرِّسالةَ أوَّلاً.

اعتادتْ والـدةُ فيا على نسْخِ كتاباتِ المحافظِ بِطريقةٍ أنيقةٍ في الأوقاتِ الَّتي لمْ تنْشغِلْ فيها بِإعْطاءِ دروسِ عَزفٍ على البيانُو. وكانَ هُناكَ الكثيرُ منَ الورقِ على الطَّاولةِ بِمُحاذاةِ النَّافذةِ. كتبتْ فيديلي:

«عزيزتي السَّيِّدة باترشون!

لا تحزَني لضياعِ ابنتِكِ. لا تبحثِي عنْها!

لأنَّها لنْ تعودَ في كلِّ الأحوالِ.

ولكِ منِّي ألفُ تحيَّةٍ.

ف»

لمْ يكنْ بِوسْعِها طبعاً أنْ تكتبَ «أُمِّي العزيزةُ» وقد أصبَحتْ شخصاً آخرَ ولمْ تعدْ فيا. ولمْ تكتبْ اسمَ فيديلي كاملاً لأنَّها لا تريدُ أنْ يعرفَ ذلكَ الاسمَ، ولا أنْ يُناديَها بِهِ أحدٌ سوى مَلكِ المَخاطِرِ. وضعتْ فيديلي الرِّسالةَ تحتَ وسادةِ والدةِ فيا، والتَهمتِ الجزرَ المَسْلوقَ بِالحليبِ بِأقصَى سرعةٍ. خبَّأتِ البيضةَ والشَّطيرةَ في جَيبِ ثوبِها، ثُمَّ تسلَّلتْ إلى المَمرِّ الطَّويلِ ثانيةً. لكنَّ الحظَّ لمْ يُحالِفْها هذهِ المرَّةَ، إذ إنَّها بِالكادِ وصلتْ إلى بابِ المطبخِ، حتَّى ظهرتِ العمَّةُ مالين، وكأنَّها كانتْ تَختبِئُ هُناكَ لتُمسِكَ بها. أمْسكتْ بِالمِكنسةِ في المَمرِّ، ووقعتْ عيناها على فيديلي.

– ها أنتِ هنا إذاً. قالتْ. وقد حانَ وقْتُ مَجيئِكِ الآنِ! هيَّا ادْخلي وتناولي طعامَ الغداءِ بما أنَّني أعلمُ أينَ أعثرُ عليكِ! لا أريدُ أنْ يفْسُدَ هذا اليومُ بِكاملِهِ لمجرَّدِ أنَّكِ لا تستطيعينَ الحِفاظَ على المَواعيدِ!

وقفتْ فيديلي في مكانِها، وكأنَّها تجمَّدتْ. ليسَ بِوسعِها أنْ تقولَ إنَّها تناولتِ الطَّعامَ لتوِّها، وليسَ بِوسعِها أنْ تتخطَّى العمَّةَ مالين. عندَما تُلاحظُ العمَّةُ مالين أنَّها لا تجيبُ عن أسئلتِها سَوفَ تشتاطُ غضباً. دخلتْ فيديلي إلى المطبخِ، وجلستْ عندَ طاولةِ الطَّعامِ دونَ أنْ تَنْطِقَ بِكلمةٍ واحدةٍ.

تَبِعَتِ العمَّةُ مالين فيديلي.

سَتأكلينَ الآنْ عَصيدةً مقليَّةً، كيْ لا أضْطرّ إلى طَهيِ الطَّعامِ مُجدَّداً. ليسَ بِوسعِي أنْ أُديرَ مَطعماً يقدِّمُ خمسةَ عشرَ نوعاً منَ الأطباقِ لأطفالٍ لا يأتونَ إلى البيتِ، في الأوقاتِ الَّتي يجبُ أنْ يأتوا فيها! ثُمَّ إنَّ أمَّكِ تلهو في الخارجِ، ولا نيَّةَ لديها للاكتراث بأيِّ أمرٍ!

ثارتْ ثائرةُ فيديلي عندَما سَمعتْ حديثَ العمَّةِ مالين عنْ والدتها؛ ممَّا جعلَها تَحتدُّ، وتَشحذُ أظافرَها على الخشبِ أسَفلَ الطَّاولةِ.

– العمَّةُ مالين المُخيفةُ! العمَّةُ مالين اللَّئيمةُ! فكَّرتْ. سَتُقدمُ ليَ العَصيدةَ المقليّةَ لأنَّها أشْنعُ أنواعِ الطَّعامِ!

رمتِ العمَّةُ مالين المقلاةَ فوقَ المَوقدِ، وقلَّبتْ فيها قليلاً منَ العَصيدةِ الرَّماديَّةِ اللَّونِ منْ وعاءٍ كانَ في خزانةِ الطَّعامِ، ثُمَّ رمتْ فيها كُتلاً كاملَةً منَ السَّمنِ، ولمْ تتمكَّنْ فيديلي منْ أنْ تخبرَها أنَّها أكثَرَتْ منْهُ. ثُمَّ إنَّها لا تجْرؤُ على قوْلِ ذلكَ في كلِّ الأحوالِ، حتَّى لو كانَ مَسموحاً لها أنْ تتكلمَ. لمْ تجرؤْ يوماً على الاعتراضِ على ما تقولُهُ أو تفعلُهُ العمَّةُ مالين.

– كنتِ بِالطَّبعِ في القريةِ تقفينَ وتحدِّقينَ بفمٍ مفتوحٍ في ساعةِ الكنيسةِ. قالتِ العمَّةُ مالين.

– هنا مِرْبطُ الفرَسِ. فكَّرتْ فيديلي ولمْ تجبِ العمَّةَ مالين.

– أجلْ، أستطيعُ فَهْمَ ذلكَ. قالتِ العمَّةُ مالين، ورمتْ صحناً فوقَ طاولةِ الطَّعامِ أمامَ فيديلي. لقدْ وقفتِ تحدِّقين في آثارِ الأقدامِ على جدارِ الكَنيسةِ، وتُعيقينَ حارسَها عن عملِهِ، ولا تأبهينَ للعودةِ إلى البيتِ، رغمَ أنَّ السَّاعة كانتْ أمامَ عينيكِ... اعْترفي بِذلكَ!

أهرَقتِ العمَّةُ مالين كميَّةً منَ الحليبِ في الصَّحنِ. قامتْ فيديلي منْ مكانِها لتُحضرَ مِلعقةً منْ أحَدِ أدراجِ المطبَخِ.

الصَّمْتُ علامةُ الرِّضَا. قالتِ العمَّةُ مالين. لكنِّي سَأقولُ لكِ شيئاً، وهو أنَّ عليكِ البقاءَ بعيداً عنْ أعمالِ الأشْباحِ الَّتي تدورُ هُناكَ. الأمرُ ليسَ أُلعُوبَةً، وإنْ لمْ تتوخَّيْ الحَذرَ، فسوفَ يأتِي الشَّبحُ ليأخذَكِ إليهِ!

«هُراءٌ.» كتبتْ فيديلي بِملعقتِها في قاعِ الصَّحنِ، تحتَ الحليبِ، حيثُ لا تستطيعُ العمَّةُ مالين قراءتها.

– أجلْ، ها أنتِ تلتزمينَ الصَّمْتَ! قالتِ العمَّةُ مالين. هُناكَ أمورٌ كثيرةٌ تحدُثُ بينَ السَّماءِ والأرضِ، ونَعْجزُ عن اسْتيعابِها! لكنَّ صاحبَ الدُّكَّانِ الَّذي رأى هامةً بيضاءَ تحمِلُ نعشَ طفلٍ خارجَ بيتِهِ، يعرفُ الحقيقةَ!

«يا للغباءِ!» كتبتْ فيديلي في حليبِ العصيدةِ، كما كانَ المحافظُ سَيفعلُ لو سَمِعَ الكلامَ ذاتَهُ.

– أجلْ، هذه هيَ الحقيقةُ. قالتِ العمَّةُ مالين، وأخْرجتْ طاولةَ الكيِّ منْ مكانِها.

بدأتْ تتحدَّثُ عن كلِّ ما قالَهُ صاحبُ الدُّكَّانِ، وعن كلِّ ما ظنَّهُ حارسُ الكنيسةِ، بينما أسرعتْ فيديلي بتناولِ طعامِها. كادتْ أنْ تغرقَ بالضَّحكِ في داخلِها حينَ فكَّرتْ بأنَّها الوحيدةُ الَّتي تعلمُ منْ هوَ الشَّخصُ الَّذي رسمَ على لوحةِ السَّاعةِ. إنَّهُ ليسَ روحاً هائمةً أرادتْ أنْ تجعلَ صاحبَ الدُّكَّانِ يفقدُ إيمانَهُ، وليسَ شبحاً يستطيعُ السَّيرَ على حافَّةِ الجدرانِ ويُدنِّسُ ساعاتِ الكنائسِ، على الرَّغمِ من ادِّعاءِ العمَّةِ مالين ذلكَ. تابَعتِ العمَّةُ حديثَها دونَ أنْ تنْتظرَ إجابةً منْ فيا، وهذا أفضلُ ما في الأمرِ.

– آثارُ الأقدامِ تُرى مِنْ علوِّ مترٍ كاملٍ منَ الأرضِ؛ لأنَّ قدمَيْ الشَّبحِ كانتا ملطَّختينِ بالتُّرابِ! ثُمَّ تناثرَ التُّرابُ أثناءَ السَّيرِ، واخْتفتْ آثارُ الخطواتِ أعلى الجدارِ كُليّاً! كانَ يتمشَّى بالطَّبعِ ذهاباً وإيَاباً فوقَ الكنيسةِ بأكملِها، ذلكَ الوقحُ. قالتِ العمَّةُ مالين.

لمْ تفهمْ فيديلي كيفَ تَمكَّنَ ملكُ المَخاطرِ منْ تسلُّقِ الجدارِ سيراً على الأقدامِ. رُبَّما هُناكَ أحذيةٌ لاصقةٌ خاصةٌ في السِّيركِ تَمكَّنَ من اسْتعارتِها. فكَّرتْ. رأتْ مرَّةً عاملاً منْ شركةِ الهاتفِ وهوَ يَتسلَّقُ أعمدةَ الهاتفِ بحذاءٍ قابضٍ في قدميهِ. رُبَّما لبسَ مَلكُ المَخاطرِ حذاءً مُشابهاً. ها هيَ توشِكُ على الانتهاءِ من تناول العصيدةِ دونَ أنْ تُجْبَرَ على النُّطقِ بكلمةٍ واحدةٍ.

– يظنُّ المحافظُ أنَّ أحدَ عمَّالِ السِّيركِ كانَ يتسلَّى. قالتِ العمَّةُ مالين. حسناً، فليتوهَّمْ ذلكَ.

خافتْ فيديلي حتَّى كادتْ تَغُصُّ بِالطَّعامِ، لقد أصابَ المحافظُ في ظنِّهِ!

– يُريدُ الذَّهابَ إلى عرضِ السِّيركِ بعدَ الظُّهرِ فقطْ ليرَى إنْ كانَ سَيجدُ الشَّخصَ الَّذي يضعُ فيهِ شُكوكَهُ. قالتِ العمَّةُ مالين. إنَّهُ الشُّرطيُّ الحكيمُ.

– لا! أرادتْ فيديلي أنْ تصيحَ.

يجبُ أنْ تسألَ العمَّةَ مالين عنِ الموعدِ الَّذي سَيذهبُ فيهِ المحافظُ إلى هُناكَ، لكي تتمكَّنَ منْ تحذيرِ مَلكِ المخاطرِ. اِبْتلَعتْ ما كَانَ عالقاً في حَلقِها.

– لا تتحدَّثي ما دامَ فمُكِ مليئاً بِالطَّعامِ! قالتِ العمَّةُ مالين محذِّرةً.

لو لمْ تقلْ ذلكَ لكانتْ فيديلي تحدَّثتْ، لكنَّها عادتْ وتذكَّرتْ أنَّها ممنوعةٌ منَ الكلامِ. لحسنِ حظِّها لمْ تقلْ شيئاً. التهمتِ الملعقةَ الأخيرةَ منَ العَصيدةِ، حملتِ الصَّحنَ إلى مكانِ غَسْلِ الأطباقِ، وسارتْ بِاتِّجاهِ البابِ. عليها أنْ تكتبَ رسالةَ تحذيرٍ لشخصٍ ما، بِسرعةِ البَرْقِ.

– حسناً، ماذا يقولُ المرءُ بعدَ الطَّعامِ؟ قالتِ العمَّةُ مالين.

فيديلي وبعدَ ظهرٍ أبكمٌ

ظنَّتْ فيديلي أنَّها سَتنجحُ في مهمَّتِها. ما كانَ عليها سوى السَّير، والخروجِ منْ بابِ المطبخِ، وبعدَ ذلكَ لنْ تضْطرَّ للكلامِ سهواً. ظنَّت أنّ العمَّةَ مالين لنْ تتمكّنْ منْ طرحِ الأسئلةِ عليها. ولكنْ ما حدثَ الآنَ هو من أسوأ ما يمكنُ حدوثُهُ! ليسَ مَسموحاً لفيديلي أنْ تقولَ شكراً! اسْتدارتْ نحوَ حوضِ الأطْباقِ، وصبَّتِ الماءَ فوقَ صحنِها في مُحاولةٍ منْها لكسبِ الوقتِ.

– حسناً؟ قالتِ العمَّةُ مالين.

غسَلتْ فيديلي ملعقتَها أيضاً.

– ماذا يقولُ المرءُ؟

مَسحتْ فيديلي يديْها بِالمنشفة.

– لمْ تعجبْكِ العصيدةُ إذاً. قالتِ العمَّةُ مالين. أكادُ أفهمُ ذلكَ! لمْ تلتَهِميها بِسرعةٍ! لكنْ على المرءِ أنْ يكونَ مُمْتَنّاً لكلِّ ما يُقدَّمُ لهُ، ولا أُريدُ أنْ أرَى فيا وهيَ تمْتنعُ عنِ الشُّكرِ لِما حصلتْ عليهِ منْ طعامٍ!

اسْتدارتْ فيا في محاولةٍ لقياسِ المَسافةِ الَّتي تَفصِلُها عنِ البابِ

بِعَيْنَيْها. ماذا لو حاولتِ الفِرارَ؟ في تلكَ الحالِ عليها أنْ تعدوَ بالقرب من طاولةِ الطَّعامِ، والعمَّةُ مالين تقفُ قريباً. وها هيَ تقفُ وسطَ الطَّريقِ الآنَ أكثرَ منْ ذي قبلُ.

– لنْ تمرَّ فيا منْ هُنا. قالتْ. أدْركتْ عندَها فيا أنَّها في مأزقٍ، أنَّها سجينةٌ في المطبخِ، والعمَّةُ مالين تكادُ تُشبِهُ ساحرةً شرِّيرةً. ماذا يفعلُ المرءُ حينَ يُدْركُ أنَّ العونَ لنْ يأتي؟ خَطرتْ لها فكرةٌ، عندَها تقدَّمتْ منَ العمَّةِ مالين، ومدَّتْ يدَها مُصافحةً. أمْسكتِ العمَّةُ مالين بيدِها، وانْحَتْ فيا احتراماً. لا بُدَّ منْ أنَّ هذا التَّصرُّفَ يكفي بدلاً منَ الشُّكرِ بَالكلماتِ.

– حسناً، ماذا يقولُ المرءُ؟ قالتِ العمَّةُ مالين.

حاولتْ فيديلي عندَها أنْ تهرُبَ بِاتِّجاهِ البابِ! لكنَّ العمَّةَ مالين ظلَّتْ مُتشبِّثةً بِيدِها. كانتْ تُمْسكُها بِشدةٍ جعلتَها عاجزةً عنْ مُغادرةِ المكانِ، وها هوَ وجهُها يحْمَرُ أيضاً.

– لا تحاولي الهربَ! لو أردْنا أنْ نجدَ طفلةً أُخْرَى بِعنادِكِ لاضْطُررْنا إلى البَحثِ طويلاً! سوفَ أُخْبِرُ أُمَّكِ بِهذا التَّصرفِ! لنْ تتحرَّكي من هُنا قبلَ أنْ تنْطُقي بِتلكَ الكلمةِ، هل تسمعينَ ذلكَ؟ قالتِ العمَّةُ مالين.

أَجْهشتْ عندَها فيديلي بِالبُكاءِ. راحتْ تتَراقَصُ حولَ العمَّةِ مالين، وتَسْحَبُ يدَها إليها لكَي تُفْلتَ منْ قَبْضتِها. جلستْ على الأرضِ، وراحتْ تَزحَفُ فوقَها في مُحاولةٍ لجعلِ جسمِها ثقيلاً جداً.

لكنَّ العمَّةَ مالين لحقتْ بِها في جَميعِ حَركاتِها. فُتِحَ عندَها البابُ ودخلتْ والدةُ فيا.

– ما الّذي يحدثُ هُنا، بِحقِّ السَّماءِ!؟ صاحتْ.

– البنتُ ترْفضُ أنْ تقولَ شُكراً بعدَ تناولِ الطَّعامِ، على الرَّغمِ منْ أنَّني قَليْتُ العصيدةَ وقدَّمتُها لها، وتعِبْتُ في تَحضيرِها. صرخَتِ العمَّةُ مالين.

– أرجوكِ يا فيا، قولي شُكراً في الحالِ. قالتْ والدةُ فيا.

هزَّتْ فيديلي رأسَها مُعارِضةً.

– اترُكيها يا عمَّة مالين، وسوفَ تشكُرُكِ. قالتْ والدةُ فيا.

أخيراً أفلتَتِ العمَّةُ مالين يدَها، لكنَّ ذلكَ بِحدِّ ذاتِهِ لمْ يسمحْ لفيديلي بأنْ تشْكرَها. حَدَّقتِ العمَّةُ مالين فيها، وبدا الحُزنُ ظاهراً على مَلامحِ والدةِ فيا.

– حسناً، سَأكونُ صريحةً معكِ. إذا اضْطُررتُ لتحمُّلِ المَزيدِ منْ تَصرُّفاتِ هذهِ البنتِ، فأنا مُجبرةٌ على أنْ أشْتكيها إلى المحافظِ. قالتِ العمَّةُ مالين. لا أستطيعُ القيامَ بِعملِي إنْ غَضِبْتُ وواجَهتُ ما يَعوقُني كلَّ يومٍ!

– سوفَ أدْخلُ الغُرفةَ معَ فيا، وأتَحدَّثُ إليها بِجديّةٍ هُناكَ. قالتْ والدةُ فيا. بعدَ ذلكَ سَتتحسَّنُ تصرُّفاتُها كلُّها.

– حسناً، سوفَ نرَى. قالتِ العمَّةُ مالين.

اضْطرَّتْ عندَها فيديلي للدُّخولِ إلى الغرفةِ. أسْرعتْ بِالدُّخولِ

قبلَ والدتِها، ورَمتْ بِنفسِها فوقَ السَّريرِ. دَخلتْ بعدَ ذلكَ والدتُها، وجَلستْ على طَرَفِ السَّريرِ بِالقربِ منْها.

– حَدِّثيني عنْ كلِّ ما حدثَ. قالتْ والدةُ فيا، وداعبتْ شَعرَها بيدِها.

غَرستْ فيديلي وجهَها في الوسادةِ، وأَجْهَشَتْ بِالبكاءِ. ذلكَ هو الحلُّ الأفضلُ في رأيِها. في الحقيقةِ لمْ يكنْ لديها مُتَّسعٌ منَ الوقتِ لمزيدٍ منَ البكاءِ. عليها أنْ تَكتبَ رسالةَ التَّحذيرِ، لكنَّها لمْ تجدْ أمراً آخرَ تَلجأُ إليه نظراً للوعدِ الَّذي قطعَتْهُ بِالامتناعِ عنِ الكلامِ. تَنهَّدتْ والدةُ فيا حِيرةً.

– لا أظنُّ أنَّ النُّطقَ بِكلمةٍ صغيرةٍ تافهةٍ مِثلَ «شُكراً» أمرٌ صعبٌ.

هزَّتْ فيديلي رأسَها في عُمقِ الوسادةِ.

– حسناً، ما دامَ الأمرُ كذلكَ، دَعينا نَخرجُ إلى العمَّةِ مالين ونقولُ «شكراً» سَوفَ أكونُ بِرفقتِكِ. قالتْ والدةُ فيا، ممَّا اضْطرَّ فيديلي لأنْ تَهُزَّ رأسَها نفياً مُجدَّداً. قامتْ وجلستْ وامْسَكتْ بِوَرقةٍ.

«إنَّني ممنوعةٌ منَ النُّطقِ ولو بِكلمةٍ واحدةٍ.» كَتبتْ فيديلي على الورقةِ، وجعلتْ والدةَ فيا تقرأُ ما كتبتْ.

– ما الَّذي تَمتَنعينَ عنْ قولِهِ؟ سألتْ والدةُ فيا.

– لا شيءَ و كلُّ شيءٍ! كتبتْ فيديلي. لكنَّ والدةَ فيا لمْ تفْهمْ قصدَها.

– منِ الَّذي يمنعُكِ عنِ الكلامِ؟ هل هيَ العمَّةُ مالين؟ سألتْ والدةُ فيا.

هزَّتْ فيديلي رأسَها نفياً مجدَّداً.

– لا أدْري ما الَّذي جرَى لكِ! قالتْ والدةُ فيا. يُسْتَحسَنُ رُبَّما أنْ تبقَيْ داخلَ الغرفةِ طوالَ فترةِ ما بعدَ الظُّهرِ تفادياً لمزيدٍ منَ المشاكلِ، وسوفَ أخْرجُ وأعْتذرُ للعمَّةِ مالين نيابةً عنْكِ.

اسْتدارتْ فيديلي وقبَّلتْ يدَها؛ لظنِّها بأنَّ هذا هوُ التَّصرُّفُ اللائقُ بِأميرةٍ مسْحورةٍ، ثُمّ إنَّهُ اقتراحٌ ممتازٌ. قامتْ والدةُ فيا، وتنَهَّدتْ بِعمقٍ مرَّةً أُخرَى، قبلَ أنْ تتوجّهَ إلى المطبخِ.

امْسكتْ فيديلي بِورقةٍ أُخرَى، وراحتْ تَكتبُ بِأقصَى سرعةٍ: «إلى مَلِكِ المَخاطرِ! تحذيرٌ! إيَّاكَ أنْ تظهرَ في عرضِ السِّيركِ اليومَ! التَّوقيعُ: فيديلي.»

نزعت الجزءَ الَّذي كتبتْ عليهِ منَ الورقةِ وطَوتْهُ. يجبُ أنْ تُرْسِلَ الرِّسالةَ مع أحدٍ ما، لكنْ معَ مَنْ يا تُرى؟ يجبُ ألَّا يعرفَ حاملُ الرِّسالةِ أنَّها تَحْتوِي على تَحْذيرٍ؛ لأنَّ المَعلومةَ قد تَصِلُ إلى المحافظِ. وضَعتْ يدَها في جيبِها، وشَعرتْ بِوجودِ البيْضةِ وشطيرَةِ الخُبْزِ هناكَ. خَطرتْ لها فِكرةٌ مُفاجِئةٌ وشَعرتْ أنَّها فِكرةٌ عبْقريَّةٌ هبطتْ عليها منَ السَّماءِ. أخذتِ الرِّسالةَ ووضعتْها بينَ جُزْأَي الشَّطيرةِ. تستطيعُ هكذا أنْ تُرْسلَ الشَّطيرةَ كاملةً! لنْ يلحظَ عندَها أحدٌ وجودَ الرِّسالةِ في داخلِها! في اللَّحظةِ الَّتي فعلتْ ذلكَ، سَمِعتْ طَرقاً على البابِ. أسرعتْ فيديلي، وخبَّأتْ الشَّطيرةَ في جيبِها ثانيةً. مَنْ يا تُرى؟ ليسَ بِوسعِها أنْ تُجيبَ طبعاً، لكنَّها اقْتربتْ منَ البابِ، وفتحتْهُ قليلاً. وهناكَ وجدتِ المحافظَ واقفاً.

– حسناً، هناكَ فعلاً أحدٌ ما في الدَّاخلِ. قالَ.

بدَا لطيفاً جداً، وقابلَها بِأجملِ ابْتسامةٍ لديهِ. لمْ يكنْ بِيدِ فيديلي حيلةٌ، سوى أنْ تقابلَ ابتسامتَهُ بِابتسامةٍ أُخْرى.

– هل كنتِ تبكين؟ سألَ المحافظُ. رُبَّما هوَ الوقتُ المناسبُ لكي أُقدِّمَ لكِ مُفاجأةً. هل أَجدُ أُمَّكِ هُنا؟

هزَّتْ فيديلي رأسَها نفياً، وأشارتْ بِيدِها نحوَ المَمرِّ الطَّويلِ الَّذي ظهرتْ فيهِ والدتُها عائدةً. لحُسنِ الحظِ، لمْ تُجْبَرْ فيديلي على النُّطقِ بِكلمةٍ.

– نهارُكِ سَعيدٌ، سيّدةُ باترشون. سوفَ أذهبُ إلى السِّيركِ بعدَ الظُّهرِ، وأحتاجُ إلى بعضِ الصُّحبةِ لمُرافقَتِي. لقد اشْتريتُ بطاقةً لكِ وللبنتِ، وللعمَّةِ مالين أيضاً.

– هذا لطفٌ منْكَ! قالتْ والدةُ فيا. ألفُ شكرٍ على جميلِكَ هذا. سوفَ يُسْعدُنا ذلكَ كثيراً. علينا أنْ نَنْحنِي ونشْكرَ المحافظَ على الهديةِ، يا فيا!

– أجلْ، رُبَّما الشُّكرُ على هذا أسهلُ بِكثيرٍ منَ الشُّكرِ بعدَ تناولِ الطَّعامِ. قالتِ العمَّةُ مالين الَّتي تقِفُ في الخلفِيَّةِ.

– يبدو الفرحُ ظاهراً على مُحيَّاها، وهذا هوَ المُهمُّ. قالَ المحافظُ. يَبدأُ العَرضُ السَّاعةَ الرَّابعةَ. هل نلتقِي قبلَ ذلكَ بِربعِ ساعةٍ على الشُّرفَةِ؟ هكذا يكونُ لدينا ما يكْفِي منَ الوقتِ للذَّهابِ إلى هُناكَ قبلَ بَدءِ العرضِ.

– شُكراً جزيلاً، لكنّي رأيتُ المَهزلةَ كلَّها البارحةَ، واليومَ لديَّ كَومةٌ منَ الملابسِ الَّتي تأخَّرْتُ عن كيِّها. قالتِ العمَّةُ مالين.

– سوفَ أُساعدُكِ في كيِّها. قالتْ والدةُ فيا.

– لنْ يكونَ لديَّ مُتَّسعٌ منَ الوقتِ على أيِّ حالٍ. قالتِ العمَّةُ مالين.

ثُمَّ نفَدَ صَبرُ المحافظِ. لكنَّهُ لمْ يعتدْ على جعلِ العمَّةَ مالين تَنْجَحُ في إعاقةِ الأُمورِ.

– سوفَ أُعيدُ البِطاقةَ إذاً، وأُعطِي ثمنَها لمالين لتستخدمَهُ كما تشاءُ قَرَّرَ المحافظُ. انْتهَى النِّقاشُ.

انْحنتِ العمَّةُ مالين احتراماً، وكادتْ فيديلي تَرقُصُ فرحاً. يستطيعُ المحافظُ أنْ يكونَ مَلِكاً في تلكَ الأسْطورةِ الَّتي تَدورُ في خيالِها، وتكونَ العمَّةُ مالين السَّاحرةَ الشِّريرةَ، وتكونَ فيديلي البنتَ المسْحورَة. لقد زارتْ فيا السِّيركَ مرَّةً واحدةً في السَّابقِ، وأنْ يتسنَّى لَها مُشاهدةُ عَرضِ السِّيركِ، ورؤيةُ المُهرِّجينَ والبهلواناتِ دونَ حُضورِ العمَّةَ مالين، هوَ أفضلُ ما يُمكنُ أنْ يخْطُرَ لها. ماذا لو تمكَّنتْ منْ رؤيةِ مَلِكَ المَخاطرِ أيضاً؟

– الرَّابعة إلّا رُبُع إذاً. قالَ المحافظُ وغادَرَ.

– لمْ يكنْ بِوسعِهِ أنْ يذهبَ إلى هناكَ وحدَهُ ويُثيرَ الشُّبهاتِ. قالتِ العمَّةُ مالين. يريدُ أنْ يصْطَحِبَ البنتَ إلى هناكَ ليتَّخذَ منْها ذريعةً، إنْ لمْ يجدْ في السِّيركِ بهلواناً يجيدُ السَّيْرَ على الجُدرانِ! حتَّى

لا يظنَّ أحدٌ أنَّهُ ذهبَ إلى هُناكَ سُدًى!

سَيطرتِ الجَدّيَّةُ على فيديلي ثانيةً. كانتْ قد نَسيَتْ مدَى خطورةِ المحافظِ! عادتْ وتذكَّرتْ متاعبَها! ماذا لو ظهرَ مَلِكُ المخاطرِ بثيابِهِ المصنوعةِ منْ جلدِ الفهدِ، وبدأ يتسلَّقُ الجدرانَ بِحذائِهِ اللَّاصِقِ أمامَ ناظِرَي المحافظِ؟ telegram @yasmeenbook

– أظنُّ أنَّهُ يُحاولُ أنْ يكونَ لطيفاً وحَسبُ. قالتْ والدةُ فيا، ثُمَّ دخلتِ الغرفةَ، وأحْضَرتْ ثوبَ فيَا الجديدَ.

شَخَرتِ العمَّةُ مالين متهكِّمةً، وأغلقتْ بابَ المطبخِ على نفسِها. كادتِ الخلافاتُ تتجدَّدُ حينَ حاولتْ فيديلي أنْ تضعَ الشَّطيرةَ في جَيبِ الثَّوبِ الأحمَرِ الجديدِ، لكنَّها عَدَلتْ عنْ ذلكَ ووضعتْها فوقَ الطَّاولةِ الصَّغيرةِ بِجانبِ السَّريرِ. تَستطيعُ أنْ تأخُذَها لاحقاً، قبلَ أنْ يَنْطلقُوا. لكنْ معَ مَنْ سَتُرْسلُها يا تُرى؟ وكيفَ تَشرَحُ لِحامِلِها لِمَنْ عليهِ أنْ يُسلِّمَها؟ هكذا يَصيرُ كلُّ شيءٍ مُستحيلاً عندَما يَعْجِزُ المرءُ عنِ الكلامِ.

عندَ الرَّابعةِ إلَّا رُبُعاً بِالضَّبطِ وقفتْ فيديلي على الشُّرفةِ. كانتْ قد وَجَدتْ كيساً تَضعُ فيهِ الشَّطيرةَ، وظنَّتْ والدتُها أنَّها تُريدُ أنْ تُطعِمَها لخيولِ السِّيركِ، فسَمَحتْ لَها بِأنْ تأخذَ الشَّطيرةَ معَها!

– سَوفَ تكونُ أُمسيَّةً سعيدةً! قالَ المحافظُ. خرجَ أوَّلاً منَ البوّابةِ، ثُمَّ تَبِعَتْهُ والدةُ فيا. تَباطأتْ فيديلي قليلاً، وراحتْ تبْحثُ حولَها عنْ مَلكِ المَخاطرِ. لا بُدَّ منْ أنَّهُ في خَيمةِ السِّيركِ الآنَ.

سارت فيا ووالدتُها والمحافظُ باتِّجاهِ السَّاحةِ، حيث كانتْ إعْلاناتُ السِّيركِ تَحْتلُّ جميعَ أعمدةِ الهاتفِ. ظَهرَت في بَعضِها فيلةٌ زَيّنتْ جِباهَها شُراباتٌ مُلوَّنَة، وفي بعضِها الآخِر ظَهرَ مُهرِّجون بِأنوفِهم الحَمْراء، وفي أحدِ الإعلاناتِ ظَهرَ مَلكُ المَخاطِرِ. لمْ يكنِ الرَّسمُ يُشبهُهُ تماماً. بَدا أكبرَ سِنّاً بِكثيرٍ في الإعلانِ، أكبرَ ممَّا هوَ في الواقعِ، وفي وجهِهِ شَنبٌ أيضاً. نَظرتْ فيديلي باتِّجاهِ بيتِ الإسكافيِّ. كانَ أربَعةٌ منْ أبنائه يَلعبونَ في الطَّريقِ. ماذا لو أرْسلتُ الرِّسالةَ مع أحدِهم؟

أشارتْ فيديلي إليهم أنْ يَقتربوا. نَظَروا إليها في بادِئِ الأمرِ دونَ أنْ يَفهموا ما تَريدُهُ منهم، ثُمَّ سارتْ إليها بنتٌ. ناولتْها فيديلي الكيسَ وأشارتْ إلى إعلانِ السِّيركِ.

ماذا تعنينَ؟ سألتْ بنتُ الإسكافيِّ.

أشارتْ فيديلي إلى الكيسِ ثُمَّ إلى الإعلانِ، وبعدَ ذلكَ أشارتْ باتِّجاهِ السَّاحةِ.

– كُفِّي عنِ الحَماقةِ. قالتِ البنتُ.

– تعالَيْ يا سيري، إنّه دورُكِ. صَرخَ بقيَّةُ الإخوةِ.

لكنَّ فيديلي وضَعتِ الكيسَ بينَ يَديْها، ونَظرتْ إليها راجيةً. فَتحتْ سيري الكيسَ، ونَظرتْ داخلَهُ.

– إنَّها شَطيرةٌ! قالتْ.

– هيَّا يا فيا، لا يَجوزُ أنْ نَصلَ مُتأخِّرينَ إلى عرضِ السِّيركِ. نادتْ والدةُ فيا.

أشارتْ فيديلي مرَّةً أخيرةً إلى إعلانِ السِّيركِ، ثمَّ راحتْ تَعدو خَلفَ المحافظِ. كانَ لديها أملٌ بأنَّ البنتَ سَتفهمُ بعدَ قليلٍ. لكنْ حينَ اسْتدارتْ ثانيةً، رأتْها تأكلُ الشَّطيرةَ.

– إنَّها عاجزةٌ عنِ الكلامِ! إنَّها عاجزةٌ عنِ الكلامِ. غَنَّى الأطفالُ وأشاروا إلى فيديلي.

لمْ يَعُدْ بِوسعِها أنْ تفعلَ أكثرَ مما فَعلتْ. سارَ المحافظُ بِخطًى كبيرةٍ، وكان على فيديلي ووالدتها أنْ تتبعَاهُ. خرجَ أناسٌ آخرونَ منْ بوَّاباتِ بُيوتِهم، وبَدأتِ الطُرُقاتُ تَعُجُ بالنَّاسِ. وهُناكَ ظَهرتْ بريتا صاحِبةُ الجدائلِ وصديقتُها المُفضَّلةُ، وكانَ منْ عادتِهما أنْ تُضايقا فيا. أمْسَكتْ كلٌّ منْهُما بِيدِ الأُخرى، واجْتَهدتَا في إثارةِ غُبارِ الطَّريقِ بأحذِيَتِهما اللامعة. وكلٌّ منْهُما تظنُّ أنَّها أجملُ بنتٍ في العالمِ بأسرِهِ.

– انْظُري، إنَّها فيا – بلينغ – بلونغ! صاحتا عندَما لَحَقتا فيديلي. لا علمَ لديْها إلى أينَ نحنُ ذاهبتانِ، إلى أينَ نحنُ ذاهبتان، ذاهبتانِ! غَنَّتِ البنتانُ.

حثَّت فيديلي الخطا لتلحقَ بِالمحافظِ، ووضعتْ إصبعَيْها في أُذنَيْها حتَّى لا تسمعَهُما وهُما تُردِّدانِ: «بلينغ – بلونغ، بلينغ – بلونغ.» إنْ دفعَتْ بإصبَعيْها داخلَ أُذنيْها بِما يكفي، فلنْ تَسمعَ والدتُها ولا المحافظُ أيضاً ما تُردِّدُهُ البنتانُ، ذلك ما تَخيّلتْهُ فيديلي. يجبُ ألّا تَسمعَ والدتُها على وجهِ الخُصوصِ، ما تُرَدِّدُهُ البنتانُ. والدتها المِسكينة! أمَّا

هيَ فظلَّتْ تَسمعهُما، بلْ وبِوضوحٍ أكثرَ منَ السَّابقِ. قفزتِ البنتانُ أمامَها، واسْتدارَتا وأمْعَنَتا النَّظرَ فيها وهُما تُردِّدانِ ذلكَ. لمْ تهتمَّ إحداهما لكَوْنِ والدةِ فيا تَسمعُ ذلكَ. ظَلَّتْ كلٌّ منْهُما تُقَهْقِهُ ساخرةً مُحاولةً الظُّهورَ بِمَظهرٍ بريءٍ.

– بلينغ – بلونغ، بلينغ – بلونغ، بلينغ – بلونغ، بلينغ – بلونغ!

– هل تَعرفينَ هاتينِ البنتينِ؟ سألَ المحافظُ.

لاحظتْ فيديلي أنَّهُ ينظرُ إليها، ممَّا جعلَها تَضْطرُ لإخراجِ إصبَعيْها منْ أُذنَيْها. لقد تَسبَّبتْ بريتا في اضْطِرارِها للكلامِ أيضاً!

– بريتا، تَعالَي إلى هُنا في الحالِ! لماذا تُسْرعينَ السَّيرَ بِالطُّولِ والعَرضِ هكذا؟ تَعالى صوْتُ والدةِ بريتا خَلفَهم. لقد لاحَظتْ أنَّ بريتا لمْ تَعترضْ طريقَ والدةِ فيا فقط. اسْتدارَ المحافظُ إلى الخلفِ مُتسائلاً.

– هل تَعترِضينَ طريقَ المحافظِ أيَّتُها الصَّغيرةُ؟ إنْ لمْ تُحْسِني التّصرفَ سَأجبرُكِ على العودةِ إلى البيتِ! علا صوْتُ والدتِها هامساً غاضباً.

أرادتْ فيديلي أنْ تَبتسمَ في وجهِ المحافظِ، لكنَّها كانتْ تَخْشَى أنْ يَنتَظرَ جواباً عن سؤالِهِ. لذلكَ اخْتارتْ أنْ تَنظرَ بعيداً بَدلاً منْ أنْ تَنظرَ إليهِ.

– إنَّهُما زميلتَا فيا في الصَّفِ. قالتْ والدتُها.

– هل تُضَايقانِكِ عادةً؟ سألَ المحافظُ.

لا مَفرَّ لفيديلي. لا مفرّ لَها منْ أنْ تنظرَ إليهِ الآنَ. نَظرتْ إليهِ نَظرةً

ثابتةً لكي يتمكَّنَ منْ قرَاءةِ عينيْها، ولا يَحتاجَ بعدها ليطْرَح عليْها المزيدَ منَ الأسئلةِ. إنَّهُما تُضايقانَني دائماً. قالتْ فيديلي بِعينيْها. لكنَّنا لنْ نَكترثَ للأمرِ اليومَ. ثُمَّ إنَّني ممنوعةٌ منَ الكلامِ. أرْجوكَ يا سيَادةَ المحافظِ أنْ تَصْمُتَ!

بَدا وكأنَّ المحافظَ قد فَهِمَ كلّ ما أرادتْ فيا قولَهُ. تَوقَّفَ عنِ الظُّهورِ بِمَظهرِ السَّائلِ وأعْطاها يدَهُ لتُمسِكَ بِها. ثُمَّ بَدأَ يَتحدَّثُ معَ والدةِ فيا.

اسْتدارتْ فيديلي ونَظرتْ إلى بريتا. سارتْ بريتا والغضبُ والارْتباكُ باديانِ على مُحيَّاها، بِالضَّبطِ كما توقَّعتْ.

ثُمَّ وصلوا إلى السِّيركَ. نَسيتْ فيا كلّ شيءٍ يتعلَّقُ بِمَلكِ المَخاطرِ. لا بُدَّ منْ أنَّهُ موجودٌ في مكانٍ ما داخلَ الخَيمةِ الضَّخمةِ البيضاءِ الّتي احْدودَبتْ بِفعلِ الرِّيحِ. رُبَّما هوَ الآنَ مَشغولٌ بِربطِ شَرَّابةٍ على جبهةِ فيلٍ؟ أو رُبَّما يَطلي أنفَ مُهرِّجٍ باللّونِ الأحْمرِ؟ لا، لا بُدَّ منْ أنَّهُ مَشغولٌ بِارتداءِ زيِّهِ المصنوعِ منْ جلدِ الفهدِ لكِي يكونَ جاهزاً في الوقتِ المُناسبِ. ماذا لو كانَ يَضعُ شَنباً مُستعاراً؟ في تلكَ الحالِ لنْ يتعرَّفَ إليهِ أحدٌ فيما بعدُ، عندَما ينزَعُ الشَّنبَ ثُمَّ تأتي الشُّرطةُ لتحقِّقَ معَهُ في موضوعِ الرَّسمِ على ساعةِ الكَنيسةِ. حاولتْ فيديلي أنْ تتواصلَ معَهُ ذهنيّاً.

– عليكَ أنْ تضعَ الشَّنبَ المُسْتعارَ! عليكَ أنْ تضعَ الشَّنبَ المُسْتَعارَ! هَمَسَتْ لهُ داخلَ رأسِها.

حينما وجدُوا أماكنَهم على طرفِ الدَّائرةِ الكبيرةِ الَّتي سَيقومُ

المُهرِّجونَ والآخرونَ بِعُروضِهم فيها، شَعرتْ فيديلي أنَّ أحداً ما يَطرقُ كَتفَها؛ إنَّها بريتا. مَدَّتْ يدَها بكيسٍ منَ الحَلوى إلى فيديلي وكانتْ والدةُ بريتا تَجلسُ جنباً لجنْب وتَبتسمُ ابتسامةً صفراء. هَزَّتْ فيديلي رأسَها رافضةً بِأدبٍ. مَنْ قالَ إنَّها تُريدُ حَلوَى بريتا القديمةَ الشَّنيعةَ! ثُمَّ إنَّ ذلكَ سَيُجْبرُها على قولِ شُكراً مُجدَّداً!

– أَلَا تَأكلينَ الحَلوَى. قالَ المحافظُ. ماذا سَأفعلُ بِكيسِ الحَلوَى الَّذي اشْتريتُهُ إذاً؟ إنَّهُ مليءٌ بالسَّكاكر، وساداتُ الحَريرِ البيضِ والبولكا ذاتُ الخُطوطِ الحَمْراء.

نَظرتْ فيديلي إلى النَّاحيةِ الأُخرَى وتَنهَّدتْ. كادتْ دُموعُها تَسيلُ منْ كَثرةِ المَتاعبِ الَّتي تَراكمتْ عليها. الامتناعُ عنِ الكلامِ أمرٌ صعبٌ حقّاً! وقريباً سَيدْخلُ مَلكُ المَخاطرِ مُتبختِراً على جدارِ الخيمة، وَيُقبضُ عليهِ بِتهمةِ الرَّسمِ على ساعةِ الكنيسةِ أيضاً! في حُضورِ بريتا والنَّاسِ جَميعاً! شَعرتْ فيديلي بِيَدٍ كبيرةٍ تُربِّتُ على رأسِها.

– سَوفَ أَحتفظُ بِهذه الحَلوى حتَّى نَعودَ إلى البيتِ، حتَّى لا تَقفَ في حَلقِنا حينَ نُشاهدُ فنونَ السِّيركِ. قالَ المحافظُ.

بدأَ يَشْرحُ ويشِيرُ إلى الأشياءِ ويخْبرُهما عنْ أسمائِها. أنَّ الدَّائرةَ المُغطَّاةَ بِنشارةِ الخشبِ في الوسطِ تُدْعَى حَلَقةً، وأنَّ الحِبالَ المُتدلِّيةَ منَ السَّقفِ تُدعَى أراجيحَ. كانَ الجميعُ منْ حولِهم يَتكلَّمونَ أيضاً، ولو أجابتْ فيديلي لَما سَمِعَ المحافظُ ما قالتْ. لذلكَ اكْتفتْ بِالإيماءِ بِنَعَمْ طَيلةِ الوقتِ.

أخيراً عَمَّ الصّمتُ، وكانَ العَرْضُ على وشكِ أنْ يبدأَ. عُزِفتِ الموسيقى بدايَة بِقعْقعةٍ عنيفةٍ. دوائرُ منَ الضَّوءِ الأحمَرِ والأبيضِ أنارتِ الأرضَ. دَخَلَت عَشرةٌ منَ الخَيلِ الحَلقةَ كالعاصِفة، ولمْ ينْطقْ أحدٌ بِكلمةٍ سوى المحافظِ:

– امسكي بي فقطْ إنْ شَعرتِ أنَّ التّشويقَ أَعْنَفُ مِمّا تَحتَملينَ. قالَ لِفيديلي.

إنَّه لطيفٌ فعْلاً. تحتاجُ فيديلي للإمساكِ بِهِ في الحالِ؛ لأنَّها كانتْ تَخشَى أنْ يدْخلَ مَلِكُ المَخاطرِ في أيَّةِ لحظةٍ ويَتِمَّ كشفُ أمرِهِ. لكنَّها لمْ تفعلْ ذلكَ. إذا كانَ المحافظُ ضدّ مَلكِ المَخاطرِ فلا يُمكنُ أنْ تقفَ فيديلي في صَفِّهِ. هيَ مُجبَرةٌ على الانتِظارِ لتُراقبَ تطوُّرَ الأحداثِ. أرْهقَ التَّوترُ فيديلي كلياً.

لكنَّ نُمورَ العَرْضِ مَّرتْ واحدةً تلوَ الأُخرَى دونَ أنْ يَظهرَ مَلكُ المَخاطرِ للعيانِ. رأتْ فيديلي فنَّانِي الفروسيَّةِ يرقصونَ فوقَ ظُهورِ الخيلِ، ورأتْ بهلواناتٍ منَ الصِّينِ يَتلَوَّوْنَ ويقلبونَ أجسادهم منَ الدَّاخلِ إلى الخارجِ، وأسدُ بحرٍ يَعُدُّ إلى العَشرةِ، ويَحمِلُ الطَّاباتِ فوقَ خطمِهِ. كانَ المُهرِّجُ؛ صاحبُ الأنفِ الأحمرِ هناكَ فعلاً، وكذلكَ الفيلُ الَّذي يقفُ على ساقيهِ الخلفيَّتيْنِ وينفخُ في النَّايِ. صاحَ أحدُهم مرّةً «مَلكُ المخاطرِ»! لكن الَّذي ظهرَ حينها رجلٌ قصيرٌ وسمينٌ، لا شَبَهَ بينَهُ وبينَ الصُّورةِ في الإعلاناتِ. روَّضَ الأُسودَ وبَدا على مُحيَّاهُ الغَباءُ. يَبدو أنَّهُ قد حُذِّرَ مَلكُ المخاطرِ الحقيقيُّ. تنفَّستْ فيديلي

الصُعداءَ. رُبَّما أسرعتْ سيري إلى السِّيركِ بعدَما قرأتِ الرِّسالةَ فوجدتَهُ قبلَ أنْ يأتيَ دورُهُ للمُشاركةِ في العرْضِ، فأَرْسلَ بديلاً عنْهُ كي لا يُقدِّمَ العرْضَ بنفسِهِ!

حسناً، ها نحنُ قد شاهدْنَا كلَّ ما لديهم. قالَ المحافظُ عندَ انْتهاءِ العرْضِ.

– تخيَّلوا أنَّ السَّاعةَ الآن السَّادسة! قالتْ والدةُ فيا عندَما خرجوا منَ الخَيمةِ، وشاهدوا ساعةَ الكَنيسةِ.

– نعمْ، وما زالَتِ السَّاعةُ تَبدو غريبةً. قالَ المحافظُ.

حَبَستْ فيديلي أنفاسَها مجدَّداً.

– هل يُفكِّرُ حَضرةُ المحافظِ باتِّخاذِ إجراءاتٍ قانونيَّةٍ بِحقِّ منْ رَسمَ على لوحةِ السَّاعةِ؟ سألتْ والدةُ فيا.

– لنْ أفعلَ ذلكَ ما دُمتُ أجهلُ هُويَّةَ الفاعلِ. قالَ المحافظُ. كِدتُ أشكُّ بِأنَّ الفاعلَ واحدٌ منْ جماعةِ السِّيركِ، لكنْ يَبدو أنَّ الأمرَ ليسَ كذلكَ. وبِالمُناسَبةِ، أنا سعيدٌ لأنَّني لنْ أضْطرَّ لمُقابلةِ الفاعلِ. لديَّ ما يكفي منَ الأشخاصِ الَّذينَ ينتظرونَ أَحْكامي في كلِّ الأحوالِ!

– أُدْرِكُ ذلكَ... قالتْ والدةُ فيا. أنْ يَدعُوَنا حضْرةُ المحافظِ لمُشاهدةِ عرْضِ السِّيركِ عملٌ لطيفٌ حقّاً!

بَدأتْ فيديلي ترقُصُ أمامَهم على مسافةٍ كافيةٍ لجعلِها عاجزةً عنْ سماعِ بقيَّةِ الحديثِ. فرِحتْ كثيراً لنجاةِ مَلكِ المَخاطرِ منَ الخَطرِ. فرِحتْ كثيراً لقُربِ انتهاءِ النَّهارِ وأنَّ المحافظَ على حاله. سَوفَ

تَستعيدُ الحجرَ الأبيضَ يومَ غدٍ!

بدايةُ الإنجازِ الثَّانِي لِملكِ المخاطرِ

كانَ الضَّجيجُ دائماً يَعُمُّ بيتَ الإسكافيِّ عندَ اسْتيقاظِ الجميعِ منَ النَّومِ.

– هنينغ يسْتهلكُ الصَّابونةَ كليّاً؛ فلا يتبقَّى لي شيءٌ منها، صرختْ نانا. ها هوَ يَغسلُ أُذنَيهِ مرَّةً ثانيةً!

– لنْ أُرتِّبَ السَّريرَ؛ لأنَّني لمْ أقُمْ بِحَرَكةٍ واحدةٍ طيلةَ اللّيلِ. صرخَ توري.

– إيفور تشدُّ قَميصَ نومِي، صَرختْ سيري. تُريدُ أنْ تَجعلَه أوسعَ لكَي تَقولَ إنَّهُ قميصُها هيَ!

– لماذا لا نسْكنُ في بيتٍ يَتَّسعُ للجميعِ؟ قالتْ زوجةُ الإسكافيِّ. لا يُمكنُ جَعْلُ الأولادِ يتَّبعون نِظاماً مُعيَّناً ما داموا يضْطَرُّونَ لتغييرِ ملابسِهِم في غُرفةٍ واحدةٍ! إنَّهُم يُثيرونَ ضَجَّةً كفيلةً بِأنْ تجعلَ أُذُنَيْ المَرءِ تقعانِ منْ مكانِيهما! بيتُ المحافظِ يتألَّفُ من عشرِ غرفٍ! أكادُ أُصابُ بِالجنونِ!

– اطْلبِي منْهُ أنْ تتبادلا المَنزلَ إذاً. لمْ يجبرْني أحدٌ على السكنِ

هُنا. قالَ الإسكافيُّ. تَوقّفِي عنِ التَّذمرِ منْ كلِّ شيءٍ وإلَّا سَنضْطُرُّ للانتقالِ.

– ها هما يبدآنِ منْ جديدٍ. قالَ هنينغ.

– إيَّاكَ والشَّجارَ يا هامبوس! صَرختْ زوجةُ الإسكافيِّ

– لنْ ينتقلَ أحدٌ، سَوفَ نَبقى هُنا. صَرخَ هامبوس وضَربَ غطاءَ الأريكةِ بِقبضةِ يدِهِ. في المرَّةِ القادمةِ سَترحلونَ وحدَكم.

– إنَّها تلكَ البنتُ، مرَّةً أُخرَى. قالَ لولي الجالسُ عندَ نافذةِ المطبخِ. إنَّها تَقفُ خارجَ بوَّابةِ منزلِ المحافظِ. – البنتُ الخرْساءُ!؟ صاحتْ سيري وأَتتْ مُسرعةً.

– البنتُ الَّتي أكلنا شَطيرتَها! قالَ لولي.

– بماذا تَهذونَ؟ قالَ هامبوس.

– البنتُ الّتي تقفُ هُناكَ، صرختْ سيري. أَعطتْنِي كيساً البارحةَ، وأشارتْ إلى كلِّ ما بينَ الأرضِ والسَّماءِ، ثُمَّ سارتْ في طريقِها.

– كانَ في الكيسِ شَطيرةٌ. قالَ توري.

– لا تأْخُذوا الصَّدقاتِ منَ النَّاسِ. قالتْ زوجةُ الإسكافيِّ.

– سَنأخذُها فقط حينَ تكُونُ شَطائرَ طريَّةً مليئةً بِالجُبنةِ. قالتْ سيري.

– التهمَتْ سيري الشَّطيرةَ كلَّها تقريباً. صَرخَ توري. وكانَ داخلَ الشَّطيرةِ ورقةٌ كَتَبتْ عليها شيئاً ما! أظنُّ أنَّ تلكَ البنتَ مَعتوهةٌ بِطريقةٍ ما.

– كُنْ مهذَّباً عندَما تتحدَّثُ عنْ أشخاصٍ لا تَعرفُهم!! زأرَ هامبوس، وقذفَ توري بِحذاءٍ بِأعنف ما اسْتطاعَ.

– لا تَفتَعِل المشاكلَ يا هامبوس! قالتْ زوجةُ الإسكافيِّ. عنْ أيَّةِ ورَقةٍ تتحدَّثُ يا لولي؟

– لستُ أدري، لقد لعَقْتُ ما كانَ عليها منْ طعامٍ ثُمَّ رميتُها. قالَ لولي.

– في صُندوقِ بريدِ بيتِ المحافظِ. قالَ توري.

أدارَ هامبوس ظهرَهُ للنَّافذةِ، وارتَدى قميصَهُ. لقد رأى هيئتَها اليومَ. إنَّها تَرتدي الفُستانَ الأبيضَ ذاتَهُ، لكنَّ رباطَ شعرِها جديدٌ. وشعرُها اليومَ أكثرُ سواداً! كانتْ تتحرَّكُ قليلاً تحتَ أشعَّةِ الشَّمسِ، وكأنَّها سحليَّةٌ تَنوي الهروبَ. لكنَّها ما زالتْ تنتظرُهُ حتَّى هذه اللَّحظةِ.

صَعدَ إلى الطَّابقِ العُلويِّ دونَ أنْ ينظرَ إلى منْ كانوا في المطبخِ. كانَ الطَّابقُ العُلويُّ خالياً لا مفروشاتٍ فيهِ. سارَ على خشبِ الأرضِ العارِي، واسْتندَ إلى جدارِ السَّقفِ المائلِ. يوجُد قربَ الدَّرجِ مَخزونُ الإسكافيِّ منَ الجلدِ وبعضُ الكراسي المُكسورةِ. توازنَ مَلكُ المَخاطرِ سائراً بِاتِّجاهِ الكُوَّةِ في الجدارِ الجانبيِّ للمنزلِ والَّتي تَفتقِدُ للزُّجاجِ، تسلَّلَ من خلالِها، ثُمَّ تعلَّقَ بِأصابعِهِ واختفَى بِقَفزةِ نَمرٍ حينَ وصلَ إلى الأرضَ. بعدَ دقيقةٍ واحدةٍ تسلَّلَ من خلالِ السِّياجِ النَّباتيِّ لبيتِ المحافظِ، ووقفَ بينَ شُجَيْرَتَيْنِ في الحديقةِ. انتظرَ أنْ تُغادرَ فيديلي البوَّابةَ حيثُ يستطيعُ أبناءُ الإسكافيِّ رؤيتَها. الحجرُ الأبيضُ في أمانٍ

في جيبِهِ. وعندَها استطاعَ أنْ يشعرَ كم هوَ ناعمٌ ولطيفُ الملمسِ، ذلكَ الحجرُ ناعمٌ، وكأنَّهُ طرَفُ أُصبَع، وأبيضُ كالثَّلج. لمْ يكنِ المَرءُ بِحاجةٍ لأنْ يَحمِلَهُ بين يديْهِ وينظرَ إليهِ لكي يرَى جمالَهُ.

سارتْ فيديلي مُبتعِدةً عنِ البوَّابة. نظرتْ حولَها في جميعِ الاتِّجاهاتِ، وسارتْ فوقَ سَجَّادةِ العُشبِ إلى الشَّجرةِ الكبيرةِ الَّتي وقفتْ هُناك، وقد التفَّتْ بِمعطفٍ أخضرِ اللَّونِ منْ رأسِها حتَّى أسفلِ الجِذعِ. وهناكَ اخْتفتْ بينَ طيَّاتِ المِعطفِ الأخضرِ. بدا وكأنَّ الشَّجرةَ سَحرَتْها، وجعلتْها تَخْتفِي.

راقبَ مَلكُ المَخاطرِ المكانَ بِحذرٍ ليعرفَ مكانَ السَّيدِ الضَّخمِ والعجوزِ الَّتي ترتدي مِريلةَ المطبخِ، والسَّيِّدةِ الحزينةَ الَّتي رآها في الحديقةِ سابقاً، قبلَ أنْ يخفِضَ رأسَهُ ويَعدو في ظلِّ السِّياجِ النَّباتيِّ خلفَ فيديلي، حتَّى وصلَ عند شجرةِ الزَّيزفون داخلَ أغصانِ الشَّجرةِ. عمَّتِ الخُضرةُ والفراغُ. لمْ يستطعْ ملكُ المخاطرِ أنْ يرى فيديلي هناك.

هَمَسَ «هل أنتِ هُنا يا فيديلي؟»

رأى عندَها قدماً تتأرجحُ في الهواءِ فوقَ رأسِهِ. كانتْ فيديلي في أعلى الشَّجرةِ جالسةً على ما يُشبِهُ كرسيّاً أسودَ اللَّونِ منَ الأغصانِ، وتنظرُ إلى الأسفلِ.

– اصعدْ إلى هُنا. هَمستْ.

أَحْكَمَ ملكُ المَخاطرِ قبضتَهُ على الحَجرِ الأبيضِ، واندفعَ نحو الأعلى، بينَ الأغصانِ.

– لا تأتِ منْ هذا الطَّريقِ بل تعالَ منْ هناكَ، وإلَّا اهتزَّتِ الأغصانُ، وقد يرى ذلكَ أحدٌ ما. همستْ فيديلي.

أطاعَ ملكُ المخاطرِ تعليماتِها، وأتى وجلسَ بِجانبِها.

كانَ المكانُ يتَّسِعُ لكليهما عندَ تَفَرُّعِ الغُصنينِ إذا أدارَ كلٌّ منْهما ظهرَهُ للآخرِ. أظهرَ ملكُ المخاطرِ الحجرَ وأراها إيَّاهُ.

– سَوفَ أُعْطيكِ الحجرَ حينَ أعرفُ نتيجةَ الاختبارِ. وَعَدَها.

اسْتدارتْ فيديلي، وابتسمتْ لَهُ ابتسامةً صغيرةً.

– لمْ أقلْ شيئاً طيلةَ اليومِ! قُمْتُ بِما وعدْتُ بِهِ تماماً. حاولَ الجميعُ أنْ يجعلني أتكلَّمُ لكنِّي لمْ أفعلْ. لو لمْ أعُدْ إلى طبيعتِي لاضْطرُّوا لإحضارِ الطَّبيبِ. لمْ تُقبِّلْنِي أُمِّي قبلَ النَّومِ البارحةَ؛ لأنَّ تَصرُّفاتِي بدت لئيمةً!

– أَخبرينِي الحكايةَ منْ بدايتِها قالَ مَلكُ المخاطرِ.

– لكنَّكَ لمْ تُخْبرْني كيفَ رَسمتَ على لوحةِ ساعةِ الكَنيسةِ!

– سَوفَ أُخبِرُكِ بِذلكَ لاحقاً. قالَ مَلكُ المخاطرِ.

– لكنَّكَ قُمْتَ بِالرَّسمِ على السَّاعةِ أوَّلاً. قالتْ فيديلي.

فَكَّرَ مَلكُ المَخاطرِ للحظاتٍ.

– لستُ أدري منْ أينَ أبدأُ!

– ابدأْ كما تَبدأُ الحكاياتُ. قلْ كما يلِي: كان ياما كان... ولدٌ يُدْعَى مَلكُ المَخاطرِ!

– كان ياما كان ولدٌ يُدعَى مَلكُ المخاطرِ وهوَ أنا. بَدأ ملكُ المخاطرِ

حكايتَهُ، ثُمَّ أخبرَها بكلِّ شيءٍ.

تَسلَّقَ عبر أنحاءِ الشَّجرةِ، وهوَ يُخبِرُها بِالحكايةِ، وتَبِعتْه فيديلي، لكَي يَرَى كلٌّ منْهمَا الآخرَ طيلةَ الوقتِ. وكانا يتوقَّفانِ فتراتٍ طويلةً أحياناً وهما على ذات الغُصنِ، عندَ التَّفاصيلِ المشوِّقةِ منَ الحكايةِ. عِندَما سَمِعتْ فيديلي ما قالَهُ عنْ صاحبِ الدُّكَّانِ ووعاءِ الجلخِ، اضْطرَّتْ لأنْ تُخبرَهُ بِما ظنَّتهُ العمَّةُ مالين بِخصوصِ الأمرِ. وعندَما أتَى دورُ فيديلي لتُخبرَهُ عنِ المشكلةِ الَّتي تسبَّبتْ فيها عبارةُ الشُّكرِ على الطَّعامِ سألَ ملكُ المخاطرِ:

– هل بكيْتِ عندَها؟

– أجلْ، بكيْتُ، لكنِّي لمْ أقلْ شيئاً. البكاءُ ليسَ مثلَ الكلامِ!

– هذا صحيحٌ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

ثُمَّ تسلَّقا إلى مكانِ الجلوسِ في قِمَّةِ الشَّجرةِ ثانيةً. أسندَ كلٌّ منْهما ظهرَهُ إلى ظهرِ الآخرِ كما فعلا سابقاً.

– خُذي الحَجرَ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

عندما صارَ الحجرُ في جيبِ فيديلي، عمَّ السُّكونُ كلياً بين أغصانِ شجرةِ الزَّيزفون.

– هل ننزلُ من على الشَّجرةِ الآن؟ سألتْ فيديلي.

– لا، دَعينا نَبقَى هُنا. سَتكونُ هذهِ الشَّجرةُ منَ الآنَ فَصاعداً مكانَ لقائِنا السِّرِّيَّ. لا يستطيعُ أحدٌ رؤيتَنا حينَ نجلسُ هُنا.

– لكنَّنا نستطيعُ رؤيةَ الآخرينِ. تستطيعُ أنْ ترى العمَّةَ مالين

هُناكَ، وهُناكَ السَّيدةُ باترشون! إنَّها معلِّمةُ موسيقى. قالتْ فيديلي بِصوْتٍ منخفضٍ.

أشارتْ إلى المِقعدِ المُحاذي لبابِ المطبخِ. لمْ يُجبْ ملكُ المخاطرِ. يبدو أنَّهُ لا يرى أنَّ مِهنةَ تعليمِ الموسيقى مِهنةٌ حَمقاءُ.

وهناكَ، في غرفةِ النَّومِ، يجلسُ المحافظُ.

– وهناكَ في الطَّريقِ تريْنَ سيري وهنينغ وتوري. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– هل تعرفُهُم؟ سألتْ فيديلي.

– إنَّهم أبناءُ الإسكافيِّ. أجابَ ملكُ المخاطرِ.

نَزَلا إلى أسفلِ الشَّجرةِ ثُمَّ تسلَّقاها صُعوداً ثانيةً. وهكذا أمضيَا فترةَ ما قبلَ الظُّهرِ وهما يتسلَّقان صُعوداً ونُزُولاً. عَمَّ الصَّمْتُ شجرةَ الزَّيزفون. ظلمةٌ معتدلةٌ وسُكونٌ أخضرُ رائعٌ وظلامٌ، وعُشُّ طيورٍ سعيدٌ. حينَ كانا يقفانِ على الأرضِ مَرةً وينظرانِ من خلالِ ورقِ الزَّيزفون قالَ ملكُ المخاطرِ:

– لماذا لا تُخْبرينني باسْمِ كلٍّ من والدِكِ ووالدتِكِ؟

– لأنَّ الكلامَ عنْ ذلكَ أمرٌ خطيرٌ. لا أريدُ الكلامَ عنْ ذلكَ أبداً، أبداً. قالتْ فيديلي.

– وأنا لا أريدُ الكلامَ عنِ السِّيرِكِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– ما هوَ أكثرُ ما تكرهُهُ في العالمِ كلِّهِ سألتْ فيديلي.

– الانتقالُ من مَسكنٍ لآخرَ. ما هوَ أكثرُ ما تكْرهينَ؟

– أَكْرهُ الأطفالَ الآخرينَ في المدرسةِ!

علا صوْتُ الجرسِ من داخلِ بيتِ المحافظِ. بَدا صوْتُهُ حزيناً وآمراً في آنٍ معاً. لـمْ يَسبِقْ لملكِ المخاطرِ أنْ سَمِعَ صوْتاً مثلَ ذلكَ الصَّوت.

– عليَّ أنْ أدْخلَ البيتَ الآنَ. قالتْ فيديلي.

– هل أنتِ مُجبَرةٌ على الدُّخولِ كلَّما سَمعتِ ذلكَ الصَّوت؟

أومأتْ فيديلي برأسِها إيجاباً.

– لقدْ صارَ الحَجرُ ملْكاً لكِ ثانيةً. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– تَستطيعُ الحُصولَ عليهِ مرَّةً أُخْرَى. قالتْ فيديلي ونظرتْ بِقلقٍ نحوَ المنزلِ.

– ماذا عليَّ أنْ أفعلَ عندَها؟ أجيبِي بِسرعةٍ!

فكَّرتْ فيديلي قليلاً.

– عليكَ أنْ تربطَ فيلَ السِّيركِ إلى سارية العَلمِ في حديقةِ مُعلِّمةِ المَدرسةِ. قالتْ فيديلي، وركضتْ خارجةً منْ حُضنِ الشَّجرةِ.

ملكُ المَخاطرِ ونزهةُ الفيلِ

لمْ يُضَيِّعْ مَلكُ المخاطرِ الوقتَ في التَّفكيرِ وتَوخِّي الحذرِ، بلْ توخَّى حذرَ التَّفكيرِ أيضاً. في اللَّحظةِ الَّتي غادرتْ فيها فيديلي الشَّجرةَ تَسلَّلَ خارجاً، وانطلقَ نحوَ ساحةِ الاحتفالاتِ بِالقربِ منْ ساحةِ القريةِ الرَّئيسَةِ. كانَ يَعدو تقريباً، ويَقْذفُ الحَصَى أمامَهُ بِقدَميهِ. نظرَ إلى بُرجِ الكَنيسةِ بينَ الفينةِ والأُخْرَى، برجُ الكنيسةِ الَّذي نظرَ إليهِ أيضاً، مُبتسماً بعضَ الشَّيءِ، بِأسنانِهِ المرسومةِ بِالقطرانِ. لمْ تَخطرْ لأحدٍ حتَّى الآنَ طريقةٌ للتَّخلُّصِ منْ تلكَ البُقعِ الدَّاكنةِ على لوحةِ السَّاعةِ. رَدَّ ملكُ المَخاطرِ الابتسامةَ. كانَ راضياً بِمُهمَّتِهِ الجديدةِ، فإذا تَمكَّنَ منَ الرَّسمِ على لوحةِ ساعةِ البرجِ، فلنْ تَصعُبَ عليهِ قيادةُ الفيلِ! يعلمُ أنَّهُ يخشَى الكلابَ الغاضبةَ، لكنَّهُ لمْ يشعرْ بِالخوفِ يوماً منَ الفيلةِ، إنْ لمْ تَخُنْهُ الذَّاكرةُ. رآهُ كلٌّ من لولي ونانا وأرادا مرافقتَهُ.

– إلى أينَ أنتَ ذاهبٌ؟ صَرختْ نانا.

– إلى «تَعثَّرْ واشتَرِ خيطاً. إنْ رافقتِني سَنصيرُ اثنينِ»! قالَ ملكُ المخاطرِ.

– أجلْ، هل تسمحُ لنا بِمُرافقتِكَ؟ صرخَ لولي.

– لا، لنْ أسمحَ لكما بِذلكَ! صرخَ ملكُ المخاطِرِ. اذهَبَا إلى البيتِ حالاً! هيَّا!

أبطأَ لولي ونانا سيرَهُما وعادا إلى بيتِ الإسكافيِّ. لكنَّ ملكَ المخاطِرِ تابعَ سيرَهُ بِاتِّجاهِ السَّاحةِ. لا زالتْ خيمةُ السِّيرك هناكَ، تُزيِّنُ الأَعلامُ زواياها. كانَ عمَّالُ السِّيرك مُنصَرفينَ للقيامِ بِمَهامِّهم داخلَ مِنطقةٍ مُحاطةٍ بِسياجٍ أزرقِ اللَّونِ، نَصَبوهُ حولَ مكانِ السِّيركِ. جلسَ المُهرِّجون على سُلَّمٍ عَربَةٍ مُنكبِّينَ على لُعبةِ الورقِ. نشرتِ امرأةٌ سَمراءُ ترتدي ثوباً أحمرِ اللَّونِ الغسيلَ على الحبلِ. بينما وقفَ مديرُ السِّيركِ في الباحةِ، وراحَ يحْلِقُ ذقنَهُ.

لقد سبَقَ لملكِ المخاطِرِ أن زارَ هذا المكانَ قبلاً. ركض هناكَ ذهاباً وإيَاباً معَ بقيَّةِ أولادِ القريةِ، الَّذين رغِبوا في المُشاركةِ في إطعامِ حيواناتِ السِّيركِ. دخلَ الآنَ مُباشرةً عبرَ فتحةٍ في السِّياجِ، وتوجَّهَ إلى زاويةٍ تَقَعُ خلفَ خيمةِ السِّيركِ. كانتْ أقفاصُ الأسودِ قد وُضِعتْ فوق مِنصَّاتٍ مُزوَّدةٍ بعجلاتٍ. وكانَ للخيلِ حَيِّزٌ مُسيَّجٌ في مَرْجٍ بِجوارِ السَّاحةِ، وفي وَسَطِ المَكانِ المَفتوحِ خلفَ الخيمةِ زُرِعتْ حَلقةٌ حديديَّةٌ في الأرضِ، إنَّها مَربطُ الفيلِ.

أدارَ ملكُ المخاطِرِ رأسَهُ، ونظرَ مرَّةً في كلِّ جهةٍ. عَجَّ المكانُ بِأطفالِ القريةِ، لكنْ لا أثرَ هناكَ لمروِّضِ الفيلِ.

سارَ ملكُ المخاطِرِ مُباشرةً نحوَ الفيلِ، وحلَّ عُقدةَ الحَبلِ الَّذي رُبِطَ به.

– هيَّا بِنا. قالَ للفيلِ.

– هلْ حانَ وقتُ استراحتِه؟ سألتْ إحدى البَنات.

– نعمْ. قالَ ملكُ المخاطِرِ.

– هل حانَ وقتُ انتقالِ السِّيركِ؟ قالَ ولدٌ في سِنِّ لولي.

– أجلْ. قالَ ملكُ المخاطِرِ.

– هلْ أنتَ صاحبُ الفيلِ!؟ سألَ ولدٌ لمْ يُصدِّقْ ما سمعَتْ أُذناهُ.

– نعمْ. أجاب ملكُ المخاطِرِ مجدَّداً.

– لا، أنتَ لستَ صاحبَهُ. قالَ الولدُ صاحبَ الأُذنين.

– لا تتدخَّلْ في ما لا يعنيكَ! قالَ ملكُ المخاطِرِ، وشَدَّ حبلَ الفيلِ.

نَظَرَ الفيلُ إليهِ منَ الجانبِ. نَفَثَ الهواءَ السَّاخِنَ منْ خُرطومِهِ فوقَ رأسِ ملكِ المخاطِرِ، ثُمَّ سارَ باتِّجاهِهِ مُباشرةً. ظنَّ ملكُ المخاطِرِ للحظةٍ أنَّ في نيَّةِ الفيلِ أنْ يَدوسَهُ بأَقدَامِه، ثُمَّ أدْركَ أنَّ هذا ما يَشعرُ بهِ المرءُ دائماً عندَما يأتي فيلٌ مُتَنزِّهاً باتِّجاهِهِ. أسرعَ خُطاهُ ليسبقَ الفيلَ.

وها نحنُ نبدأُ مَسيرتَنا الآنَ. قالَ للأطفالِ حينَ خرجَ منْ أقربِ فُتحةٍ في السِّياجِ.

أسرعَ الأطفالُ وتَبعوهُ. سَلكَ ملكُ المخاطِرِ أوّلَ مُفترَقِ طرُقٍ قابلَهُ. سارَ بأقصى سُرعةٍ ممكنةٍ دونَ أن يَعدو؛ لأنَّهُ أرادَ أنْ يغيبَ عنِ الأنظارِ معَ الفيلِ عندَ زاويةِ بيتٍ قريبٍ، بأقصَى سرعةٍ ممكنةٍ. لمْ يكنْ لديهِ خُطَّةٌ للخروجِ منَ المَأزقِ في حالِ رأى مروِّضَ الفيلِ ما فَعَلَ.

– احفظْنا يا ربُّ! هل تَجرؤ على قيادةِ حيوانٍ ضخمٍ مثلَ هذا؟

قالتْ سيِّدةٌ عجوزٌ مرَّتْ بِهِ، وهي تحملُ زجاجةَ حليب.

– الأمرُ ليسَ معقَّداً، إنَّهُ حيوانٌ لطيفٌ للغايةِ. أجابَ ملكُ المخاطرِ الَّذي كادَ أنْ يُصدِّقَ ما قالهُ لسانُه.

ربَّتَ على خُرطومِ الفيلِ بيدِهِ، فرَفَعَ خُرطومَهُ على شكلِ حَلَقةٍ مُستديرةٍ إلى أعلى، ثُمَّ عادَ وأنزلَهُ ثانيةً. بَدا مُعتاداً على السَّيرِ في نُزهاتٍ معَ منْ هُم أصغر منهُ حجماً، إذ سارَ معَ ملكِ المخاطرِ دونَ أنْ تبدو عليهِ الدَّهشةُ. تخطَّوا زاويةَ الشَّارعِ. وبدأَ عندَها ملكُ المخاطرِ بالتَّصفيرِ.

– إلى أينَ أنتَ ذاهبٌ بِهِ. صرخَ الأطفالُ الَّذين تراكضوا بِجانبِهِ على أطرافِ الطَّريقِ.

– إلى «تعثَّرْ واشْترِ خيطاً. إن رافقتَني سَنصيرُ اثنينِ» قالَ ملكُ المخاطرِ.

– سَنصيرُ أحدَ عَشرَ. نادتْ إحدى البنات. – بل سَنصيرُ اثنَيْ عَشرَ معَ الفيلِ. أردفَ صبيٌّ آخر.

– الفيَلةُ لا تُحْسَبُ كواحدةٍ، بلْ كتسعَ عَشرَةَ. قالَ ملكُ المخاطرِ لهم.

ضحكَ الأولادُ لكلامِهِ. قَفَزوا فَرَحاً، وشَعروا أنَّ الكلامَ مَعَهُ شرفٌ.

– إنَّني أَجرؤ على السَّير في ظلِّ الفيلِ. قالتِ البنتُ الَّتي تكلَّمتْ مُنذُ قليلٍ.

– كم عُمرُكَ؟ سألَ صبِّي.

– عُمري منْ عمرِكَ في كلِّ الأحوالِ. أجابَ ملكُ المخاطرِ.

– أجلْ، بِالطَّبعِ، لكنِّي أودُّ أنْ أجرُؤَ على السَّيرِ بِهِ كما تَفعلُ أنت، لو كنتُ مُعتاداً على السَّير معَ الفيلَةِ.

– ماذا؟ السَّيرُ معَ الفيلةَ ليسَ فنّاً مُعقَّداً! قالَ ملكُ المخاطرِ بازدراءٍ.

سارتِ القافلةُ الآنَ في تلكَ القطعةِ الصَّغيرةِ منَ الطَّريقِ الّتي تُسمَّى «شارعُ المَلكِ». شارعُ المَلكِ يَعجُّ بِالمتاجرِ الَّتي خرجَ منْها النَّاسُ، وراحوا يُلوِّحونَ بِأيديهم للقافلةِ. كانوا يظنُّونَ أنَّ ملكَ المخاطِر هو مروِّضُ الفيلِ الحقيقيُّ، ولمْ يَخطرْ بِبالِهم احتمالٌ مُغايرٌ لذلكَ. حاولَ ملكُ المخاطرِ أن يبذُلَ قُصارَى جُهدِه لكَي يَبدوَ كمروِّضِ فيلةٍ مُتمرِّساً في مهنتِهِ.

– هل لديكمُ الكثيرُ من معلِّماتِ المَدرسةِ هنا في القريةِ؟ سألَ.

– لا، لدينا معلِّمةٌ واحدةٌ تُدعى سولباري. أجابتِ البنتُ الَّتي لا زالت تَسيرُ بِجانبِهِ.

– أينَ تَسكنُ؟

– تسكنُ في البيتِ الأخيرِ منَ الشَّارعِ الَّذي يقعُ فيهِ صالونُ السِّيداتِ.

– أينَ يقعُ ذلكَ الشَّارعُ؟

– سَوفَ نَدُلُّكَ إلى الطَّريقِ. صرخَ الأولادُ.

– ماذا سَتفعلُ عندَ مُعلِّمةِ المدرسةِ؟

– سَأجعلُها تُعلِّمُ الفيلَ القراءةَ!

بدأَ الفيلُ يَتفَحَّصُ ملكَ المخاطرِ بِخُرطومِهِ. غَرسَ خُرطومَهُ في إحدى جيوبِ سروالِهِ وراحَ يبحثُ داخلَها. ثُمَّ أخرجَهُ منْ هُناكَ، ونَفَثَ الهواءَ على ظَهرِهِ. يبدو أنَّه يُريدُ طعاماً لذيذاً، لكنْ ليسَ بِحوزةِ ملكِ المخاطرِ ما يُعطيهِ. أرجو ألَّا يَغضبَ عندَما يُدْرِكُ أنَّهُ لنْ يَحصَلَ على شيءٍ، فَكَّرَ ملكُ المخاطرِ الَّذي لمْ يتجرَّأ على التَّوقفِ عنِ السَّيرِ للحظةٍ واحدةٍ؛ لأنَّهُ لمْ يكنْ متأكِّداً من رغبةِ الفيلِ في متابعةِ السَّيرِ ثانيةً، إنْ توقَّفَ.

– هل لديكُم ما تقدِّمونَهُ للفيلِ؟ أَظنُّ أنَّهُ بدأَ يشعرُ بِالجوعِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

أخرجَ ولدٌ تفَّاحةً منْ جَيبِهِ، وقدَّمتْ بنتٌ كعكةً كانتْ بِحوزتِها. توجَّه ملكُ المخاطرِ نحوَهُم إلى الطَّرفِ الثَّاني منَ الطَّريقِ ليأخُذَ ما لديهِم منْ طعامٍ يُقدِّمُهُ للفيلِ. لكنَّ الفيلَ تَبِعَهُ ممَّا جعلَ الأطفالَ يُصابونَ بِالذُّعرِ، ويتراجعونَ حتَّى سَقطوا في المُنحدرِ المُحاذي للطَّريقِ.

– حسناً، حسناً، سَنعودُ إلى حيثُ كنَّا. قالَ ملكُ المخاطرِ.

أسرعَ عائداً بِالفيلِ إلى وسطِ الطَّريقِ.

عادَ الفيلُ مطيعاً إلى وَسَطِ الطَّريقِ، لكنَّهُ ظَلَّ يُحدِّقُ طَويلاً بِطَرفِ عينِهِ في تلكَ الكَعكةِ.

– اسبِقونا، وضَعوا ما لديكُم منْ حَلوى على عَمودِ إحْدَى البوَّاباتِ اقترحَ ملكُ المخاطرِ.

فَعَلَ الأولادُ كما قالَ لهم، والتَقَطَ الفيلُ كُلّاً منَ التُّفَّاحةِ والكعكةِ.

ثُمَّ التَقَطَ عُلبةَ كبريتٍ فارغةً منْ على الأرضِ بِسبَبِ الفُضولِ، لكنَّهُ عادَ ورَماها منْ خِلالِ النَّافذةِ إلى مَكانِ سائقِ سيَّارةِ الشّحنِ.

ظَهَرَ صاحبُ الدُّكَّانِ في الطَّريقِ جارّاً عَربةً بينَ يديهِ! رآهُ مَلكُ المخاطرِ عنْ بُعدٍ، لكنَّهُ تَظاهرَ وكأنَّ شيئاً لمْ يكنْ. لا ضَيْرَ في أنْ يرَى صاحبُ الدُّكَّانِ ما تَجرّأَ على القيامِ بهِ! مَدَّ مَلكُ المخاطرِ ذراعَهُ عندَما مَرَّ صاحبُ الدُّكَّانِ بِهِ، فقامَ الفيلُ بِلفِّ خُرطومِهُ حولَها.

– لمْ يَعدْ أمامَنا سوى بَيْتَيْنِ ونَصِلُ بَعدَها إلى بيتِ المُعلِّمةِ. صاحَ الأولادُ.

رأى ملكُ المخاطرِ حديقةً صغيرةً جميلةً، وفي وسَطِها بيتٌ بُنِّيُّ اللَّونِ. البوَّابةُ مطليَّةٌ باللَّونِ الأبيضِ ومُؤلَّفةٌ من مصراعَين. علَّها تتَّسعُ لمرورِ الفيلِ!

اسْبِقونا، وافتَحوا البوَّابةَ على مِصْراعيها. صاحَ للأولادِ.

أسرعَ الأولادُ وقاموا بِما طَلبَ منْهم، ثُمَّ وَقفوا إلى جانِبَيْ البوَّابةِ ينتظرونَ. مرَّ ملكُ المخاطرِ بِالفيلِ من أمامِهم. سارَ حتَّى وصلَ الدَّائرةَ الصَّغيرةَ الَّتي نُصِبَتْ في وسَطِها ساريةُ العَلمِ. قامَ بِربطِ حبْلِ الفيلِ حولَ ساريةِ العَلمِ، ثُمَّ قَفزَ منْ فوقِ السِّياجِ واختفَى داخلَ الغابةِ.

بدايةُ الاختبارِ الثَّاني لفيديلي

شعرَ ملكُ المخاطرِ في طريقِ عودتِهِ إلى البيتِ بِالدَّهشةِ لِسهولةِ المُهمَّةِ الَّتي قامَ بِها؛ قيادةُ الفيلةِ. لكنَّهُ عدا بِسرعةٍ فائقةٍ جَعلتِ الدَّهشةَ تَعجَزُ عنِ الالتصاقِ بِهِ.

– أيُّها الشَّمالُ المثلجُ ، يا وطَنَنَا الأُمُّ، حيثُ يتطايرُ الشَّررُ منْ مواقِدِنا، على شاطئٍ تَعْصِفُ الرِّيحُ بِهِ. راحَ يُغنِّي حينَ بدأ يقتربُ منْ بوَّابةِ بيتِ المُحافظِ. قابلَ رَجُلَينِ منَ السِّيركِ يَسألانِ عنِ الفيلِ.

– جومبو واقفٌ في حديقةِ مُعلِّمةِ المَدرسةِ ويأكلُ العشبَ، أجابَهُم. إنْ كنتُم تَقصِدون الفيلَ الرَّماديَّ اللَّونِ صاحبَ الأُذُنينِ الضَّخمتين

– ماذا عسانا نَعني سِواهُ؟ قالَ أحدُ الرِّجالِ.

– أينَ يقعُ بيتُ المعلِّمةِ؟ سألَ الرَّجلُ الثَّاني.

– يَصعُبُ عليَّ أنْ أصِفَ لكُما الطَّريقَ منْ هُنا. قالَ ملكُ المخاطرِ. لا يَسَعُني فِعلُ ذلكَ فأنا جديدٌ في هذهِ القريةِ. اِنتَظِراني هُنا، وسَوفَ أُحْضِرُ بنتاً تَعرِفُ العُنوانَ!

كانَ صبرُ الرَّجلينِ على وشكِ النَّفادِ، لكنَّ ملكَ المخاطرِ أسرعَ منْ

هُناكَ قبلَ أنْ يُجيباهُ. عدا نحوَ البيتِ بِأقصى سرعةٍ، وغنَّى في الوقتِ ذاتِهِ «أيُّها الشَّمالُ المثلجُ.»

– هل ستُعطيني الحَجرَ الأَبيضَ؟ لَهثَ مَلكُ المخاطرِ. لقدْ رَبطتُ الفيلَ إلى سارية العَلمِ!

– لنْ تَخدعَني بهذهِ السُّهولةِ! قالتْ فيديلي.

– إنَّني أقولُ الحقيقةَ. الفيلُ سارَ معي بكلِّ سُهولةٍ!

– طبعاً! بِالتَّأكيدِ! أنتَ تعملُ في السِّيركِ، والفيلُ يعرفُكَ بِالطَّبعِ.

ظهرتِ الدَّهشةُ على ملامحِ ملكِ المخاطرِ لحظةً.

– إنَّهُ فيلٌ نَزِقٌ لا يُطيقُ النَّاسَ! هو لا يُطيعُ أحداً سوى مروِّضِ الفيلةِ في الحقيقةِ! لمْ يسبِقْ لي الخروج معَهُ منْ قبلُ، لكنَّهُ أطاعَني رَغمَ ذلكَ.

– كيفَ وجدتَ منزلَ المُعلِّمةِ؟ سألتْ فيديلي.

– لقدْ سألتُ عنِ العُنوانِ. هُناكَ رجلانِ يَقفانِ عندَ البوَّابةِ يريدانِ أنْ يُعيدا الفيلَ إلى حَظيرتِهِ! هل تَصفينَ لهُما الطريقَ؟ لا أريدُ الظُّهورَ أمامَهُما ثانيةً. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– سوفَ أحاولُ. قالتْ فيديلي.

أرادتْ أنْ تذهبَ إلى بيتِ المُعَلِّمة وتَرَى الفيلَ بِأُمِّ عينِها، على الرَّغمِ منْ أنَّها كانتْ مُتأكِّدةً منْ أنَّ ملكَ المخاطرِ قد أخبرَها بالحقيقةِ.

– الحجرُ الأبيضُ صارَ مُلكَكَ ثانيةً قالتْ، ثمَّ ناولَتْهُ الحجرَ وراحتْ تعدو.

– سَنلتقي لاحقاً! تعلمينَ أينْ... صاحَ ملكُ المخاطرِ خلفَها.

عليهِ الذهابُ إلى بيتِ الإسكافيِّ الآنَ ليتناولَ شيئاً منَ الطَّعامِ.

أينَ كنتَ كلَّ هذا الوقتِ؟ قالتْ زوجةُ الإسكافيِّ عندَ دخولِهِ المطبخَ.

انتَشرتْ على الطَّاولةِ صُحونٌ لمْ يَتبقَّ فيها شيءٌ منَ الطَّعامِ، ولمْ يتبقَّ منَ الخُبزِ سِوى كِسرةٍ صغيرةٍ. ولمْ يبقَ في قدْرِ الفاصولياءِ إلَّا ما التصقَ في قعرِها.

كانتِ الضَّوضاءُ تملأُ المطبخَ عندَ تناولِ الوجباتِ في بيتِ الإسكافيِّ.

– لقدْ حصلَ هنينغ على قِطعِ لحمٍ أكثرَ منِّي. صرختْ نانا وحلقُها يكادُ يَغصُّ بِما فيه منْ طعامٍ.

– لقدْ التهمتُ حصَّتَكِ منَ البطاطسِ يا هامبوس؛ لأنَّكَ منعتني منْ مُرافقتِكَ. قالَ لولي.

– لا يهمُّنِي ذلكَ. قالَ هامبوس.

– سيري تدفعُنِي حتَّى يندلقَ الشَّرابُ على سُترتي. صرختْ نانا.

– تخيَّلوا ألَّا نسكنَ مرَّةً في بيتٍ يتَّسعُ لنا جميعاً! قالتْ زوجةُ الإسكافيِّ. كلَّما أردْتُ أنْ أُقدِّمَ الطَّعامَ للأطفالِ عليَّ أنْ أَخطو فوقَ الأريكةِ! بُقعُ الطَّعامِ في كلِّ مكانٍ! وكأنَّ هذا لا يَكفي، بلْ عليَّ أنْ أغسلَ ثيابَ الأطفالِ منْ بقعِ الطَّعامِ دائماً! سَأصابُ بِالجنونِ قريباً!

– لَمْ أطلبْ من أحدٍ أنْ... قالَ الإسكافيُّ.

– ها هُما يبدآنِ مُجدَّداً. قالَ هنينغ ونانا في اللَّحظةِ ذاتِها.

– توقَفا عنْ تَرْديد «ها هُما يبدآنِ» صاحَ ملكُ المخاطرِ. ليسَ هُناكَ داعٍ لأنْ يتكرَّرَ الكلامُ ذاتُهُ في كلِّ مرَّةٍ! قد يتغيَّرُ الحالُ في يومٍ ما! قد نربحُ جائزةَ اليَانصيبِ جميعاً أو نبْني بيتاً لنا بأنفسِنا!

– كيفَ ذلكَ؟ هلْ لكَ أنْ تُخْبرَني؟ قالتْ نانا.

– اذْهَبي واسْتحِمّي. قالَ هنينغ.

– من سَيدفعُ ثمنَ ورقةِ اليَانصيبِ؟

– نستطيعُ أنْ نعملَ جميعاً. رُبَّما يوجدُ بستانيٌّ هُنا نستطيعُ أنْ نساعدَهُ في إزالةِ الأعشابِ الضَّارة منَ الأرضِ! قالَ ملكُ المخاطرِ.

– ثُمَّ تُحطِّمُ زُجاجَ الدَّفيئاتِ الصِّناعيَّةِ؛ فَنَدفع ما ربحْناهُ باليَانصيبِ ثمناً لألواحِ الزُّجاجِ. قالتْ سيري.

– اصمُتْي! صاحَ ملكُ المخاطرِ. سَنجدُ عملاً أفضلَ منْ ذلكَ وسَنتقاضى الكثيرَ منَ المالِ! تستطيعُ إيفور أنْ ترعَى الأطفالَ، ويستطيعُ هنينغ أنْ يعملَ ساعِي بريدٍ، وأنتم تستطيعونَ قضاءَ حاجاتِ النَّاسِ في مأموريَّاتٍ!

– وماذا سَتعملُ أنتَ؟ صرخَ توري.

– مروِّضٌ للفيلةِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

كادَ عندَها هنينغ وسيري أنْ يموتا منَ الضَّحكِ.

– أنتَ لا تَجرؤُ على الاقترابِ منْ فيلٍ. صرخَ توري.

– أنتَ لا تعرفُ شكلَ الفيلةِ في الحقيقةِ، صرختْ إيفور. رُبَّما

تعني أنَّك سَتروِّضُ الكلابَ!

– سوفَ تعدو هارباً إنْ نظرَ إليكَ أحدُ تلكَ الكائناتِ. صرختْ نانا.

– لا، لن أفعلَ ذلكَ، زأرَ ملكُ المخاطرِ حتَّى اهتزَّتْ ألواحُ الزُّجاجِ في نافذةِ المطبخِ.

– دَعْكَ منَ الشِّجاراتِ يا هامبوس. قالتْ زوجةُ الإسكافيِّ وناولتْهُ حِصَّتَهُ منَ البطاطسِ.

حاولَ ملكُ المخاطرِ أنْ يلتهمَ البطاطسَ وكسرةَ الخُبزِ والفاصولياءِ بلمحِ البَصرِ، لكنَّهُ كانَ يلهثُ لدرجةٍ جعلتْهُ عاجزاً عنِ ابتلاعِ الطَّعامِ. جَعلَهُ كلامُ أولادِ الإسكافيِّ يَستشيطُ غضباً، لأنَّهم دائماً يعترِضونَ على ما يقولُ، وغَضبَ أكثرَ لأنَّهُم لمْ يصدِّقُوا أنَّهُ قادرٌ على رعايةِ الفيلةِ. لكنَّهُ ليسَ غبيّاً لدرجةِ أنْ يُخبرَهم بِفعلتِهِ حتَّى يُصدِّقُوهُ. كانتْ حِكمةُ ملكِ المخاطرِ أكبرَ منْ أنْ تَجعلَهُ يرتكبُ خَطأً كهذا، حتَّى لا يُسبِّبَ المتاعبَ لنفسِهِ قبلَ الأوانِ. نظرَ إلى الإبريقِ ليرَى إن كانَ فيهِ بقيَّةٌ منَ الشَّرابِ. وعَمَّ الصَّمتُ للَحظاتٍ.

– لا أحدَ يريدُنا عُمَّالاً لديهِ. قالَ هنينغ.

– تَظنُّ دائماً أنَّكَ تعرفُ كلَّ شيءٍ. قالَ هامبوس. لكنَّك لا تعرفُ شيئاً! أنا أعرفُ أكثرَ منكَ. وأريدُ أنْ يحصلَ التَّغييرُ.

– ومنْ قالَ إنَّك تستطيعُ تحقيقَ ما تريدُ؟ قالَ هنينغ.

– ومنْ قالَ إنَّ ما تعرِفُهُ صحيحاً؟ قالَ هامبوس.

– تستطيعُ أنْ تُسدِي لي خِدمةً يا هامبوس. قالَ الإسكافيُّ. لقد انتهيتُ منْ وَضعِ كعبينِ جديدينِ لهذا الحِذاءِ. أسرعْ بِهِ إلى مُديرِ مكتبِ البَريدِ، فقدْ يعطيكَ أُجرَةً بدلَ ذلكَ!

خرجَ ملكُ المخاطرِ معَ الإسكافيِّ إلى الغرفةِ الَّتي يُزاولُ فيها مهنتَهُ. أعطاهُ الإسكافيُّ الحذاءَ الأسودَ اللَّونِ في كيسٍ منَ الورقِ فأخذَهُ وخرجَ بِهِ إلى أشعَّةِ الشَّمسِ. عليهِ أنْ يذهبَ إلى القريةِ في كلِّ الأحوالِ، بحثاً عنْ فيديلي الَّتي لمْ ترجعْ منْ هُناك. فلا بأسَ إذاً إنْ أخذَ الحذاءَ معَهُ.

سارَ ملكُ المخاطرِ ببطءٍ باتِّجاهَ السَّاحةِ هذهِ المرَّة. لديهِ الآنَ متَّسعٌ منَ الوقتِ لكَي ينظرَ حولَهُ! عرفَ الطَّريقَ الَّذي سلكهُ حينَ ركبَ الدَّرَّاجة باتِّجاهِ المَقبرةِ. غيرَ أنَّ البيوتَ بَدَتْ زاهيةَ الألوانِ، وأكثرَ فرحاً في ضوءِ النَّهارِ. رأى أنَّ مَبْنَى المدرسةِ أصفرُ اللَّونِ، ومَقهَى الحلوانيِّ طُلِيَ باللَّونِ الأزرقِ. سارَ ملكُ المخاطرِ، وشعرَ أنَّهُ يُحبُّ ما يرَى. أَحبَّ اللَّونَ الأصفرَ الَّذي يُغطِّي مَبنَى المدرسةِ. يُريدُ أنْ يدرسَ فيها لاحقاً. وأَحبَّ مروحة (بوصلة) الرِّياحِ فوقَ مَبنَى المَقهَى؛ لأنَّها تُشبِهُ حصاناً بريّاً. تزيَّنتْ أطرافُ سجَّاداتِ العُشبِ في حديقةِ مقهَى الحلوانِيِّ بِالأصدافِ أيضاً، وفي أحدِ مشاتلِ الأزهارِ رأى عموداً تَعلوهُ مِرآةٌ كرويَّةٌ. بِالإضافةِ إلى ذلكَ كلِّهُ فاحتْ رائحةُ الكعكِ منْ هُناكَ وتعالتْ موسيقَى البيانُو. توقَّفَ ملكُ المخاطرِ ليستمعَ إلى الموسيقَى ويتنفَّسَ. أخرجَ الحجرَ الأبيضَ من جَيبِهِ ليرَى بريقَهُ. مازالَ ناصعاً لا تَشُوبُهُ شائبةٌ.

– رُبَّما عليَّ أنْ أحتفِظَ بِهِ في عُلبةٍ مليئةٍ بِالقُطنِ حتَّى لا يراهُ أحدٌ، فَكَّرَ.

وقعَ عندَها نَظَرُهُ على فيديلي من بعيدٍ. ضَحكتْ وأَتَتْ صَوبَهُ تَعدو ممَّا جَعلَ شَعرَها يَتطايرُ في الرِّيحِ.

– حَافِظْ على الحجرِ حتَّى لا يأخُذَهُ أحدٌ منْكَ. قالتْ لهُ. يوجَدُ الكثيرُ منَ الأطفالِ الأشقيَاءِ هُنا!

– لنْ يلمَسَهُ أحدٌ سوانا نحنُ الاثنين. قالَ ملكُ المخاطرِ وأَعادَ الحجرَ إلى جيبِهِ.

شاهدْتُهم حينَ أخذوا الفيلَ! قطفَ وردةً منَ الحديقةِ قبلَ أنْ يُغادرَ!

ضَحِكتْ فيديلي...

وضَحِكَ ملكُ المخاطرِ...

– لقدْ جاءَ دَوري الآنَ لكَي أَحتَفِظَ بِالحجرِ. قالتْ فيديلي.

– إنْ سَمَحْتُ لكِ بِذلكَ، نعمْ. قالَ ملكُ المخاطرِ. ماذا لو حَفرتُ حُفرةً وخَبَّأتُهُ فيها دونَ أنْ أُخبرَكِ بِمكانِه؟

ضَحكتْ فيديلي. كانتْ تعلمُ أنَّهُ سَيُعطِيها الحجرَ. كم هيَ جَميلةٌ حينَ تَميلُ برأسِها! جَميلةٌ إلى حَدٍّ يُجبرُ المرءَ على أنْ ينظرَ إليها بِعينينِ شبهِ مُغمَضَتَين، فكَّرَ ملكُ المخاطرِ.

– فكِّرْ بِمُهمَّةٍ أَقُومُ بِها!

نَظرَ ملكُ المخاطرِ إلى داخلِ مَقهَى الحَلوانيِّ حيثُ صمتَتِ الموسيقَى.

– هل تَرينَ آلةَ العزفِ الَّتي في الدَّاخلِ؟ عليكِ أنْ تَدْخُلي وتَعْزِفي مَقطوعةً جميلةً لِي!

فيديلي وعندليبٌ مُسنٌّ

لمْ تَجْرُؤْ فيا يوماً على العزفِ على البيانو، إنْ كانَ هُناكَ منْ يَسمعُ عزفَها. هي تَكرهُ آلة البيانو. لمْ تنجحْ في العزفِ مرَّةً دونَ أنْ تَتوهَ في مُنتَصَفِ المَعزوفةِ. لمْ تتمكَّنْ يوماً من عَزفِ مَقطوعةِ «منْ أجلِ إليزة» أو «الدَّانوبُ الأزرقُ» أو «العندليبُ المُسنُّ». ممَّا أجبرَ والدتَها أنْ تتحدَّثَ مَعَها بِجديَّةٍ أحاديثَ طويلةً لكي تُقنِعَها بِعزفِ مقطوعةٍ ما، في يومِ الاحتفالِ بِانتهاءِ العامِ الدِّراسيِّ مثلاً. لكنَّ الأمرَ تغيَّرَ حينَ تحوَّلتْ فيا إلى فيديلي. عندَما طلبَ منْها ملكُ المخاطرِ أنْ تعزفَ لهُ، أضْحَكها الأمرُ تقريباً. أدْركتْ أنَّهُ يظنُّ بِأنَّها لمْ تلْمسْ أزرارَ البيانو منْ قبلُ. ظنَّ أنَّهُ وجدَ لها مُهمَّةً بالغةَ الصُّعوبةِ!

نظرتْ فيديلي داخلَ مقهَى الحَلوانِيِّ. دخلَ العمُّ إيميلسون مالك المقهى إلى المطبخِ. كانَ البيانُو وحيداً في مكانِهِ مقابلَ البابِ، ممَّا جعلَ المرءَ قادراً على رؤيتِهِ منَ الحَديقةِ.

– تَفضَّلْ واجلسْ هُنا. قالتْ فيديلي لملكِ المخاطرِ.

أَشارتْ إلى أَحدِ كراسِي الحَديقةِ، وتَظاهرتْ أنَّها نادلةٌ في المَقهَى.

– مُمتَنٌّ جداً. قالَ ملكُ المخاطِرِ وجَلَسَ على الكرسيِّ.

وَضَعَ ساقاً فوقَ الأُخْرى، ووضَعَ حذاءَ مديرِ مَكتبِ البريدِ فوقَ الطَّاولةِ.

– ماذا تريدُ؟

– القَهوةَ. قالَ ملكُ المخاطِرِ.

– لا، أعنِي ما هيَ المَقطوعةُ الَّتي طَلَبْتَها؟

– أريدُ قِطعةً منَ التُّورتَةِ!

– أعنِي أيَّ جُزءٍ؟

– الجُزءُ الأكبرُ طبعاً. قالَ ملكُ المخاطِرِ.

لمْ يدْركْ على الإطْلاقِ أنَّ فيديلي تَتَحدَّثُ عنْ مَقطوعةٍ موسيقيَّةٍ! دخلتْ عندَها فيديلي المقهَى مُسرعةً، وجلستْ أمامَ البيانُو. لمْ تَنظرْ يميناً أو يساراً، لأنَّها لا تُريدُ رؤيةَ زوّارِ المقهَى الآخرينَ. رفعتْ غطاءَ البيانُو فحسبُ، ثُمَّ راحتْ تَعزفُ مَقطوعةَ «العندليبُ المسنُّ»

مَقطوعةُ العندليبِ مُعقَّدةٌ للغايةِ يَتَخَلَّلُها الكثيرُ منَ الزَّقزقةِ وسَلاسلِ الإيقاعِ السَّريعِ. يُجْبَرُ المرءُ أحياناً أنْ يَتَسلَّقَ بِأصابعِهِ الطَّبقاتِ العُليا منَ اللَّحنِ الفارقِ، أو يَقفِزَ هُنا وهُناكَ، بلينغ وبلونغ بِمَسارٍ لا مجالَ فيه لقفزةٍ خاطئةٍ. وعلى المرءِ أنْ يَتذكَّرَ طيلةَ الوقتِ ضَرورةَ الاحتفاظِ بِخِفّةِ يديهِ. لكنَّها مَقطوعةٌ جميلةٌ أيضاً! لمْ يَسْبقْ لفيديلي أنْ أدركتْ جمالَها قبلَ ذلكَ اليومِ. بدتِ الموسيقَى وكأنَّها عندليبٌ حيٌّ! إذا عُزِفتْ بِسكونٍ وهدوءٍ بينَ سلاسلِ الإيقاعِ السَّريعِ،

خُيِّلَ إلى المرءِ أنَّ العندليبَ جالسٌ يُغنِّي ذاتَ مساءٍ صيفيٍّ مباركٍ. وإذا تباطأتْ بعدَ كُلِّ زقزقةٍ، بَدَا وكأنَّ العندليبَ يَنتَظِرُ جواباً منْ عندليبٍ آخَرَ.

– سَأعزفُ الآنَ صوْتَ عندليبٍ يُغنِّي أجملَ ما لديهِ منْ ألحانٍ، فكَّرتْ فيديلي.

لمْ تَتَمكَّنْ منَ النَّظرِ صوبَ ملكِ المخاطرِ؛ لأنَّها اضْطُرَّتْ إلى النَّظرِ إلى يدَيْها طيلةَ الوقتِ، لكنَّها لاحظتْ أنَّه دخلَ ووقفَ بِجانبِها للحظاتٍ. ثُمَّ خرجَ بعدَ ذلكَ، وجلسَ في مكانِهِ في الحديقةِ.

– غيرُ معقولٍ، تُجيدينَ العَزفَ حقاً. قالَ العَمُّ إيميلسون منْ مكانٍ ما في الخلفيَّةِ.

لمْ يكنْ لدَى فيديلي الوقتُ الكافي للنَّظرِ إليهِ أيضاً. أخيراً أَنهَى العندليبُ زقزقَتَهُ بِسلسلةِ إيقاعاتٍ وصلتْ إلى أعلَى سُلَّمِ نَغماتِ آلةِ البيانُو.

صَفَّقَ الحضورُ جميعاً في المقهَى. اسْتدارتْ فيديلي ورأتْ هناكَ بريتا ووالدَها وحلَّاقةَ السَّيداتِ والسَّيدةَ غوستافسون. لكنْ في الحديقةِ جَلسَ ملكُ المخاطرِ، وراحَ يُصفِّقُ بِواسطةِ حِذاءِ مُديرِ مَكتبِ البريد. أدْخلَ كلَّ يدٍ في فردةٍ منَ الحذاءِ، وراحَ يُصَفِّقُ حتَّى كادتِ النِّعالُ الجديدةُ تَهترِئُ. هَربتْ فيديلي منَ الحُضورِ وَقفزتْ إلى الحَديقةِ.

– تَعْزفينَ كالرَّاديو تماماً! قالَ ملكُ المخاطرِ.

لكنَّهُ في الحقيقةِ رأى أنَّ عَزفَها أجملُ منْ موسيقَى الرَّاديو.

– تَستطيعينَ أنْ تتعلَّمي العَزفَ مثلَها. قالَ والدُ بريتا منْ داخلِ المقهَى.

– ليسَ الأمرُ صعباً على منْ تَعملُ والدتُهُ كمُدرِّسةِ بيانُو. قالتْ بريتا مُغتاظةً.

تَظاهرتْ فيديلي بِأنَّها لمْ تَسمَعْ الحديثَ. لكنَّ بريتا خرجتْ إلى الحديقةِ.

– نافورةُ الغرورِ أنتِ. قالتْ.

– قَفَزَ عندَها ملكُ المخاطرِ منْ مكانِهِ وَشَدَّ ضفيرةَ شَعرِ بريتا.

– إيَّاكِ أنْ تُكرِّري تلكَ العبارةَ! قالَ.

– أقولُ ما أريدُ قولَهُ يا ابنَ الإسكافيِّ!

– ماذا؟ قالَ ملكُ المخاطرِ.

– أيُّها الجرو! قالتْ بريتا، وطبعاً كانَ ذلكَ مُنتَظراً.

– كَلبَةُ صالوناتٍ! قالَ ملكُ المخاطرِ وَشَدَّ ضفيرَتيْها في آنٍ واحدٍ.

أدْركَ أنَّ بريتا هيَ ذلكَ الشَّخصُ الَّذي يستطيعُ أنْ يَدفعَ يدَهُ منْ مكانِها إنْ هوَ حاولَ يوماً أنْ ينفُخَ فقَّاعاتِ الصَّابونِ، أو أن يُلامِسَها لكَي يفقأَها وتتلاشَى. لا نيَّةَ لديهِ بِأنْ يَسمحَ لَها بذلكَ!

– دعْنا منْها! لنْ نهتمّ لأمرِها. قالتْ فيديلي. اترُكْها!

تَركَ عندَها ملكُ المخاطرِ ضَفائِرَ بريتا، وراحَ يَبْحثُ عنْ حِذاءِ مُديرِ

مَكتبِ البريدِ.

– لقدْ أخذتَ حذاءَ أبِي. قالتْ بريتا. بابا!

– تَخيَّلي أنَّني لمْ أفعلْ ذلكَ. قالَ ملكُ المخاطرِ. صاحبُ هذا الحذاءِ هوَ مديرُ مكتبِ البريدِ!

– تخيَّلْ أنَّ ذلكَ بِالضَّبطِ هو ما فعلتَهُ قالتْ بريتا. لأنَّ مديرَ مكتبِ البريدِ هوَ والدِي!

عندَها ظَهرَ والدُ بريتا والعَمُّ إيميلسون عندَ بابِ المَقهَى. كانَ العَمُّ إيميسلون يَحملُ في يدِهِ كيساً صغيراً منَ الكعكِ وأوماً لفيديلي.

– هذا لكِ، لأنَّكِ عَزفتِ موسيقى جميلةً لِضُيوفِي. قالَ.

– بابا، هذا الصّبيُّ يَجُولُ في كلِّ مكانٍ حاملاً حذاءَكَ. قالتْ بريتا بأعلَى صوْتِها.

– عليَّ أنَ أُسلِّمَ الحذاءَ لصاحبِهِ فقطْ. لقدْ صارَ لهُ نعلانِ جديدانِ.

– جيِّدٌ. وهذهِ عَشَرَةُ قروشٍ، أُجرَتُك. قالَ مديرُ مكتبِ البريد.

انحنَى كلٌّ من فيديلي وملكُ المخاطرِ احتراماً. نظرَ كلٌّ منْهُما إلى الآخرِ وضَحِكَا معاً ثانيةً. يا لهُ منْ يومٍ رائِع، يومٌ رائعٌ مليءٌ بِالفيلةِ وموسيقَى العندليبِ والكعكِ وعَشَرَةِ قروشٍ! ولا حولَ ولا قوَّةَ لبريتا حيالَ ذلكَ. لنْ يَتَمَكَّنَ أحدٌ منْ إزعاجِهِما بعدَ اليومِ! دونَ سابقِ إنذارٍ غادرا المَقهَى يَعْدُوَانِ كأنَّهُما في سِباقٍ. يَعْدُوَانِ عبرَ أشعَّةِ الشَّمسِ والشَّوارعِ الَّتي اعْتَرَضَتْ طريقَهُما، يَسْبَحانِ بِذِراعَيهِما في النُّورِ، كأنَّهُما يَسْبَحانِ في نَهرٍ. قَفَزا فوقَ الحِجارةِ والظِّلالِ، ولَمسا الأغصانَ

المُتدلِّيةَ بِأصابعِهما. لمْ يَتَوَقَّفا إلى أنْ وَصَلا إلى السِّياجِ النَّباتيِّ الَّذي يُحيطُ بِحديقةِ بيتِ المُحافِظِ.

– بريتا لئيمةٌ. قالتْ فيديلي.

– نعم، بريتا لئيمةٌ. قالَ ملكُ المخاطِرِ.

– بريتا أكثرُ المخلوقاتِ الَّتي تَسيرُ على ساقينِ لؤماً. قالتْ فيديلي.

– بريتا لئيمةٌ إلى درجةٍ تَجعلُ السَّاعاتِ تتوقَّفُ إنْ هيَ نظرتْ إليها.

قالَ ملكُ المخاطِرِ. لنْ نَتَذكَّرَ ما قالتْهُ!

– سَننسَى كلَّ كلمةٍ تَفوَّهَتْ بِها. قالتْ فيديلي.

قفزَ ملكُ المخاطِرِ على ساقٍ واحدةٍ ومالَ برأسِه، كما يفعلُ مَنْ يُريدُ أنْ يُخرِجَ ماءً عَلِقَ في أُذُنيهِ.

– لمْ أعدْ أَتذكَّرُ شيئاً من كلامِها. قالَ.

فَعَلتْ فيديلي كما فَعَلْ.

– وأنا أيضاً لمْ أعدْ أذكرُ شيئاً.

نَظَرا حولَهُما لِيتأكَّدا منْ أنَّه لا أحدَ يراهُما، ثُمَّ اخْتفيا بينَ أغصانِ شَجَرةِ الزَّيزفون.

– خَشَبةُ المَسرَحِ مُلْكُكِ الآنَ. قالَ ملكُ المخاطِرِ.

بدايةُ الإنجازِ الثَّالثِ لِملكِ المخاطرِ

حينَ دَخلا بينَ أغصانِ شَجرةِ الزَّيزفون هذهِ المرَّةَ، تَظاهرَا بأنَّهما دَخَلا بيتَهما. مَسحَ ملكُ المخاطرِ قدميْهِ عندَ الغُصنِ الأسفلِ للشَّجرةِ ثُمَّ قالَ:

– لاتنسَيْ أنْ تَمْسَحي قدميكِ. لا نُريدُ إدْخالَ غبارِ المَقاهِي القديمةِ إلى هُنا!

وقالتْ فيديلي:

– تفضَّلْ واجلسْ على مِفصلِ الأغصانِ هُنا، لأُقدِّمَ لكلينا الكعكَ!

قَطَفَتْ حَفنةً منَ الأوراقِ الكبيرةِ منْ على الشَّجرةِ، وتَسلَّقتْ حاملةً إيَّاها إلى أعلَى. جَلَسَ ملكُ المخاطرِ في مكانِهِ، وجَلسَتْ فيديلي في مكانِها، ثُمَّ راحَتْ تُقَدِّمُ لهُ الكعكَ فوقَ أوراقِ الشَّجرةِ. وجَدَتْ داخلَ الكيسِ قِطَعاً منَ البِسكْويتِ والكعكِ الهَشِّ وكعكِ الشَّايِ المُغطَّى بالسُّكرِ. كُلَّما انْتَهى أحدُهُما منْ تَناوُلِ الكعكِ الموجودِ على طَبقِ أوراقِ الشَّجرِ، رمَاهُ وأخذَ طَبقاً جديداً. عندَما انْتَهَيَا منْ تَنَاوُلِ الكعكِ، حكَى كلٌّ منْهما حكايةً للآخرِ، عنِ الفيلِ والعندليبِ

والمَقهَى. لمْ ترَ فيديلي ما يَستَحقُّ الحديثَ في حكايةِ العندليبِ، لكنَّ ملكَ المخاطرِ أصَرَّ على سماعِها، ومعرفةِ السِّرِ وراءَ زَقزقةِ البيانُو.

– لقد كانَ الحجرُ في حَوزةِ كلينا مرَّتينِ حتَّى الآنَ. قالتْ فيديلي. نَستَطيعُ أنْ نَستَمرَّ هكذا ما دمنا نرغب في ذلكَ.

– إلى الأبدِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

ونسكنُ هُنا بينَ أغصانِ الشَّجرةِ.

– طالما تَوَخَّينَا الحذرَ.

– علينا أنْ نَتَوخّى الحذرَ أكثرَ يومَ غدٍ. قالتْ فيديلي. لأنَّ العمَّةَ مالين سَتعوُد غداً. هيَ في إجازةٍ اليوم في مدينةِ إينشوبينغ. لكنَّها كانتْ حانِقةً قبلَ أنْ تُغادرَ، ولا بُدَّ منْ أنَّها ستكونُ غاضبةً حينَ تعودُ.

– ساحِرةُ المَرْيلةِ العَجُوزُ الشِّرِّيرةُ! لماذا هيَ غاضبةٌ؟ سألَ ملكُ المخاطرِ.

– لستُ أدْري. أظنُّ أنَّها وُلِدتْ غاضبةً. قالتْ فيديلي. مَهما حاولَ المرءُ أنْ يكونَ لطيفاً في التَّعاملِ معَها، تَذهبُ مُحاولاتُهُ سُدًى.

– لستُ خائفاً منْها!

أرادتْ فيديلي أنْ تُخبِرَهُ بكلِّ ما يَتعلَّقُ بالعمَّةِ مالين، لكنَّ ملكَ المخاطرِ لمْ يُفكِّرْ سِوَى بالعندليبِ.

– يُؤسِفُنِي ألَّا تَعزِفي لي مرَّةً أُخرى. قالَ.

– ومَنْ قالَ إنَّني لا أستطيعُ؟ أستطيعُ أنْ أدْخلَ الغُرفةَ في البيتِ

وأعزِفَ مُجدَّداً، فَتَبْقَى أنتَ هُنا وتَستمعُ.

أومأ ملكُ المخاطرِ برأسِه مُوافِقاً.

تَسلَّقتْ فيديلي إلى أسفلِ الشَّجرةِ، وخرجتْ منْ بينِ أغصانِها، وأسرعتْ خُطاها فوقَ سَجَّادةِ العشبِ. بعدَ لحظاتٍ فَتَحتْ نافِذةَ الغرفةِ، وشاهدَها ملكُ المخاطِرِ وهيَ تَرفعُ غطاءَ بيانُو ضخم بُنِّيّ اللَّونِ. جلستْ على كرسيٍّ عالٍ ونظرَ ملكُ المخاطرِ إليها منْ بينَ أوراقِ الشَّجرةِ. لكنْ في اللَّحظةِ الَّتي بدأتِ العزفَ فيها دخلتْ مُعلِّمةُ البيانُو الغرفةَ.

– العزفُ الآنَ ممنوعٌ منعاً باتاً، سَمِعَها ملكُ المخاطرَ تَقولُ. لقدْ عادتِ العمَّةُ مالين وهيَ غاضبةٌ لسببٍ ما. علينا أنْ نَتوخَّى الحَذرَ كي لا نَجلِبَ لأنفُسِنا المتاعبَ. سوفَ أُحْضِرُ طعامَ العَشاءِ لنَتَناولَهُ هُنا. اجلسِي بهدوءٍ فقط كَي لا تَدخلَ إلى هُنا.

– لكنِّي أريدُ الخروجَ ثانيةً. أمْرُ العمَّةِ مالين لا يَهُمُّني!

– يجبُ ألَّا تُفكّرِي بهذهِ الطَّريقةِ. افعَلي كما قلتُ لكِ، ولنْ نحتاجَ عندَها لِمواجهةِ ثوراتِ غضبِها. قالتْ مُعلِّمةُ الموسيقَى.

رأى ملكُ المخاطرِ فيديلي وهيَ تُنزِلُ غطاءَ البيانُو بِحذرٍ. وقفتْ مُنحَنِيةَ الرَّأسِ، وانتظرتْ حتَّى غادرتْ مُعلِّمة الموسيقَى، ثُمَّ سارتْ باتِّجاهِ النَّافذةِ، ونظرتْ إلى شجرةِ الزَّيزفون. نَزلَ عندَها ملكُ المخاطِرِ منْ على الشَّجرةِ، وسارَ نحوَها. توقَّفَ فوقَ المَمرِّ المُغطَّى بِالحصَى في أقربِ مكانٍ منَ النَّافذةِ دونَ أنْ يخطوَ في حوضِ الزُّهورِ، ثُمَّ هَمَسَ:

– سمعتُ ما قالَتْهُ لكِ!

– منَ الأفضلِ أنْ أبقَى هُنا. قالتْ فيديلي. إنَّ «ساحرةَ المَريلةِ» خطيرةٌ جداً!

– أينَ وَضَعْتِ الحجرَ؟

– إنَّه هُنا.

– قولِي لي ماذا عليَّ أنْ أفعلَ، وسوفَ أفعلُهُ أثناءَ انتظارِ عَودَتِكِ! هَمَسَ ملكُ المخاطرِ.

نَظَرتْ فيديلي إلى الحجرِ ثُمَّ ابتَسَمتْ فجأةً. تُرى ما هيَ المُهمَّةُ الَّتي سَتَخترعُها لَهُ؟ ابْتعدتْ عنِ النَّافذةِ، وراحتْ تسيرُ في الغرفةِ لِتجدَ فكرةً جديدةً، لكنَّها لمْ تجدْها. عنَدما عادتْ إلى ملكِ المخاطرِ شَعَرَتْ أنَّ هناكَ شيئاً مُستديراً في جَيبِها، شيءٌ أعاقَها حينَ حاولتْ أنْ تميلَ باتِّجاهِ حافَّةِ النَّافذةِ. إنَّها البيضةُ المَسلُوقةُ الَّتي وضَعَتْها في جيبِها يومَ البارِحةِ، ولمْ تحصُلْ على الوقتِ الكافِي لتناولِها. أخرَجتِ البَيضةَ من جيبِها وراحتْ تنظرُ إليها.

– خُذْها، همستْ لملكِ المخاطرِ. يجبُ أنْ تضعَها في سريرِ المُحافظِ! لكنْ إيَّاكَ أنْ تُحاولَ القيامَ بِذلكَ قبلَ يومِ غدٍ!

رَمَتِ البيضةَ باتِّجاهِ ملكِ المخاطرِ الَّذي التَقَطَها في الهواءِ بيدٍ واحدةٍ. ما كادتْ تفعلُ ذلكَ حتَّى سَمِعتْ خُطَى العمَّةِ مالين في الممرِّ خارجَ الغرفةِ. لوَّحَتْ فيديلي بيدِها مُحذِّرةً ملكَ المخاطرِ، فوضعَ بِدورِهِ البيضةَ في جيبِهِ ثُمَّ اختفَى.

ساحرةُ المَريلةِ والقمصانُ المَكويَّةُ

كانتِ العمَّةُ مالين قد غادرتْ إلى مدينةِ إينشوبينغ لتستريحَ. أرادتْ أنْ تستريحَ منْ فيا والسَّيدةِ باترشون والمحافظِ، لكنْ قبلَ كلِّ شيءٍ، أرادتْ أنْ ترتاحَ منْ كيِّ القمصانِ. فقد تركتْ بقيَّةَ الثِّيابِ الَّتي تحتاجُ إلى الكيِّ في كُتلةٍ واحدةٍ بدتْ ككومةٍ منَ الطَّيَّاتِ الخَشِنةِ فوقَ طاولةِ المطبخِ؛ ليرى الجميعُ كيفَ تسيرُ الأمورُ عندَما يُعيقُها أحدٌ عنِ القيامِ بعملِها. يستهلكُ المُحافظُ الكثيرَ منَ القمصانِ في حَرِّ الصَّيفِ، ولا بدَّ منْ أنَّهُ سَيحتاجُ إلى قميصٍ نظيفٍ اليومَ. يستطيعُ عندَها أنْ يسألَ عنِ القمصانِ، ويرى الكومةَ بأُمِّ عينهِ. طالما يرفُضُ أنْ يَحُلَّ المشاكلَ الَّتي تَتسبَّبُ فيا بها ووالدتُها عديمةُ الفائدةِ، فهوَ يستحقُّ أنْ يذهبَ إلى المَحكمةِ بياقاتِ قمصانٍ مَلويَّةٍ، فكَّرتِ العمَّةُ مالين. وصلَ بِها الأمرُ إلى أنْ تُنظِّفَ مَخزنَ المُؤنِ في مُنتصَفِ الصَّيفِ؛ لتتأكَّدَ منْ أنَّهُ ليس لدَيها مُتَّسعٌ منَ الوقتِ كي تعتنيَ بثيابِ المُحافظِ حينَ غادرَ الجميعُ إلى السِّيركِ.

– على المُحافظِ أنْ يعذرَني لضيقِ الوقتِ، ولأنَّني لمْ أتمكَّنْ منَ

القيامِ بِذلكَ، كانَ في نيَّتِها أنْ تقولَ لهُ. لكنَّ الذَّنْبَ ليسَ ذَنبِي في الحقيقةِ!

كان أوَّلُ ما وقعَ نظرُها عليهِ حينَ عادتْ منْ إينشوبينغ، هوَ أَربَعةُ قمصانٍ مَكويَّةٌ على طاولةٍ في الرِّواقِ الَّذي تُفضِي إليهِ السَّلَّالمُ.

توقَّفتِ العمَّةُ مالين، وكأنَّها تحجَّرتْ في مكانِها.

بدَتِ القمصانُ وكأنَّهُ اعتنِيَ بها على أكملِ وجهٍ، ولمْ تَشُبْها شائبةٌ. كانتْ مَطويَّةً وأكمامُها مَثنيَّةٌ إلى الَّداخلِ كأنَّها أجنحةُ ملائكةٍ تسدَّلتْ لترتاحَ. الزَّوايا الأماميَّةُ للياقاتِ حادةٌ ومَكويَّةٌ كما يجبُ، وقد تمَّ طيُّ القمصانِ بِطريقةٍ جعلتْ أحدَها يبدو وكأنَّهُ يرتاحُ في قيلولةٍ فوقَ الآخرِ، كأنَّها قامتْ بِوضعِها هناكَ بِنفسِها.

خطفتِ العمَّةُ مالين القمصانَ، ودخلتْ بها المطبخِ.

– هل كوتِ السَّيدةُ باترشون قمصانَ المحافظِ؟ زَأَرَتْ.

لسوءِ حظِّها، لمْ تكنِ السَّيِّدةُ باترشون في المطبخِ، لذلكَ لمْ تُجِبْها. وضعتِ العمَّةُ مالين القمصانَ فوقَ كرسيٍّ، ووضعتْ فوقَها حقيبةَ يدِها والكيسَ الَّذي حوى مشترياتِها في السَّاحةِ. كانتْ متأكَّدةً منْ أنَّ السَّيدةَ باترشون هيَ الَّتي قامتْ بكيِّ القمصانِ. لا يوجدُ أحدٌ سِواها. لو بحثَ المرءُ عنْ وقاحةٍ مثلِ وقاحتِها لاضْطُرَّ أنْ يبحثَ طويلاً! تحاولُ السَّيدةُ باترشون طبعاً أنْ تستغلَّ غيابَ مالين كي تتملَّقَ للمحافظِ. لقد وضعتِ القمصانَ فوقَ الطَّاولةِ في الرِّواقِ كي يراها المحافظُ حينَ يمرّ منْ هناكَ. عندها سَيفهمُ منِ الَّذي كوَى

القمصانَ!، ومَنِ الَّذي امتنعَ عن كيِّها.

– لحسنِ الحظِ أنَّني عُدتُ إلى البيتِ في الوقتِ المناسبِ! لو لمْ أفعلْ لاضطُرِرْتُ أن أتحمَّلَ عواقبَ فعلتِها طبعاً!

عندما فكَّرتِ العمَّةُ مالين بِذلكَ اهْتاجتْ إلى درجةٍ جعلتْها ترفعُ الحقيبةَ وكيسَ الأغراضِ الَّتي اشْترتْها منَ السُّوقِ منْ على القمصانِ لتجلسَ هيَ فوقَها. جلستْ بِعنفٍ وراحتْ تُحدِّقُ في بابِ المطبخِ، لكي تنظرَ السَّيدةُ باترشون في عينَيْها حالَ دخولِها منَ البابِ. لكنَّ السَّيدةَ باترشون لمْ تأتِ.

– لا تجرؤُ على المجيءِ طبعاً، بعَدما سمعتْ أنَّني عُدتُ إلى البيتِ، فكَّرتِ العمَّةُ مالين، وجلستْ لبرهةٍ أُخرى قبلَ أنْ تقومَ منْ مكانِها لتنزعَ القبَّعةَ عنْ رأسِها. ظهرتْ آثارُ ثِقلِها على القمصانِ الَّتي ظلتْ مُكدَّسةً فوقَ الكرسيِّ. لمْ يعُدْ مظهرُها يدعو للفخرِ. صارَ لقماشِها طيَّاتٌ جديدةٌ في أماكنَ لا يجبُ أنْ تظهرَ فيها طيَّاتٌ.

– كمْ أنا شامتةٌ بِالسَّيدةِ باترشون. أريدُ أنْ أرى وجهَها حينَ تقدِّمُ القمصانَ للمحافظِ!

نظرتِ العمَّةُ مالين نحوَ البابِ. ليسَ هناكَ أثرٌ للسَّيدةِ باترشون بعدُ، لكنَّ العمَّةَ مالين سمِعتْ صوْتاً منْ داخلِ الغرفةِ. حسناً، لا داعي للعجلةِ. يمكنُها تركُ القمصانِ في مكانِها.

توجَّهتِ العمَّةُ مالين إلى طاولةِ إعدادِ الطَّعامِ، وراحتْ تُخرِجُ من حقيبةِ السُّوقِ كيساً تلوَ الآخرِ من الأغراضِ الَّتي اشْترتْها منَ السَّاحةِ.

كانتْ قد اشْترتْ منْ مالِها الخاصِّ سلَّةً صغيرةً منَ الفراولةِ لتتناولَها أثناء وجبةِ العشاءِ، واشترتْ للمحافظِ الشَّبتَ والبقدونسَ؛ لأنَّ اليومَ هوَ يومُ الخميسِ، وحزمةً منَ الجزرِ؛ لأنَّ الجزرَ الَّذي تشتريهِ منَ الدُّكَّانِ كبيرُ الحجمِ ولهُ طعمُ الخشبِ. جزَرُ الدُّكَّانِ ليسَ شهيّاً مثلَ الجَزرِ الَّذي تشتريهِ منْ إينشوبينغ.

– لو أدركَ المحافظُ كم أفكِّرُ بِهِ دائماً، لبكَى امتناناً! فكَّرتْ مالين.

ما زالَ الطِّينُ عالِقاً بالجَزراتِ. هزَّتِ العمَّةُ مالين حُزمةَ الجَزرِ؛ لتتطايرَ عنْها كتلُ الطِّينِ، ويحطَّ بعضُها فوقَ القمصانِ. القمصان الَّتي يمكنُ أنْ تتّسِخَ لأسبابٍ أقلَّ منْ كتلِ الطِّينِ بِكثيرٍ.

– ليسَ بِمقدورِ السَّيدةِ باترشون أنْ تلومَ أحداً سِوى نفسِها؛ لأنَّها لمْ تضعِ القمصانَ في الخزانةِ! لو فعلتْ ذلكَ لكانَ لجهودِها قيمةٌ ما. لو فعلتْ ذلكَ لظنَّ المحافظُ أنَّ مالين هيَ الَّتي كوَتِ القمصانَ. لكنَّ ذلكَ بِالذَّاتِ هو ما لا تُريدُهُ. قالتِ العمَّةُ مالين لإبريقِ القهوةِ.

وضَعَتْ إبريقَ القهوةِ على الموقدِ بِضربةٍ عنيفةٍ، فقعقعَ فنجانُ القهوةِ عندما ارتطمَ بِصحنِهِ الصَّغيرِ حتَّى استقرَّ فوقَهُ. أُجبِرتِ العمَّةُ مالين على رَشْفِ القهوةِ لكَي تهدأ. وضعتْ أمامَها الكعكَ الَّذي اشترتْهُ من إينشوبينغ في محاولةٍ منْها لجَعْلِ ترتيبِ الطَّاولةِ يبدو جميلاً. وصلتِ القهوةُ للغليانِ بِسرعةٍ، وكأنَّها كانتْ تَشعُرُ بِلهيبِ العمَّةِ مالين في قَعْرِ الركوة، وفارتِ القهوةُ فوقَ الموقدِ على الرَّغم من عُمقِ الركوة.

عظيمٌ! استقرَّتْ بقعةٌ منَ القهوةِ على صَدْرِ أحدِ القمصانِ حينَ حاولتِ العمَّةُ مالين أنْ تصبَّ القهوةَ في فنجانِها! أجَل، لا داعيَ للدَّهشةِ، بما أنَّ السَّيِّدةَ باترشون لمْ تأتِ بعدُ لتَعْتنيَ بالقمصانِ الَّتي كوتْها! أخيراً سُمِعَ وقعُ خطواتٍ في مدخلِ المظهرِ، وأطلَّتِ السَّيدةُ باتشرون منَ البابِ.

– ها هيَ تأتي أخيراً. قالتِ العمَّةُ مالين والْتَفَتَتْ إليها. يبدو أنَّ أحدهم صارَ مُغرَماً بِالأعمالِ المنزليَّةِ في الفترةِ الأخيرةِ. هل ترينَ أشياءَ يجبُ الاعتناءُ بها في مطبَخِي أيضاً؟

– جِئتُ أبحثُ عنْ بعضِ القمصانِ الَّتي يحتاجُها المحافظُ. قالتِ السَّيدةُ باترشون.

– آه، القمصانُ. قالتِ العمَّةُ مالين. ها هيَ القمصانُ هنا. وأريدُ أنْ أقولَ لكِ إنَّني أعلمُ بِأنَّك لمْ تَعْتَنِ بها عبثاً. قد أحتملُ الكثيرَ، إلَّا أنْ يقومَ أحدٌ ما بكيِّ القمصانِ خِفيةً عنِّي. لنْ أسكتَ عنْ ذلكَ! أنا مديرةُ منزلِ المحافظِ وليسَ أنتِ ولنْ أسمحَ بكيِّ القمصانِ دونَ علمِي!

– أردتُ فقط أنْ أُساعدَك قليلاً يا مالين، ولا أريدُ أنْ يطلبَ المحافظُ قميصاً نظيفاً ولا يجدَهُ... بدأتِ السَّيدةُ باترشون.

– أجلْ، شُكراً، تَستطيعينَ أنْ تُوهِمِيني بما شِئْتِ! لقد سمحتُ في باديءِ الأمرِ لابنتِكِ بأنْ تُعيقَني في عملِي، لأنَّكِ ترفضينَ تعليمَهَا احترامَ مواعيدِ الطَّعامِ، ثُمَّ تذهبينَ إلى السِّيركِ وتترُكِينَنَي في البيتِ؛

لكَي أحاولَ الانتهاءَ منَ الكيِّ في سباقٍ معَ الزَّمنِ! إيَّاكِ أنْ تأتِي الآنَ بِدَوْرِ الحَنونةِ لتَتَظاهَري بأنَّكِ تُحاولينَ مُساعدَتِي.

– لقد فكَّرتُ وأسِفتُ لأنَّكِ لمْ تستطيعي مُرافقتَنا إلى السِّيركِ. قالتِ السَّيدةُ باترشون. لذلكَ قُمْتُ بـ...

– كُفِّي عنْ حديثِ البقدونسِ هذا. قالتِ العمَّةُ مالين. تريدينَ فقط ألَّا تَظهري بِمظهرِ الإنسانةِ الكسولةِ الَّتي لا فائدةَ من وجودِها، وتريدينَ أنْ تتملَّقي للمحافظِ، هذا كلُّ ما في الأمرِ!

– أينَ أنتم؟ وأينَ قمصانِي؟ قالَ المحافظُ منَ الرِّواقِ خارجَ المطبخِ.

نظرتِ العمَّةُ مالين إلى السَّيِّدةِ باترشون نظرةً جعلتْها تَجْمَدُ في مكانِها.

– اِبْقَيْ هُنا، واترُكيني أُعالجُ الموقفَ بِنفسِي. قالتْ.

خرجتِ العمَّةُ مالين إلى الرِّواقِ، ووقفتْ أمامَ المحافظِ.

– آسفةٌ لأنَّني لمْ أجدْ مُتَّسعاً منَ الوقتِ للقيامِ بكيِّ القمصانِ، بَدَأتْ حديثَها. غيرَ أنَّ الذَّنبَ ليسَ ذنْبِي في الحقيقةِ.

– ألمْ تقمْ مالين بكيِّ بعضِها!!؟ قالَ المحافظُ وقد اعترتْهُ الدَّهشةُ.

– لا، لمْ أجدْ الوقتَ الكافِي للقيامِ بِذلكَ يومَ ذهبَ حضرةُ المحافظِ إلى السِّيركِ. لقد أعاقتْنِي فيا كثيراً، ثُمَّ توجَّب عليَّ أنْ أُنَظِّفَ مَخزنَ المُؤنِ في القَبْوِ بعدَ ظهرِ ذلكَ اليومِ. لا يسعُنِي أنْ أتْركَ كلَّ ما في البيتِ في مهبِّ الرِّيحِ لمجرَّدِ أنَّ تلكَ البنتَ تفسدُ برنامجَ عملِي، لأنَّني لو فعلتُ، لنْ أتمكَّنَ منَ العملِ إطلاقاً. والسَّيدةُ باترشون

لا تُجيدُ رعايتَها! ثُم إنَّ اليومَ يومُ إجازتِي، وقد كنتُ في مدينةِ إينشوبينغ. قالتِ العمَّةُ مالين.

– لكنَّ السَّيدةَ باترشون قالتْ لي إنَّ مالين كوَتَ قمصانِي. قالَ المحافظُ. وأنا بحاجةٍ إلى قميصٍ الآنَ!

– لا أفهمُ ما تعنِي. قالتِ العمَّةُ مالين.

كانتْ بحاجةٍ لبعضِ الوقتِ كي تُدْرِكَ لماذا قالتِ السَّيدةُ باترشون ما قالتْهُ. لماذا لمْ تُخْبِرْهُ السَّيدةُ باترشون بأنَّها هيَ منْ قامتْ بكيِّ القمصانِ؟ لا ضيْرَ في ألَّا يَحصلَ المحافظُ على قميصٍ نظيفٍ؛ لكي يتعلَّمَ أنَّهُ لا يستطيعُ الاستغناءَ عنْ مُدبِّرةِ منزلِهِ.

– ليسَ هناكَ قُمصانٌ مكويَّةٌ. قالتِ العمَّةُ مالين.

– لكنِّي رأيتُ القمصانَ المكويَّةَ بأُمِّ عينِي على هذهِ الطَّاولةِ! لمْ يمرَّ على ذلكَ خمسُ دقائقَ. قالَ المحافظُ وكادَ صبرُهُ يَنفَدُ. كانتِ القمصانُ هنا، قمصانٌ عديدةٌ وما زالَ دفءُ حرارةِ المكواةِ فيها. لا بُدَّ منْ أنَّ السَّيدةَ باترشون كَوَتْها بِنفسِها كخدمةٍ لطيفةٍ منها، رغمَ أنَّها قالتْ إنَّكِ أنتِ منْ قامَ بِذلكَ. أينَ القمصانُ الآنَ؟ لا أظنُّ أنَّها تَبخَّرتْ! لقد قلتُ للسَّيدةِ باترشون أنْ تبحثَ عنْها!

أُصيبَتِ العمَّةُ مالين بِالبُكمِ. سارَ المحافظُ حولَها ثُمَّ دخلَ المطبخَ بحثاً عنِ السَّيدةِ باترشون. أخيراً استجْمَعتِ العمَّةُ مالين أفكارَها.

– لا بُدَّ منْ أنَّ فيا قامتْ بِنقلِ القمصانِ منْ مكانِها. قالتْ ولَحِقتْ بِالمحافظِ مُسرعةً.

وجدتِ المحافظَ واقفاً في المطبخِ، مُحدِّقاً في القمصانِ المُلقاةِ على الكرسيِّ. أزاحَ القميصَ الأوَّلَ الَّذي حطَّتْ عليهِ بُقعةُ القهوةِ، ثُمَّ أزاحَ القميصَ الثَّانِيَ الَّذي استقرَّتْ عليهِ كُتلُ الطِّينِ. أخيراً أمسكَ بِالقميصِ الثَّالثِ، وحاولَ أنْ يتخلَّصَ منْ بعضِ الطَّيّاتِ الإضافيَّةِ الَّتي طَرأتْ عليهِ.

– لقد وجدْتُ القمصانَ. لا داعي لأنْ تَبْحثِي عنْها يا سيِّدة باترشون. قالَ المحافظُ للسَّيِّدةِ باترشون، حينَ سارتْ باتِّجاهِ خزانةِ الأطعمةِ. وأظنُّ أنَّ على مالين أنْ تنظرَ أوَّلاً قبلَ أنْ تَجلسَ على الكراسيِّ منَ الآنَ فصاعداً، كي تتناولَ الكعكَ الَّذي اشْتَرتْهُ منْ إينشوبينغ! انظُرِي كيفَ أصبحَ حالُ القميصِ!

لمْ تجد العمَّةُ مالين ما تقولُهُ. تحمَّلتْ غضبَ المحافظِ بِهدوءٍ خانعٍ. أمرٌ لا تُجيدُهُ إلَّا مدبِّرةُ منزلٍ مُتمَرِّسةٌ. لكنْ عندَما غادرَ المحافظُ المطبخَ قالتْ.

– أتَرَيْنَ حجمَ المتاعبِ الَّتي تَسبَّبتِ لنا بِها يا سيِّدةُ باترشون؟

ملكُ المخاطرِ وسريرُ المحافظِ

جلستْ فيديلي في صباحِ اليومِ التَّالِي في مطبخِ بيتِ المحافظِ، وانتظرتْ أنْ تنتهِيَ العمَّةُ مالين منْ تناولِ شطيرتِها الجافَّة. كانتِ العمَّةُ مالين تقولُ دائماً إنَّ تركَ المائدةِ قبلَ أنْ ينتهِيَ الجميعُ منْ تناوُلِ طعامِهم تصرُّفٌ فظٌّ وغيرُ مؤدَّبٍ، ولمْ يكنْ في نيَّةِ فيديلي أنْ تثيرَ غضبَها ثانيةً. ظنَّتْ فيديلي أنَّ العمَّةَ مالين سَتنسَى حكايةَ السِّيركِ وكلَّ ما يتعلَّقُ بِالشَّبحِ وساعةِ الكنيسةِ في يومِ إجازتِها. وكانتْ والدةُ فيا تأمُلُ في أنْ تكونَ العمَّةُ مالين قد تَخطَّتْ حُنْقَها المريرَ وعُدوانيَّتَها تجاهَ المحافظِ خلالَ اللَّيلةِ الماضيةِ، لكنْ ثَبتَ أنَّ كلتيهما كانتا على خطأ. وكأنَّ يومَ الإجازةِ لمْ يكنْ، لأنَّ غضبَ العمَّةِ مالين ما زالَ كما هوَ. لمْ تجرؤْ إحداهما على التفوُّهِ بِكلمةٍ واحدةٍ. رأتْ فيديلي شجرةَ الزَّيزفون عبرَ النَّافذةِ منَ المكانِ الَّذي جَلستْ فيهِ. أسْعَدَها النَّظرُ إلى الشَّجرةِ من هناكَ، وتَأمُّلُ كثافةِ أغصانِها وأوراقِها. إذ أدْركتْ أنَّ رؤيةَ ما تُخفيهِ الشَّجرةُ في داخلِها أمرٌ مستحيلٌ. تصاعدَ أزيزٌ جافٌّ منْ شطيرةِ العمَّةِ مالين، وشغلتْ والدةُ فيا نفسَها بِمداعبةِ الخواتمِ الَّتي تُزيِّنُ أصابعَها.

– دعوةُ الأطفالِ إلى السِّيركِ تصرُّفٌ أنيقٌ، خاصةً بعد أنْ يتصرَّفوا بِطريقةٍ غيرِ لائقةٍ تجعلُ حرمانَهُم الخروجَ من غُرفِهم واجباً. قالتِ العمَّةُ مالين. لو كنتُ أنا والدةَ فيا لاعترضتُ على ذلكَ في الحالِ. ولقلتُ إنَّها محرومةٌ من كلِّ أنواعِ التَّرفيهِ إلى أنْ تتعلَّمَ الأدبَ. مَنْ لا يريدُ أنْ يتعبَ في تربيةِ الأطفالِ، عليهِ أنْ يمتنعَ عنْ إنجابِهم!! قالتْ بحُنقٍ.

لمْ تُجبْها والدةُ فيا. ظلَّتْ جالسةً هناكَ، وعلاماتُ الصَّبرِ باديةٌ على ملامحِها. تذمُّرُ ونَكَدُ العمَّةِ مالين يُشكِّلان عذاباً دائماً لفيا. جَعلَها ذلكَ تشعرُ بالغضبِ والحُزنِ والخَوفِ في آنٍ معاً. لكنَّها شعرتْ أنَّ الأمَر قد اختلف بعد تحوُّلِها إلى فيديلي، استطاعتْ أنْ تجلسَ وتستمِعَ لحديثِ العمَّةِ مالين وكأنَّها تستمِعُ لصوْتِ ذُبابةٍ ضخمةٍ، دونَ أنْ تكترثَ لِما تقولُهُ. بل استطاعتْ فيديلي أنْ ترى التَّشويقَ في ذلكَ الأزيزِ الَّذي لا ينتهِي. ليتَ العَّمةَ مالين تنتهِي من تناوُلِ شطيرتِها!

– حسناً، هل قبضَ المحافظُ على المُذنِبِ؟ تابعتِ العمَّةُ مالين أزيزَها.

– لا، لـمْ نـرَ في السِّيركِ شخصاً قـادراً على الرَّسـمِ على ساعةِ الكنيسةِ، أجابتْ والدةُ فيا طوعاً.

– ألمْ أقلْ ذلكَ؟ تابعتِ الذُّبابةُ إزعاجَها. يظنُّ أنَّه يعرفُ كلَّ شيءٍ فقط لأنَّه درسَ القانونَ وصارَ قاضياً ومحافظاً!

أخيراً، التهمتْ قطعةً أُخرى منَ الشَّطيرةِ.

طرقَ أحدٌ ما البابَ.

– ادخلْ، زأرتِ العمَّةُ مالين بغضبٍ.

عندما فُتِحَ البابُ، ظهرَ ملكُ المخاطرِ. كادتْ فيديلي أنْ تقفزَ منْ مكانِها عندَما رأتْهُ. عجزتْ عنْ فَهْمِ سببِ قدومِهِ، ولمْ تعرفْ إنْ كانَ عليها أنْ تُظهِرَ معرفتها له أَم لا. لكنَّ ملكَ المخاطرِ لمْ ينظرْ إليها.

– نهارُكم سعيدٌ، هل يُمْكِنُني الحصولُ على عملٍ هنا؟ قالَ ثُمَّ انحنَى احتراماً. أستطيعُ أنْ أَكنُسَ الأرضَ، وأحمِلَ حطبَ الموقدِ، وأُرَتِّبَ فُرَشَ الأَسِرَّةَ، بلْ إنَّني بطلُ العالمِ في ترتيبِ فُرَشِ الأَسِرَّةِ!

كادتِ العمَّةُ مالين أنْ تُصابَ بِالبُكْمِ تحتَ تأثيرِ الدَّهشةِ.

– بِحقِّ السَّماءِ، ما هذا؟ قالتْ.

ثُمَّ عادتْ إلى رُشْدِها.

– ترتيبُ فراشِ الأَسِرَّةِ!! يا لها منْ فكرةٍ غريبةٍ. ثُمَّ إنَّنا لا نُشعِلُ المواقدَ إلَّا في فصلِ الشِّتاءِ... مَنْ أنتَ؟

– أستطيعُ أنْ أنْقُلَ الماءَ، وأمسَحَ الغبارَ، وأسقِيَ الزُّهورَ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– وما هيَ أُجرتُكَ مقابلَ ذلكَ؟

– لا شيءَ. أُحبُّ أنْ أُقدِّمَ المُساعدةَ فقطْ.

– أجلْ، ويجبُ أنْ أُصدِّقَ ذلكَ. قالتِ العمَّةُ مالين. تريدُ أنْ تحصلَ على بعضِ الطَّعامِ اللَّذيذِ مُقابلَ عملِكَ بِالطَّبعِ. لا أظنُّ أنَّكم تعيشونَ في رَغَدٍ في بيتِ الإسكافيِّ.

– هوَ لا يسكنُ في بيتِ الإسكافيِّ. إنَّه منَ السَّيركِ، فكَّرتْ فيديلي.

لكنَّها لمْ تقلْ ذلكَ بِصوْتٍ عالٍ.

لمْ يقلْ ملكُ المخاطرِ شيئاً هوَ الآخرُ.

– تستطيعُ أنْ تُمشِّطَ حصَى المَمَرِّ الَّذي يقودُ إلى المَدخلِ الرَّئيسِ إذا كنْتَ تُصِرُّ على ذلكَ. قالتِ العَّمةُ مالين.

– سَأدُلُّكَ على مكانِ المشطِ الحديديِّ. قالتْ والدةُ فيا.

بدأتْ فيديلي تفهمُ ما يُفكِّرُ به ملكُ المخاطرِ. يريدُ أنْ يُساعدَ بِأعمالٍ داخلَ المنزلِ لكَي يتمكَّنَ منَ الوصولِ إلى سريرِ المحافظِ، ويخبِّئَ البيضةَ في فرَاشِهِ! لمْ تتمالكْ نفسَها منَ الضَّحكِ حينَ فكَّرتْ كم هوَ ماكرٌ!

– شكراً على الطَّعامِ. قالتْ وأسرعتْ إلى غُرفتِها كي تتمكَّنَ منْ رؤيةِ ملكِ المخاطرِ عبرَ النَّافذةِ. ولمْ تنتظرْ طويلاً قبلَ أنْ تراهُ يسيرُ هناكَ، ويُمشِّطُ حصَى المَمَرِّ بِالقربِ منَ المنزلِ.

– تظاهري بِأنَّكِ لا تَعْرِفينَنِي، أشارَ لَها.

مَشَّطَ الأرضَ بِسرعةٍ مُذهلةٍ بِاتِّجاهِ الدَّرَجِ الكبيرِ.

– عليكَ إتقانُ عملِكَ، إنْ أردتَ أنْ يُحدِثَ ذلكَ فرقاً. قالتِ العمَّةُ مالين عندَما مرَّتْ بِهِ.

تظاهرتْ بأنَّ لَديها عملاً عندَ صندوقِ البريدِ بِمُحاذاةِ البوَّابةِ؛ كي ترَى طريقةَ عملِهِ بِالطَّبعِ.

تباطَأ ملكُ المخاطرِ قليلاً في عملِهِ، فراحَ يُمَشِّطُ الأرضَ بِحركاتٍ طويلةٍ متموِّجةٍ عندَ المنعطفاتِ، فصارتْ خطوطُ الحصَى تُشبِهُ زَبَدَ الموجِ على شاطِئِ سجَّادةِ العُشبِ.

– هل ترى؟ يستطيعُ المرءُ أنْ يُتقِنَ عملَهُ إنْ كانتْ لديْهِ النِيَّةُ. قالتِ العمَّةُ مالين في طريقِ عودتِها.

كانتْ تحمِلُ جريدةَ المحافظِ وورقةً تحوَّلتْ إلى ما يُشبِهُ كتلةً منَ الورقِ في يدِها. شعرتْ فيديلي أنَّها تعرفُ تلكَ الورقةَ لكنَّها لمْ تدركْ ما هيَ. يجبُ أنْ تدخلَ وتلتقيَ العمَّةَ مالين في المَمَرِّ.

– ما هذهِ الورقةُ؟ سألتْ وحاولتْ أنْ تَسْترِقَ النَّظرَ إليها.

– نستطيعُ أنْ نتساءلَ، لكنْ أظنُّ أنَّ عليكِ ألَّا تتدخَّلي في هذا الأمرِ. قالتِ العمَّةُ مالين، وتابعتْ طريقَها.

لمْ ترَ فيديلي سِوى طَرفِ الورقةِ، لكنَّها أدْركتْ فجأةً لماذا عرَفَتْها. إنَّها رسالةُ التَّحذيرِ الّتي أرسلَتْها إلى ملكِ المخاطرِ! دخلتِ العمَّةُ مالين صالةَ الطَّعامِ ومنْ هناكَ تابعتْ إلى مكتبِ المحافظِ. تسلَّلتْ فيديلي خلفَها معَ أنَّها ممنوعةٌ من دخولِ غرفِ المحافظِ. عليها أنْ تعرفَ ماذا تنوي العمَّةُ مالين أنْ تفعلَه بتلكَ الورقةِ. كيفَ حصلَتْ عليها؟ تَسلَّلتْ فيديلي فوقَ سجَّاداتِ المحافظِ الصَّامتةِ، وحاولتْ أنْ تَتَفادى انْعكاسَ صورتِها في مفروشاتِهِ اللَّامعةِ. إنْ لمْ يظهَرْ انعكاسُ صورتِها هناكَ، فلنْ تفضحَ أغطيةُ الشيفون البراقة وخزانةُ الأدرَاجِ أمرَها، هكذا فكَّرتْ.

– ماذا تريدُ مالين يا تُرى؟ سألَ المُحافظُ منَ النَّاحيةِ الأُخرَى منْ بابِ المكتبِ.

– وجدْتُ ورقةً عجيبةً غريبةً في صندوقِ البريدِ. قالتِ العمَّةُ مالين بأكثرِ طبقاتِ صوْتِها خنوعاً. رسالةُ تحذيرٍ لشخصٍ يُدعَى «ملكُ المخاطرِ» – إنَّهُ هوَ، فنَّانُ السِّيركِ الَّذي ذهبَ المحافظُ لمُشاهَدَتِهِ. هذا لا يعني أنَّني غيَّرتُ رأيي، فأنا أؤمنُ بِما أؤمنُ بِهِ، لكنِّي لا أريدُ أنْ أُخفِيَ أمرَ الورقةِ عنِ المحافظِ، إنْ كانتْ تُثبِتُ بعضَ الشُّكوكِ.

– أيَّةُ شُكوكٍ؟

– الشُّكوكُ الَّتي ذكرَها حضرةُ المحافظِ، عندَما أخبرتُهُ بِما قالَهُ صاحبُ الدُّكَّانِ، فيما يتعلَّقُ بِما حدثَ لساعةِ الكنيسةِ.

– لمْ أقصدْ أنْ أجعلَكِ تأخُذينَ كلامي على مَحْملِ الجدِّ. قالَ المحافظُ. ذلكَ الأمرُ لمْ يَعُدْ يَعْنِينا!

– إنْ كانَ الأمرُ على درجةٍ منَ الأهمِّيَّةِ تجْعَلُ المحافظَ يدعو تلكَ البنتَ إلى السِّيركِ لكَي يَسْتوضِحَ بعضَ الأمورِ، فهذا يعنِي أنَّ الأمرَ على قَدْرٍ من الجدِّيَّةِ. قالتِ العمَّةُ مالين. ثُمَّ

إنَّ الغُموضَ يُحيطُ بهذِهِ الرِّسالةِ!

دَعيني أرها. قالَ المحافظُ.

قرأ المحافظُ رسالةَ فيديلي بِصوتٍ عالٍ في الدَّاخل:

«إلى ملكِ المخاطرِ: تحذيرٌ. إيَّاكَ أنْ تظهرَ في عرْضِ السِّيركِ اليومَ. التوقيعُ: فيديلي.» حسناً، هذا جيِّدٌ. تستطيعُ مالين أنْ تذهبَ الآنَ.

لكنْ لمْ يكنْ لدى العمَّةِ مالين نيَّةٌ لتقبُّلِ الهزيمةِ بهذهِ السُّهولةِ.

– هل سَيقبضُ على أحدٍ؟

– يبدو أنَّ كاتبَ الرِّسالةِ ليس سوى طفلٍ. قالَ المحافظُ.

– رُبَّما كتبَها شخصٌ قصدَ انْ يُغيِّرَ خَطَّهُ؟ قالتِ العمَّةُ مالين.

ثُمَّ عمَّ الصَّمتُ لبُرهةٍ.

– سنرى. قالَ المحافظُ.

راحتْ فيديلي ترتجِفُ عندَما سمِعتْ ذلكَ. جلستِ القُرفُصاءَ خلفَ كَنَبَةٍ؛ كَي لا تراها العمَّةُ مالين في طريقِ عودتِها منْ مكتبِ المحافظِ. ظلَّتْ جالسةً هناكَ لفترةٍ طويلةٍ بعدَ مرورِ العمَّةِ مالين، وراحتْ تفكِّرُ بِما يجبُ عليها أنْ تفعلَ. أحسَّتْ فجأةً أنَّ يومَ الأمسِ السَّعيدِ قد تلاشَى واختفَى. وتذكَّرتْ كم كانتْ تخشَى أنْ يشُكَّ المحافظُ بِملكِ المخاطرِ. ها هوَ الآنَ يقتربُ منَ الحقيقةِ ثانيَةً! تُرى ماذا سَيفعلُ المحافظُ لو رأى الرَّوابطَ بينَ الأحداثِ؟ بعدَ استراحةِ تفكيرٍ طويلةٍ مُخيفةٍ، خرجتْ فيديلي تجرُّ جسدَها إلى الحديقةِ. عليها أنْ تتحدَّثَ إلى ملكِ المخاطرِ! وجدَتْهُ واقفاً يُمسكُ بِمُشْطِ الأرضِ الحديديِّ، أمامَ ساحرَةِ المَريلةِ الَّتي راحتْ تتحقَّقُ من انتظامِ حصَى الممرَّاتِ.

– حسناً، ماذا أفعلُ الآنَ؟ هل أُكَنِّسُ السَّجَّادَ في الغُرفِ كلِّها؟

– السَّجَّادُ لا يُكنَّسُ بلْ يتمُّ نفضُهُ. قالتِ العمَّةُ مالين وَبدا كأنَّها تفكِّرُ في مسألةٍ أُخرى. السَّجَّادُ مُعلَّقٌ في المكانِ المخصَّصِ لنَفضِهِ خلفَ المنزلِ. هيَّا، اذهبْ وانفِضْهُ!

كَشَّر ملكُ المخاطرِ تَكشيرةً مُضحِكةً حينَ نَظَرَ صَوْبَ فيديلي. ها هوَ يقفِز إلى مربَّعٍ خاطئٍ آخرَ! إذا كانَ السَّجَّادُ كلُّهُ مُعلَّقاً في الخارجِ، لنْ يستطيعَ الصُّعودَ إلى غرفةِ نومِ المحافظِ! ضحكَ وكأنَّهُ شَهِدَ حَدَثاً كوميديّاً.

– دُلِّيني على المكانِ المخصصِ لنفضِ السَّجادِ. قالَ مُخاطباً فيديلي.

سارتْ فيديلي بِهِ إلى الحديقةِ الخلفيَّةِ للمنزلِ.

– عليَّ أنْ أتحدَّثَ معكَ في موضوعِ السِّيركِ، همستْ لَهُ. الأمرُ غايةٌ في الأهمِّيَّةِ!

– ليسَ لديَّ وقتٌ الآنَ. عليَّ أنْ أقومَ بِنفضِ السَّجَّادِ.

– لنْ يستغرقَ الأمرُ إلَّا لحظاتٍ.

لحظاتٌ قصيرةٌ. ألمْ تصِلْكَ رسالةُ التَّحذيرِ الَّتي أرسلتُها إليكَ أوَّلَ أمسِ؟

– أيَّةُ رسالةٍ؟ تَعنينَ تلكَ؟ لا، لكنِّي أعرفُ أنَّ أولادَ الإسكافيِّ أخذوها. قالَ ملكُ المخاطرِ.

توقَّفَ حينها، وراحَ ينظرُ إلى فيديلي.

– لماذا لمْ تَحضُرْ إلى السِّيركِ حينَ كُنَّا هناكَ؟ كنتُ أظنُّ أنَّ رسالَتي قد وصَلتْكَ.

– لا، لم يكنْ لديَّ رغبةٌ في الذَّهابِ إلى السِّيركِ يومَها. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– يا لحُسنِ الحظِّ! قالتْ فيديلي. ذهبَ المحافظُ إلى هناكَ ليرى إنْ كانَ أحدُ عُمَّالِ السِّيركِ هوَ منْ رسمَ على ساعةِ الكنيسةِ. فكتبتُ لكَ رسالةً كي أُحذِّرَكَ. والآنَ، حَصلتِ العمَّةُ مالين والمحافظُ على تلكَ الرِّسالةِ!

عَضَّ ملكُ المخاطرِ على فكَّيْهِ وفكَّرَ.

– لا تقلَقِي. هناكَ رجلٌ عجوزٌ في السِّيركِ يُقدِّمُ العروضَ عنِّي عندَ الحاجةِ. هوَ أيضاً يُدعَى ملكَ المخاطرِ. لنْ يشكَّا في أمْري.

– ألا ترى أنَّهُ منَ الأفضلِ أنْ تَختبئَ؟ توسَّلتْ فيديلي.

– غيرُ مُمْكنٍ. لديَّ الكثيرُ منَ المشاغلِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

عجَزتْ فيديلي، لمْ تفهمْ منْ أينَ يأتي بِكلِّ تلكَ الشَّجاعةِ. هوَ لا يَكترثُ فعلاً لأيِّ شيءٍ! لكنْ يبدو أنَّهُ حينَ يَرْسُمُ المرءُ وجهاً لساعةٍ كنيسةٍ ويقودُ فيلاً غريباً، يُصْبِحُ كلُّ شيءٍ أسهلَ بِالنِّسبةِ إليهِ.

قد يُحِبُّ المرءُ حياةَ التَّشويقِ حينَ يتعوَّدُ عليها. تُريدُ فيديلي أنْ تتعوَّدَ هيَ الأُخرى. تريدُ أنْ تُصبِحَ شُجاعةً مثلَ ملكِ المخاطرِ. لا تريدُ أنْ تُفكِّرَ أكثرَ بِالرِّسالةِ، وأنْ تخشَى القيامَ بِأفعالٍ مُشوِّقةٍ! حينَ قرَّرتْ ذلكَ جلستْ على العُشبِ، وفرشتْ ثوبَها فوقَ قَدَميْها. كلُّ ما تريدُهُ الآنَ هوَ أنْ تُشاهدَهُ وهوَ يَنفُضُ السَّجَّادَ.

– لا تقولِي لي أيَّةَ سَجَّادةٍ هيَ سَجَّادةُ غرفةِ النَّومِ، أُريدُ أنْ أعرفَها وحْدِي. قالَ ملكُ المخاطرِ.

ضَرَبَ السَّجَّادَ بِقَسوةٍ جعلتْ غيومَ الغبارِ تتصاعدُ حولَهُ كأعمدةِ

الدُّخانِ. حينَ انْتهَى، وضعَ السَّجَّادةَ الَّتي ظنَّ أنَّها سجَّادةُ غرفةِ النَّومِ فوقَ كَتفِهِ وسارَ إلى العمَّةِ مالين.

– لقد انْتَهيتُ منْ نفْضِ هذهِ السَّجَّادةِ! أستطيعُ أنْ أفرِشَها بِنفسي في مكانِها الصَّحيحِ!

– لا، شكراً، لكنَّكَ تستطيعُ مُساعَدَتي. قالتِ العمَّةُ مالين، وقادتْهُ إلى مكتبِ المحافظِ.

تَسلَّلتْ فيديلي خلفَهُما، ورأتْهُما يدخلانِ المكتبَ.

– آسِفَةٌ على الإزعاجِ مرَّةً أُخرى، ولكنْ يجبُ أنْ نَفرِشَ السَّجَّادةَ الآنَ. قالتِ العمَّةُ مالين.

– حسناً، أرى أنَّ هناكَ منْ يُساعدُ مالين على نفْضِ السَّجَّادِ اليومَ. قالَ المحافظُ.

– أجلْ، لكنَّ هذا لا يعني أيَّةَ زيادةٍ في المصاريفِ. لقد تمَّ اتفقنا على أنْ يقومَ بِعملِهِ دونَ مقابلٍ، أسرعَتِ العمَّةُ مالين بِالقولِ.

– أُحبُّ أنْ أنفضَ السَّجَّادَ. قالَ ملكُ المخاطِرِ.

– يجبُ أنْ يَحْصُلَ على أُجرةٍ ما، تَمْتَمَ المحافظُ.

– حسناً، لا بُدَّ منْ وجودِ بقايا طعامٍ قديمٍ نريدُ التَّخلُّصَ منْهُ. قالتِ العمَّةُ مالين. لا بُدَّ من أنَّهُ جائعٌ جداً، كبقيَّةِ أولادِ الإسكافيِّ.

لكنَّ المحافظَ اسْتشاطَ غضباً فجأةً.

– مالين لا تحتاجُ إلى ممارسةِ البُخلِ على حسابِي! قدِّمي لَهُ طعاماً لذيذاً، وأرْسِليهِ إليَّ حينَ ينتَهِي منْ عملِهِ، لكيْ أدْفعَ لَهُ أُجرتَهُ. لا

يجوزُ أنْ نسْتَغِلّ عثراتِ النَّاسِ. قالَ.

– أيَّةُ عثراتٍ؟ سألَ ملكُ المخاطِرِ.

– اغربْ عنْ وجهِي. قالَ المحافظُ.

خرجتِ العمَّةُ مالين بِرفْقةِ ملكِ المخاطِرِ مْن مكتبِ المحافظِ. وسارتْ فوقَ أرضِ الصَّالةِ، وكأنَّها تسيرُ في عاصِفةٍ ثلجيَّةٍ، بِفَمِها المزْمومِ وخطواتِها الكبيرةِ. لكنَّ فيديلي رأتْ ملكَ المخاطِرِ وهوَ ينظرُ حولَهُ في جميعِ الاتِّجاهاتِ.

– لا أدْري كيفَ أتصرَّفُ كي يرضَى المحافظُ، زفَرَتِ العمَّةُ مالين كلامَها حينَ وصلتِ المطبخَ. كلَّما حاولتُ أنْ أوفِّرَ عليهِ بعضَ المالِ أصَرَّ على إنْفاقِهِ، وإنْ حاولتُ أنْ أُشفِقَ على النَّاسِ وأُعْطيهم بعضَ الطَّعامِ، لا يُعجِبُهُ ذلكَ أيضاً. إنَّها المرَّةُ الأخيرةُ الَّتي أقبلُ فيها خِدمةً منْ أحدٍ. سَأقومُ بِفرْشِ السَّجَّادِ بِنفسِي، وأُريدُكَ أنْ تُغادرَ بعدَ تنَاوُلِ شطيرةِ «السُّجُقِ»!

– ألَا تسمحينَ لي بِأنْ أسقيَ الورودَ أيضاً؟ قالَ ملكُ المخاطِرِ.

– لكيِ تُغرِقَ الأراضِيَ كلَّها، وتقتلَ الزَّنبقَ بِكثْرَةِ الماءِ؟ لا، لا أريدُ ذلكَ!

– هلْ أقومُ بِمَسْحِ الغُبارِ؟

– الغبارُ يُمْسَحُ في وقتٍ مُبكِرٍ هنا!

– هلْ أمسَحُ أدراجَ هذا السُّلَّمِ العريضِ؟

– لا!

– وماذا عنْ نقلِ أغطيَةِ الفِرَاشِ إلى الخارجِ؟ سَأقومُ بِنقلِ الأغطيَةِ فقطَ!

– قلتُ لكَ لا! لنْ تفعلَ شيئاً بعدَ الآنَ، ولنْ أسْمَحَ لكَ بِدخولِ هذا البيتِ مرَّةً أُخرى، كي تكونَ على علمٍ بذلكَ! هيَّا، كُلْ طعامَكَ في الحالِ!

– أينَ أنتِ؟ زأرَ المحافظُ منْ داخلِ المكتبِ. أرسِلي الولدَ كي يُحْضرَ غَليوني منْ غرفةِ النَّومِ! إنَّهُ على الطَّاولةِ بِجانبِ السَّريرِ!

نظرَ ملكُ المخاطرِ صوبَ فيديلي حينَ سارَ.

– غرفةُ النَّومِ، أجلْ!

ملكُ المخاطرِ
والمحافظُ على حبَّةِ البازيلاء

حالَ خروجِ ملك المخاطرِ منَ البيتِ، تحايلتْ فيديلي إلى أنْ وصلتْ إلى غرفةِ نومِ المحافظِ. لمْ يسبقْ لَها أنْ حَلَمتْ بِامتلاكِ الجُرأةِ لدخولِ هذا الجزءِ منْ بيتِ المحافظِ منْ قبل، لكنْ إنْ تجرَّأَ ملكُ المخاطرِ الَّذي لا يسكنُ في هذا البيتِ على فعلِ ذلكَ، فلمَ لا تحاولُ هيَ أيضاً!؟ عمليَّةُ وضْعِ البيضةِ في مكانِها كانتْ سهلةً للغايةِ بِالنِّسبةِ لملكِ المخاطرِ! خافتْ فيديلي منْ أنْ يفكِّرَ بِأنَّها تُعطيه مَهامّاً حمْقاءَ وسهلةً للغايَة. عليها أنْ تتأكَّدَ على الأقلِّ من أنَّهُ أتقنَ وضْعَها في المكانِ المُناسبِ. اسْتغلَّتْ فُرصةَ دخولِ العمَّةِ مالين إلى المكتبِ، وتَسلَّقتِ السُّلَّمَ المَبْنِيَّ على شكلِ لولبٍ، وسارتْ على الجُزءِ الضَّيِّقِ من أدراجِه. لا يسيرُ النَّاسُ على هذا الجُزءِ منَ السُّلَّمِ عادةً. لا ضيْرَ في أنْ يتعَرَّضَ هذا الجزءُ منَ الأدْراجِ إلى بعضِ الاستهلاكِ. ثُمَّ إنَّ السَّيرَ على هذا الجُزءِ منَ الأدْراجِ يؤدِّي بِسرعةٍ إلى الوصولِ إلى الطَّابقِ العُلويِّ.

تسلَّلتْ وكأنَّها شبحٌ عَبرَ رواقِ الطَّابقِ الأعلى، واختلستِ النَّظرَ

عَبرَ البابِ الأقربِ إلى الشُّرفةِ. إنَّها غرفةُ نومِ المحافظِ. في الغرفةِ سريرٌ كبيرٌ أبيضُ اللَّونِ، تُزيِّنُ زواياهُ أزرارٌ نُحاسيَّةٌ، وفوقَهُ غطاءٌ أبيضُ منْ نَسيجِ سِنَّارة. لمْ تجرُؤ على دُخولِ الغُرفةِ، لكنَّها وقفتْ عندَ عتَبَةِ البابِ، وحدَّقتْ مليّاً في غطاءِ السَّريرِ. كانَ الغِطاءُ مفروشاً فوقَ السَّريرِ كما يجبُ لا تَشوبُه شائبةٌ سِوى تلكَ الكتلةِ المرتفِعةِ قليلاً في الوسطِ. لا بدَّ منْ أنْ تَتحَسَّسَها بيدِها! خطتْ ثلاثَ خطواتٍ داخلَ الغرفةِ، داعبتْ غطاءَ السَّريرِ بيدِها قليلاً، ثُمَّ أسرَعَتْ مُغادِرةً. بلى، هناكَ بيضةٌ مسلوقةٌ تحتَ الفِراشِ! إنَّها مُتأكِّدةٌ منْ ذلكَ. ظهرتْ مُسرعةً إلى جانبِ بابِ الشُّرْفةِ، وراحتْ تنظرُ إلى شجرةِ الزَّيزفونِ. كانتْ أوراقُ أغصانِها العُليا تتأرجحُ. ملكُ المخاطرِ يجلسُ بينَ أغصانِ الشَّجرةِ.

– عليكَ أنْ تستعيدَ البيضةَ أيضاً! هذهِ اللَّيلة أثناءَ نومِ المحافظِ! نادتْ بصوْتٍ مُنخفضٍ على قدْرِ استطاعتِها، وقد أحاطتْ فمَها بيدَيْها.

ثُمَّ أسرعتْ إلى الطَّابقِ السُّفليِّ هاربةً منَ المنزلِ. توقَّفتْ قليلاً عنَد مدخلِ المطبخِ، وقفزتْ متظاهرةً بِأنَّها تلعبُ، كي تتأكَّدَ منْ أنَّه ما من أحدٍ ينظرُ إليها، أو يرَى إلى أينَ هي ذاهبةٌ. ثُمَّ طارتْ فوقَ سجَّادةِ العشبِ، ولكنْ حينَ وصلتْ إلى شجرةِ الزَّيزفون لمْ تجدْ ملكَ المخاطرِ هناكَ.

كانَ ملكُ المخاطرِ ممدَّداً فوقَ أريكةِ المطبخِ في المساءِ، واضعاً يديهِ تحتَ رأسِهِ، ويفكِّرُ في هيئةِ فيديلي حينَ وقفتْ في الشُّرفةِ ونادتْهُ. شعرَ

أنَّ المُهِمَّةَ الَّتي ألقتْ بِها على عاتقِهِ فظيعةٌ، لكنَّهُ لمْ يشعرْ بِالغضبِ منْها. لا بُدَّ منْ أنْ تكونَ المهامُ صعبةً إذا أرادَ المرءُ الحصولَ على الحجرِ الأبيضِ. مُجرَّدُ وضْعِ البيضةِ تحتَ الفِراشِ لا شيء. خاصةً وأنَّ المحافظَ بذاتِهِ أرسلَهُ في مهمَّةٍ إلى غرفةِ النَّومِ. لقد قامتْ فيديلي بِمُهمَّتِها ولمْ تتكلمْ حينَ وعدَتْ بِذلكَ، على الرَّغمِ منْ أنَّ ساحرةَ المَريلةِ جعلتْها تبكِي. اعتَرتْ ملكَ المخاطرِ القشعريرةُ حينَ فكَّرَ في تلكَ المَخْلوقةِ الَّتي ترتدي المَريلةَ دائماً: العمَّةُ مالين. سَتكونُ عدُوَّهُ الثَّاني في هذهِ القريةِ. بلْ ها هوَ يفكِّرُ في أنْ يُطلقَ عليها اسمَ «العدوُّ رقمُ واحد»؛ لأنَّها لئيمةٌ في تعاملِها معَ فيديلي. يستطيعُ صاحبُ الدُّكَّانِ الحصولَ على المرتبةِ الثَّانيةِ. لقد حاولتِ العدُوُّ رقم واحد منعَهُ من دخولِ المنزلِ، ثُمَّ طردتْهُ، وكانتْ تنوي أنْ تكافئَهُ بِشطيرةِ «السُّجقِ» فقطْ. في ذلكَ بعضُ العدالةِ رُبَّما؛ لأنَّ تَمْشيطَ حصَى الممرَّاتِ، ونفْضَ السَّجَّادِ ليسا سِوى خِدَعٍ حربيَّةٍ، ولا يجبُ أنْ تدفعَ لهُ أُجرةً مقابلَ خديعتِهِ لها! لكنَّ المحافظَ كانَ في منتَهَى اللُّطفِ حينَ أعطاهُ نقوداً بِقيمةِ قطعتين نقديتين من فئة الكرون. سَيُكافئُهُ ملكُ المخاطرِ على لُطفِهِ، ويمْتنعُ عنْ إيقاظِهِ حينَ يستعيد البيضةَ هذهِ اللَّيلةَ.

متى ينامُ الإسكافيُّ يا تُرى كي يتمكَّنَ ملكُ المخاطرِ منَ المُغادرةِ والقيامِ بِمُهمَّتِهِ؟ لكنَّ الإسكافيَّ لا ينوِي النَّومَ، وها هوَ مُستَلْقٍ في مكانِهِ يرسمُ أحرفاً في الهواءِ كالعادةِ.

– ما الَّذي تكْتبُهُ؟ هَمَسَ هامبوس.

– أكتبُ مُذكَّراتي، تمتمَ الإسكافيُّ.

– وما هيَ المذكَّراتُ؟

– أنْ نكتبَ عنِ الحياةِ. قالَ الإسكافيُّ. أكتبُ عنِ الأماكنِ كلِّها الَّتي سَكنْتُها، والأشياءِ الَّتي أُحبُّ أنْ أفكِّرَ فيها.

– وكيفَ تَجعلُها تكْفي لكتابةِ كلِّ اللَّيالِي؟ هَمسَ هامبوس.

– أقومُ أحياناً بإعادةِ كتابتِها بِصيغةٍ جديدةٍ. قالَ الإسكافيُّ.

– لمْ أتمكَّنْ يوماً منْ رؤيةِ ما كَتبتَ. قلْ لي ماذا كتبتَ في السَّطرِ الأخيرِ!

– في السَّطرِ الأخيرِ كتبتُ عنِ المنْظرِ الطَّبيعيِّ الَّذي كنَّا نراهُ من بيتِنا في إيتربودا، وعاملِ البريد الَّذي كانَ سعيداً دائماً. قالَ الإسكافيُّ.

– هلْ كنتَ تفضِّلُ السَّكنَ هناكَ عنِ السَّكنِ هنا؟

– تحرَّكَ الإسكافيُّ قَلِقاً في سريرِهِ. تثاءَبَ ثُمَّ تنهّدَ.

– لا يهمُّ. قالَ.

– أنا أحبُّ السَّكنَ هنا. قالَ هامبوس وجلسَ في فرَاشِهِ. لماذا لا نضَعُ أرضِيَّةً جديدةً منَ الخشبِ في الطَّابقِ العُلويِّ، ونبقَى هنا؟ لو عثَرْنا على ألواحِ الخشبِ، أستطيعُ أنْ أدُقّ مساميرَها بِنفسِي. نستطيعُ أنْ نُقسِّمَ المساحةَ بِستارةٍ منَ القماشِ، وهكذا نحصُلُ على غرفةِ نومٍ للبناتِ، وأخرى للأولادِ كما في بيتِ القسِّيسِ في نودينغرو. أستطيعُ عندَها أنْ أجعلَ الصِّغارَ يَصْمُتونَ فترْضَى تلكَ. قالَ هامبوس وأشارَ إلى زوجةِ الإسكافيِّ.

– ومنْ أينَ نحصلُ على ألواحِ الخشبِ؟

– قدْ نجدُ بعضَ الألواحِ في مكانٍ ما. قالَ هامبوس.

– والسِّتارةُ؟

– لسنا بِحاجةٍ للسَّتائرِ. نستطيعُ أنْ نرسمَ جِداراً بِالفحمِ! ثُمَّ ننقلُ بعدَها الأسِرَّةَ جميعاً إلى الطَّابقِ العُلويِّ فيصيرُ المكانُ هنا أوسعَ. سَأقودُ درَّاجتِي إلى أوديسهوغ، وأُحْضِرُ الطِّلاءَ الأحمرَ الَّذي تركناهُ في مَخْزنِ الحطبِ، وأقومُ بِبعضِ الطِّلاءِ. وسوفَ أحصلُ على المالِ الكافي لشراءِ لوحٍ من الزُّجاجِ لإصلاحِ النَّافذةِ المكسورةِ!

– الطِّلاءُ الأحمرُ الَّذي تركْناهُ جفَّ منذُ زمنٍ. ومنْ أينَ سَتحصلُ على المالِ منْ أجلِ إصلاحِ النَّافذةِ؟

– أستطيعُ أنْ أعملَ صبيَّ مأموريّةٍ عندَ صاحبِ الدُّكَّانِ. قالَ هامبوس، وشعرَ أنَّهُ يتحدّى الموتَ.

عمَّ الصَّمتُ ثانيةً، واسْتدارَ الإسكافيُّ نحوَ الجدارِ.

تستطيعُ أنْ تُرافِقَنِي إلى الطَّابقِ العُلويِّ، وترى بِأُمِّ عينِكَ.

تَسلَّلَ إلى مكانِ جلوسِ الإسكافيِّ، وهَزَّ كتِفَهُ.

– تعالَ معي للحظةٍ فقط ثُمَّ تستطيعُ مُتابعَة الكتابةِ لاحقاً!

– لا جدوى منْ ذلكَ. قالَ الإسكافيُّ. الطَّابقُ العُلويُّ باردٌ جداً في فصلِ الشِّتاءِ. ومنْ أينَ لي بِالمالِ الكافي لشراءِ ألواحِ الخشبِ؟

ثُمَّ اسْتدارَ، ونظرَ إلى هامبوس عبرَ الظَّلامِ.

– لماذا تريدُ الاستمرارَ في السَّكنِ هنا؟

مكتبة ياسمين

– أريدُ ذلكَ وحسبُ. قالَ هامبوس.

استمرَّ الإسكافيُّ في النَّظرِ إليهِ لبُرهةٍ أُخرى، ثُمَّ نهضَ منْ مكانِهِ، وصعدَ إلى الطَّابقِ العُلويِّ. سارَ ببطءٍ وكسلٍ وتعَبٍ، وتوقّفَ هناكَ في الظَّلامِ دونَ أنْ يحاولَ السَّيرَ فوقَ أساساتِ الأرضيَّةِ. وقفَ هناكَ بِلا حراكٍ.

– لا جدوى منْ ذلكَ كلِّهِ. الطِّلاءُ الأحمرُ جفَّ منذُ زمنٍ.

– معَ السَّلامةِ إذنْ. قالَ هامبوس، وتسلَّلَ إلى الكُوَّةِ في جدارِ الطَّابقِ الثَّانِي.

تحرَّكَ الإسكافيُّ، وكأنَّ لا حولَ لَهُ، وكأنَّهُ لا يعلمُ كيفَ ينزلُ إلى الطَّابقِ السُّفليِّ، ثُمَّ اسْتدارَ، وبدأ يهبِطُ السُّلَّمَ نزولاً.

– ابْتعدْ عنِ الحماقاتِ! السَّيدةُ أولسون الَّتي طلبتْ منِّي أنْ أضعَ نِصفَ نَعلٍ لحذائِها قالتْ إنَّها رأتْ ولداً يقودُ الدَّرَّاجةَ مُرتدياً بيجامه.

– لا يهمُّ. قالَ ملكُ المخاطرِ وقفز منَ النَّافذةِ.

وها هيَ السَّيدةُ أولسون تُصْبحُ عدوَّهُ الثَّالثَ.

اللَّيلةُ مُعتمةٌ أكثرَ منْ ليلةِ حصولِ ساعةِ الكنيسةِ على ملامحِ وجهٍ آدميّ. كادَ ملكُ المخاطرِ يعجزُ عن رؤيةِ الشُّجيراتِ المختلفَةِ في حديقةِ منزلِ المحافظِ، إلى أنْ اصْطدمَ بِها. السَّماءُ مُعتمةٌ وقبيحةٌ. تسلَّلَ فوقَ سَجَّادةِ العُشبِ الكبيرةِ الرَّطبَةِ إلى أنْ وصلَ إلى شجرةِ الزَّيزفون، وراحَ يقفِزُ قفزاً طويلاً فوقَ الممرَّاتِ الَّتي سبقَ ومشَّطَها. توقّفَ عندَ أدراجِ السُّلَّمِ الكبيرِ، وراحَ يتأمَّلُ الأعمِدةَ الخشبيَّةَ الدَّاعِمَةَ لشُرفةِ المحافظِ.

إنَّها أعمدةٌ خشبيَّةٌ ثُمَانِيَّةُ الزَّوايا، مطليَّةٌ بِاللَّونِ الأبيضِ، تتسلَّقُها عرائشُ العنبِ البريِّ. كانتِ الأعمدةُ رطبةً وغليظةً للغايةِ ممَّا يجعلُ تسلُّقَها أمراً صعباً. أينَ وضعَ مُشطَ الأرضِ الحديديَّ يا تُرى؟ قد يحتاجُهُ الآنَ. سارَ ملكُ المخاطرِ حولَ المنزلِ في الظَّلامِ محاولاً إيجادَهُ. ظنَّ أنَّهُ وضَعَهُ بِالقربِ منْ مدخلِ المطبخِ، لكنَّهُ لمْ يجِدْهُ هناكَ. تسلَّلَ بِحذرٍ واقفاً على طرفِ سَجَّادةِ العشبِ حتَّى لا يسيرَ فوقَ حصَى الممرِّ الَّذي قد يُصْدِرُ أصوَاتاً توقِظُ النَّائمينَ داخلَ المنزلِ. سارَ مُبتعِداً عنِ النَّوافذِ المفتوحةِ، وأطالَ النَّظرَ إلى نافذةٍ ساحرةِ المَريلةِ. تَلقَّى فجأةً صفعةً منَ الأمامِ على جبهتِهِ في اللَّحظةِ الَّتي داسَ فيها على شيءٍ صلبٍ. لمْ يتوقَّعِ ملكُ المخاطرِ أنْ يصرخُ ألماً. سارَ خُطوةً إلى الوراءِ فقط كي يتمكَّنَ منْ ردِّ الصَّفعةِ. وقعَ شيءٌ ما على العشبِ، كأنَّ شخصاً وقعَ بِكاملِ طولِهِ على الأرضِ وأدْركَ عندَها أنَّهُ وجدَ مُشطَ الأرضِ. حملَ المُشطَ تحتَ ثِقلِ صمتٍ مُفعَمٍ بِالسُّخريةِ، وجعلَ منْ أداةِ القدرِ اللَّئيمةِ عصَا مشطِ أرضٍ طيِّعٍ رضيَ بِأنْ يُسْندَ إلى أحدِ الأعمدةِ الدَّاعمةِ للشُّرفةِ ليدوسَ عليهِ. ظلَّ مِشطُ الأرضِ ثابتاً في مكانِهِ لكنَّهُ رفيعٌ للغايةِ. هو بِحاجةٍ لِما يُمسكُ بِهِ أثناءَ تسلُّقِهُ. تذكَّرَ حبْلَ غسيلٍ كانَ قد رآهُ بِالقربِ منَ المكانِ المخصَّصِ لنَفْضِ السَّجَّادِ. فكَّ حَبْلَ الغسيلِ منْ مكانِهِ، وجعلَ منْ أحدِ طَرَفَيْهِ عُقدةً، ثُمَّ رماها باتِّجاهِ عمودِ الزَّاويةِ في درابزينِ الشُّرفةِ. لمْ يبقَ أمامَهُ سوى أنْ يُمْسكَ بِالحبلِ. حاولَ أنْ يتوازنَ فوقَ عصَا مِشطِ الأرضِ. تأرجحَ في طرفِ

الحبلِ بِطريقةٍ مُخيفةٍ، وكادتْ قدماهُ تُفلتُ من على العصَا، إلَّا أنَّ حافَّةَ أرضِ الشُّرفةِ كانتْ قريبةً منْهُ. أمسكَ ملكُ المخاطرِ بِها مُتشبِّثاً. بذلَ قصارَى جهدِه ليتحرَّكَ بِصمْتٍ حينَ دفعَ بِجسدِهِ فوقَ درابزينِ الشُّرفةِ. إنَّهُ الآنَ في الطَّابقِ العُلويِّ!

ربَّتَ ملكُ المخاطرِ على عمودِ الشُّرفةِ كَمَنَ يُرَبِّتُ على كَتفِ حليفٍ. شعرَ بِألمٍ في يديْهِ، ولمْ يكنْ سعيداً مثلَما كانَ ليلةَ زيارتِهِ للمقبرةِ. هوَ حانِقٌ على أحدٍ ما. حانِقٌ على الإسكافيِّ! الإسكافيُّ هو المُذْنِبُ في جَعْلِهِ يشعرُ بِأنَّ كلَّ شيءٍ مستحيلٌ. كانَ حانِقاً عليهِ؛ لأنَّهُ: يتمدَّدُ في سريرِهِ ليَخُطَّ كلماتِهِ في الهواءِ في كلِّ ليلةٍ، لظنِّه بأنَّ الطِّلاءَ الأحمرَ قد جفَّ، لكونه متعَباً، ولأنَّهُ أخبرَهُ بِما قالتْهُ السَّيدةُ أولسون. ألقَى ملكُ المخاطرِ نظرةً على بيتِ الإسكافيِّ من مكانِهِ فوقَ الشُّرفةِ. كادَ البيتُ يخْتفي خلفَ أشجارِ بيتِ المحافظِ الضَّخمةِ. لمْ يرَ منْهُ سوى جزءٍ بسيطٍ منَ المِدْخَنةِ؛ المِدْخنةَ المائلةَ.

– بِالطَّبعِ. قالَ ملكُ المخاطرِ لِنفسِهِ. المِدخنةُ مائلةٌ بِالطَّبعِ! ولِهذا علينا أنْ ننتقلَ ثانيةً!

شعرَ ببريقٍ منَ الألمِ والتَّعاسةِ يخترقُ كيانَهُ حينَ فكَّرَ في ذلكَ. ظلَّ واقفاً عندَ درابزينِ الشُّرفةِ غارقاً في أفكارِهِ. ظهرتْ أشجارُ بيتِ المحافظِ كأنَّها غيومٌ سوداءُ حطَّتْ فوقَ الحديقةِ، وتعريشةُ اللَّيلَكِ إكليلٌ للمُناسبَاتِ الحزينةِ. شجرةُ الزَّيزفونِ وحَدَها بَدَتْ لطيفةً، بَرَقَتْ الأوراقُ في قمّتِها.

– عندَ مُفترقِ الغُصْنَينِ الكبيرَينِ خبَّأتُ نقودِي. فكَّرَ ملكُ المخاطِرِ. رُغمَ ذلكَ لمْ يشعرْ بِالفرحِ بل تَفاقمَ شُعورُهُ بِالكآبةِ. بعدَما ينتقلُ منْ هنا، لنْ يتمكَّنَ منَ الجلوسِ بينَ أغصانِ شجرةِ الزَّيزفونِ ثانيةً. لنْ يتمكَّنَ منَ الاختباءِ هناكَ ليتأمَّلَ أشعَّةَ الشَّمسِ المُخضرَّةِ، ويسرُدَ على فيديلي حكاياتٍ عنْ ساعاتِ الكنائسِ والتُّفَّاحِ الأسودِ.

– شرفةُ بيتِ المحافظِ مكانٌ مناسبٌ للوقوفِ والبكاءِ، فكِّر.

– سَيكونُ بِحَوزتي الحجرُ الأبيضُ على الأقلِ حينَ أغادِرُ هذا المكان، وعدَ نفسَهُ ثانيةً، وشعرَ بِأنَّهُ تحوَّلَ إلى كائنٍ خطيرٍ، كأنَّهُ ينوي أنْ يُعَرِّضَ المحافظَ لنوعٍ منَ الأذَى.

كانَ بابُ الشُّرفةِ مفتوحاً قليلاً ومُثبَّتاً بِمشبكٍ ليَسمَحَ بِدخولِ بعضِ الهواءِ اللَّيليِّ إلى المنزلِ، ولمْ يحتجْ ملكُ المخاطِرِ لأكثرَ منْ أنْ يتسلَّلَ منْ خلالِهِ مُوارِباً. كادتْ سَجَّادةُ الرِّواقِ الخشِنةُ تخدِشُ قدَميْهِ عندَما تسلَّلَ إلى غرفةِ المحافظِ. رأى المقابضَ النُّحاسِيَّةَ تلمَعُ عندَ أطرافِ السَّريرِ.

كانَ المحافظُ نائماً على جنبِهِ، وقد وضعَ ساعةَ الجيبِ والمِحْفظةَ وأشياءَ صغيرةً أُخرى على الطَّاولةِ الصَّغيرةِ بِجانبِ السَّريرِ. كانَ يشْخُرُ كوحشٍ بريٍّ شخيراً مدوِّياً، غاضباً، مطوَّلاً وقيِّماً، يملأُ الغرفةَ على إيقاعٍ زمنيٍّ رتيبٍ. تقدَّمَ ملكُ المخاطِرِ ونظرَ إليهِ. كانَ المحافظُ يرتدي قُفطاناً للنَّومِ، أبيضَ اللَّونِ، لُوِّنَتْ ياقتُهُ بخطوطٍ حُمْرٍ. كانَ شعرُهُ مُتناثراً، وكرشُهُ عاليةً كهضبةٍ ضخمةٍ. وخُيِّلَ إلى ملكِ المخاطِرِ

أنَّهُ يرى مُنزلَقاتٍ جميلةً للتَّزلُّجِ على الثَّلجِ بينَ طيَّاتِ اللِّحافِ. خَطَرَ له أنْ يأخُذَ ساعةَ الجَيْبِ، ويجعلَها تتزلَّجُ بينَ تلكَ الطَّيَّاتِ ولو لمرَّةٍ واحدةٍ، لكنْ إنْ استيقظَ المحافظُ منْ نومِهِ، قد يظنُّ أنَّ ملكَ المخاطرِ ينوى سرقةَ السَّاعةِ. عنَدما فكَّرَ ملكُ المخاطرِ في ذلكَ، راحَ يتأمَّلُ المقتنَياتِ الصَّغيرةَ كلَّها داخلَ الغرفةِ. يستطيعُ أنْ يأخذَ ما يريدُ! المحفظةَ والسَّاعةَ والأقلامَ، ثُمَّ – إذا شاءَ – يُعيدُها.

نظر ملكُ المخاطرِ جيِّداً إلى الظَّلامِ داخلَ الغرفةِ. لمْ يشعرْ بالخوفِ، بلْ شعرَ بأنَّهُ خفيٌّ عنِ الأنظارِ. تقدَّمَ وتأمَّلَ ثانيةً ذلكَ الوجهَ النَّائمَ، عنْ مسافةٍ قريبةٍ جعلَتْهُ يرى أنَّ الشَّعرَ ينمو داخلَ أُذُنِ المحافظِ. تلعثمَ المحافظُ في نومِهِ، وتقلَّبَ، ونامَ على جانبِهِ الآخرِ. لمْ يكترثْ ملكُ المخاطرِ لأمرِهِ. سارَ في الغرفةِ وتأمَّلَ بقيَّةَ الأشياءِ. رأى لوحةً على الجدارِ مُسودَّةَ اللَّونِ قاتمةً إلى درجةٍ يصْعُبُ معَها رؤيةُ ما تُجسِّدُهُ. هل هوَ قاربٌ في البحرِ أم بقرةٌ في مرجٍ؟ هناكَ مِنضدةٌ عندَ النَّافذةِ. وهناكَ حمَّالةُ بنطلونٍ على طاولةِ المِغسلةِ. وزرَّانِ مَعدَنِيَّانِ لِكُمَّيِ قميصٍ. أمسكَ ملكُ المخاطرِ بِهما ليتأمَّلَهُما، ثُمَّ أعادَهُما إلى مكانِهِما.

– لا أُريدُ أزرارَ قميصِكَ القديمةَ، بلْ أُريدُ الحصولَ على البيضةِ، وهذا ما سَأقومُ بِهِ الآنَ، فكَّرَ ملكُ المخاطرِ.

جلسَ على رُكبتيهِ عندَ سريرِ المحافظِ ومدَّ يدَهُ بينَ الفِرَاشِ وقاعدةِ السَّريرِ. لمْ يعثرْ على البيضةِ. لا بُدَّ منْ أنَّها موجودةٌ في مسافةٍ أبعدَ

داخلَ السَّريرِ. لهثَ المحافظُ في نومِهِ. سحبَ ملكُ المخاطرِ يدَهُ منْ مكانِها، وتأمَّلَ المحافظَ عنْ قربٍ؛ لازالَ نائماً. مدَّ ملكُ المخاطرِ يدَهُ ثانيةً داخلَ الفِرَاشِ. ليسَ هناكَ بيضةٌ! أينَ اختفتْ؟

ازدادَ لُهاثُ المحافظِ في نومِهِ. الغريبُ في الأمرِ عدمُ إدْراكِهِ أنَّهُ ينامُ على بيضةٍ! لا بدَّ منْ أنَّ نومَهُ عميقٌ جداً، فكَّرَ ملكُ المخاطرِ، ومدَّ يدَهُ إلى مسافةٍ أعمقَ تحتَ الفرَاشِ. تنفَّسَ عندَها المحافظُ بعمقٍ وفتحَ جفنَيْهِ قليلاً. سحبَ ملكُ المخاطرِ يدَهُ بسرعةٍ منْ تحتِ الفرَاشِ، وانْكمشَ على ذاتِهِ عندَ طَرَفِ السَّريرِ تفادياً لاكتشافِ أمرِهِ. ظلَّ ساكناً في مكانِهِ كارنبٍ مذعورٍ.

– مَنْ هنا؟ سألَ المحافظُ.

سَمِعَهُ ملكُ المخاطرِ حينَ مدَّ يدَهُ تُجاهَ الطَّاولةِ بِمُحاذاةِ السَّريرِ بحثاً عنْ زَرِّ المصباحِ الكهربائيِّ. تمدَّدَ عندَها ملكُ المخاطرِ على الأرضِ، وزحفَ تحتَ السَّريرِ ببطءٍ. ثُمَّ شغَّلَ المحافظُ المِصباحَ.

تَأرجَحَتْ قاعدةُ السَّريرَ، ثُمَّ تنقَّلتْ قَدَمَا المحافظِ داخلَ الغرفةِ. اِستمرَّ ملكُ المخاطرِ في زَحفِهِ إلى أبعدِ نقطةٍ ممكنةٍ تحتَ السَّريرِ. تحرَّكَ بِمسافةِ ميليمتراتٍ مرَّةً تلوَ الأُخرى بِبطءٍ مُريحٍ، لعدمِ وجودِ حقائبَ تمنعُ حركتَهُ تحتَ السَّريرِ. لمْ يكنْ هناكَ سوى فَرْدَتَيْ شبْشبٍ. عادَ المحافظُ وتوقَّفَ عندَ حافَّةِ السَّريرِ. ثُمَّ اسْتدارَت كَعْبَاهُ وراحتْ قاعدةُ السَّريرِ تتأرجحُ، وَسَمِعَ صريرَها ثانيةً. لقد جلسَ المحافظُ على حافَّةِ سريرِهِ.

– تفضَّلْ، ها هوَ الشِّبْشبُ، فكَّرَ ملكُ المخاطرِ ونقلَ فَردَتَيْ الحذاءَ إلى مسافةٍ أقربَ منَ المحافظِ.

لا يريدُ أنْ يراهُ المحافظُ زاحفاً تحتَ السَّريرِ بحثاً عنِ الشبشبِ.

ما الَّذي يفكِّرُ فيهِ، وهوُ جالسٌ هناكَ يا تُرى؟

نقلَ ملكُ المخاطرِ الشِّبْشبَ مرَّةً أُخرى، ووضعَهُ عندَ حافَّةِ السَّريرِ. لكنَّهُ بالغَ هذهِ المرَّةَ. ظهرتْ إحدى فردتي الشِّبشبِ من تحت السَّرير، وسُلِّطَ عليها نورُ المصباح.

– ما هذا...؟ قالَ المحافظُ حيثُ كانَ جالساً فوقَهُ.

لمْ يجرُؤْ ملكُ المخاطرِ على التَّنفسِ. الوضعُ الآنَ غايةٌ في الخطورة.

– مالين! نادى المحافظُ.

انْتَظرَ قليلاً لكنْ يبدو أنَّ مالين لمْ تسمعْهُ. عمَّ الصَّمتُ ثقيلاً إلى درجةٍ أُجْبِرَت معَها ملكُ المخاطرِ أنْ يضعَ يدَهُ فوقَ قلبِهِ. قلبهُ الّذي بدأَ يدقُّ بِصوْتٍ مسموعٍ. ثُمَّ مالَ المحافظُ بِجسدِهِ فوقَ السَّريرِ وأطفأَ النُّورَ.

– ظنَّ أنَّهُ خُيِّلَ إليهِ أنَّهُ رأى الشِّبشِبَ يتحرّكُ، فكَّرَ ملكُ المخاطرِ.

تشوَّقَ إلى أنْ يُغنِّي «أيُّها الشَّمالُ المُثْلجُ»، هناكَ تحتَ السَّريرِ، كما تشوَّقَ أنْ يُغنِّيَ الأغنيةَ ذاتَها يومَ دَبَّ الذُّعرُ في قلبِ صاحبِ الدُّكَّانِ. لكنَّهُ أدْركَ أنَّ الأوانَ لمْ يحنْ بعدُ. عليهِ أنْ يبقَى الآنَ ممدَّداً بِلا حراكٍ في مكانِهِ لدهرٍ كاملٍ!

المحافظُ أيضاً ممدَّدٌ في مكانِهِ بِلا حراكٍ. لمْ يُسمَعْ صوتٌ لأنفاسِهِ هوَ

الآخرُ. كانَ ملكُ المخاطرِ مُتجمِّداً في مكانِهِ، رافعاً رأسَهُ يُمْعِنُ السَّمعَ ممَّا جعلَهُ يشعرُ أنَّ أُذُنيْهِ تمتدَّانِ. أخيراً بَدأ المحافظُ يتقلَّبُ في السَّريرِ، ويتنفَّسُ بِشكلٍ طبيعيٍّ. مرَّ بعضُ الوقتِ ثُمَّ تثاءبَ أيضاً. تنفَّسَ ملكُ المخاطرِ الصُّعداءَ، ووضعَ ذراعَيْهِ تحتَ رأسِهِ مُتأهِّباً للبقاءِ تحتَ السَّريرِ.

– سَأَعدُّ لثلاثةِ آلافٍ بدايةَ الأمرِ، فكَّرَ.

عندَما عدَّ إلى ألفٍ أحسَّ بِألمٍ في إحدى ساقيْهِ. وعندَما وصلَ إلى الألفِ الثّانيةِ آلمتْهُ قدمُ السَّاقِ الأُخرى. عندَ الألفِ الثَّالثةِ بدأ المحافظُ شخيرَهُ مجدَّداً.

– أرجو ألَّا أشخِرَ أنا أيضاً، فكَّرَ ملكُ المخاطرِ. إنَّهُ يشعرُ بالتَّعبِ الآنَ. قد يغرقُ في النَّومِ في أيَّةِ لحظةٍ، إنْ لمْ يحدثْ ما لمْ يكنْ في الحُسبانِ.

– ماذا لو كنتُ نائماً هنا في الصَّباحِ عندَما تصِلُ العدوُّ رقمُ واحد لتُكنِّسَ الأرضَ تحتَ السَّريرِ؟ فكَّرَ.

ها هَو المحافظُ يشْخِرُ بانتظامٍ. منَ الأفضلِ أنْ أستغِلَّ الفرصةَ وأُغادرَ، فكَّرَ ملكُ المخاطرِ. أمعنَ السَّمعَ مُجدَّداً، ثُمَّ راحَ يزحفُ تحتَ السَّريرِ رويداً، رويداً. عندَما خرجَ منْ مكانِهِ تحتَ السَّريرِ، ظلَّ واقفاً على أطْرافِهِ الأربعةِ ليتأكَّدَ من انتظامِ الشَّخيرِ قبلَ أنْ يجرؤَ على الوقوفِ. عنْدَها أمسكَ به أحدٌ ما وأحكمَ قبضتَهُ حولَ عنقِهِ. وقفَ ملكُ المخاطرِ والمحافظُ في لحظةٍ واحدةٍ، وحاولَ كلٌّ منْهما أنْ يرى الآخرَ. شغَّل المحافظُ المصباحَ.

– ما الَّذي تفعلُهُ هنا؟ قالَ المحافظُ.

لمْ يُجبْ ملكُ المخاطرِ عن سؤالِهِ. ظلَّ واقفاً يُحدِّقُ في عينيِّ المحافظِ وكأنَّهُ مُروِّضُ أسودٍ.

– أجِبْني!

تركَ المحافظُ عنقَهُ، وأمْسكَ بذراعِهِ. لمْ يتوقَّفْ ملكُ المخاطرِ عنِ التَّحديقِ فيهِ.

– كيفَ دخلتَ إلى هنا؟

مدَّ ملكُ المخاطرِ ذراعَهُ، وأشارَ إلى بابِ الشُّرفةِ. قادَهُ المحافظُ إلى الخارجِ، ونظرَ إلى درابزينِ الشُّرفةِ. عندَما رأى حبلَ الغسيلِ قالَ بِصوْتٍ حانقٍ:

– هكذا إذاً!

أفلتَ عندَها ملكُ المخاطِرِ منْ قبضتِهِ، وقفزَ فوقَ درابزينِ الشُّرفةِ.

بدايةُ الاختبارِ الأخيرِ لفيديلي

– لقد أمسكتُ بِهِ بيديَّ هاتين. قالَ المحافظُ.

كانَ قد أيقظَ كلّاً منَ العمَّةِ مالين ووالدةِ فيا منَ النَّومِ، ووقفَ على أرضيَّةِ الشُّرفةِ، وقد أنارَ المصابيحَ كلَّها وأشارَ بِاتِّجاهِ الحديقةِ. وقد اسْتيقظتْ فيا أيضاً ووقفتْ لا تَرْتَدي سِوى قميصِ النَّومِ وترتعشُ بِسببِ الذُّعرِ الَّذي أصابَها.

– من هَو؟ سألتِ العمَّةُ مالين.

– الولدُ الَّذي كانَ هنا يومَ أمسِ. قالَ المحافظُ. لقد خرجَ منْ تحتِ سريري، ثُمَّ أفلتَ منْ يدِي ورمَى بِنفسِهِ منَ الشُّرفةِ! ظننْتُ أنَّهُ سَيموتُ منْ أثرِ السُّقوطِ! لكنَّهُ راحَ يعدُو فوقَ العشبِ!

– مَنْ كانَ يظنُّ أنَّ أمراً مثلَ هذا يحدثُ هنا. قالتْ والدةُ فيا!!؟

– لا أستغربُ أمراً كهذا عنْهُ بِالذَّاتِ. قالتِ العمَّةُ مالين.

مالتْ فيا بجسدِها على إطارِ البابِ، وبدأتْ أسنانُها تصطكُّ. فقد بدا لها المحافظُ أشعثَ، مخيفاً، ضخماً، غاضباً.

– لا بدَّ منْ أنَّهُ أتى ليسرقَ شيئاً ما. قالتِ العمَّةُ مالين. يجبُ أنْ يتفقّدَ المحافظُ ممتلكاتِهُ، ويتأكَّدَ منْ وجودِها!

– لمْ يكنْ يحملُ شيئاً في يديهِ على الأقلِ. قالَ المحافظُ.

تَبِعَ الجميعُ المحافظَ إلى غرفتِهِ. أناروا مِصباحَ السَّقفِ والمِصباحَ الصَّغيرَ على الطَّاولةِ بِالقربِ منَ السَّريرِ، ثُمَّ راحَ المحافظُ ينظُرُ حولَهُ.

– المحفظةُ، السَّاعةُ، والأزرارُ لا تَزَالُ في مكانِها. أدْراجُ المكتبِ مُقفلةٌ، ويبدو أنَّهُ لمْ يلمسْ شيئاً. قالَ.

– رُبَّما لمْ تكنْ لديهِ أيَّةُ نيَّةٍ في سرقةِ أغراضِ المحافظِ. هَمَسَتْ فيا.

– ماذا كانَ يفعلُ هنا إذاً؟ قالتِ العمَّةُ مالين.

– ذلكَ الولدُ المسكينُ. قالتْ والدةُ فيا.

– إنْ لمْ يكنْ ينوي ما هوَ أسوأ منَ السَّرقةِ. قالتِ العمَّةُ مالين. ماذا لو كانَ مَعتوهاً!؟ لقد اسْتغرَبتُ حقاً رغبتَهُ في مساعدتِي في القيامِ بِالأعمالِ المنزليَّةِ! كانَ ينوي أنْ يعثُرَ على مكانٍ مناسبٍ يخْتبئُ فيهِ طبعاً.

– لكنْ لماذا لمْ يأخذ شيئاً. قالتْ والدةُ فيا.

– لمْ يجدْ مُتَّسعاً منَ الوقتِ لذلكَ رُبَّما. قالَ المحافظُ.

أَجْهَشتْ عندَها فيا بالبكاءِ. لمْ تعدْ ترى كتلةً مرتفعةً في الفرَاشِ المُبعثرِ فوقَ سريرِ المحافظِ، ولمْ تجرؤْ على الاقترابِ منْهُ لتتأكَّدَ منْ وجودِ شيءٍ هناكَ.

لا بُدَّ منْ أنَّ ملكَ المخاطرِ أخذَ البيضةَ معَهُ، ولنْ يصدِّقَ المحافظُ الآنَ أنَّهُ كانَت هنا بيضةٌ يريدُ أحدٌ اسْترْدادَها! سوفَ تُثارُ الشُّكوكُ

حولَ ملكِ المخاطرِ على أنَّهُ لِصٌّ!

– ما هو اسْمُ الولدِ؟ سألَ المحافظُ.

– لستُ أدْري. قالتِ العمَّةُ مالين.

– هل تعلمينَ ما اسمُهُ؟ سألتِ العمَّةُ مالين فيا.

هزَّتْ فيا رأسَها فقطْ.

– كنتُ أظنُّ أنَّهُ أحدُ أولادِ الإسكافيِّ. قالتِ العمَّةُ مالين. لعلَّه أحدُ الأولادِ العاملينَ في السِّيركِ. رُبَّما أتَى ليأخذَ تلكَ الرِّسالةَ العجيبةَ الَّتي أعطيتُها للمحافظِ؟

بدا المحافظُ متردِّداً.

– إنَّني أحتفظُ بتلكَ الرِّسالةِ داخلَ المكتبِ في الطَّابقِ السُّفليِّ. قالَ المحافظُ. لكن هذا لا يمنعُهُ منَ الظنِّ بأنَّها موجودةٌ هنا!

– رُبَّما أرْسَلَهُ ذلكَ الرَّجلُ الَّذي يُدعَى ملكَ المخاطرِ، فأتى وساعدَ في بعضِ الأعمالِ المنزليَّةِ طوالَ اليومِ؛ كي يلمحَ تلكَ الورقةَ في مكانٍ ما! لقد تذكَّرتُ! صاحتِ العمَّةُ مالين. كانَ طوالَ الوقتِ حريصاً على الصُّعودِ إلى الطَّابقِ العُلويِّ! «أنا بطلُ العالمِ في ترتيبِ فُرشِ الأَسِرَّةِ» قالَ.

نزلَ المحافظُ إلى مكتبِهِ، وألقَى نظرةً على الطَّاولةِ. تَبِعَتْهُ والدةُ فيا وفيا والعمَّةُ مالين إلى هناكَ.

كانتْ رسالةُ التَّحذيرِ الَّتي كتبتْها فيديلي لملكِ المخاطرِ موجودةً أعلى رُزْمةٍ منَ الورقِ، تحتَ ثقَّالةِ الورقِ. أمْسكَ بِها المحافظُ وقرأَها

مرَّةً أُخرى.

لمْ تجرؤْ فيا على النَّظرِ إليها. شعرتْ بأنَّهُ بادٍ على مُحيَّاها أنَّها هيَ المُسمَّاةُ فيديلي. كانتْ على درايةٍ بتحوُّلها لشخصٍ مختلفٍ منذُ ذلكَ اليومِ؛ عندَما وقفَتْ بِجانبِ البوَّابةِ. لقد رأتْ ذلكَ في المِرآةِ. رأتْ أنَّها ظهرتْ بهيئةٍ جديدةٍ. لا بُدَّ منْ أنْ يُدْركوا أنَّ السَّببَ يكمنُ في تحوُّلها إلى فيديلي. رُبَّما صارتْ أكثرَ شجاعةً ومَكراً منذُ تلكَ اللَّحظةِ أيضاً. قدْ لا يستطيعُ المرءُ أنْ يرَى في مظهَرِ البناتِ اللّواتي يَطرأُ عليهِنَّ التَّغييرُ ما فعلنَهُ وما لمْ يفْعَلْنَهُ. بعدَ بُرهةٍ طويلةٍ تَجرَّأتْ على النَّظرِ إلى المحافظِ.

دَعُونا نخلدُ إلى النَّومِ الآنَ. سوفَ أُعالجُ الأمرَ بِجدِّيَّةٍ في الغد.

دخلتْ فيديلي ببطءٍ إلى الغرفةِ. تقلَّصتْ إلى أبعدِ حدٍّ في سَريرها، ودفنتْ وجهَها في عُمقِ الوِسادةِ إلى درجةٍ جعلتْها ترَى أخاديدَ حمراءَ، وغيوماً فِضِّيَّةً شائكةً أمامَ عينيْها، على الرَّغمِ منْ أنَّها كانتْ مُغمَضَةً. هل تعرَّضَ ملكُ المخاطرِ للأذَى حينَ قفزَ منْ فوقِ الشُّرفةِ؟ ماذا لو هربَ فتُحرمَ منْ رؤيتِهِ إلى الأبدِ؟ حتَّى إنَّهُ لمْ يكنْ لديْها مُتَّسعٌ منَ الوقتِ لتعطيَهُ الحجرَ الأبيضَ! نامتْ فيديلي فجأةً، وحَلَمَتْ أحلاماً فظيعةً مُرعِبةً؛ حَلَمتْ أنَّها تتسلَّقُ شجرةَ الزَّيزفونِ بِرفقةِ ملكِ المخاطرِ. أرادا التَّسلُّقَ صُعوداً للجلوس في أشعَّةِ الشَّمسِ بينَ الغُصْنَينِ الكبيرينِ مصطحِبَين الحجر الأبيض، لكنَّ الأغصانَ لمْ تسمحْ لهُما بِالمُرورِ. ومهما تسلَّقا ظلَّ كلٌّ منْهُما في مكانِهِ. بدأتِ

الشَّجرةُ تترنَّحُ. عند أسفلِ الشَّجرةِ وقفتِ العمَّةُ مالين، وراحتْ تدفعُ جذعَها بِعنفٍ. أرادتِ الاستمرارَ في دفعِ الشَّجرةِ حتَّى تقعَ. إنَّها هيَ مَنْ تمنعُهُما مِنَ التَّسلُّقِ، وليسَ الأغصانُ. لقد سحرتِ الشَّجرةَ، فهيَ ساحرةٌ ترتدي مَريلةً، ساحِرةٌ تُريدُ تدْميرَهُما. لكنَّ ملكَ المخاطرِ مدَّ ذراعَهُ، وحافظَ على توازُنِهما، كما يليقُ بِفنَّانٍ منَ السِّيركِ. حينَ تميلُ شجرةُ الزَّيزفونِ إلى جهةٍ، يحافظُ هوَ على اتِّزانِها بِدفعِهِ لوزنِهِ باتِّجاهِ الجِهةِ الأُخرى. وعندَما تُحاولُ السَّاحرةُ الشِّريرةُ دَفْعَ الشَّجرةِ منَ الجهةِ الأُخرى، جعلَها تعُودُ وتَحْتفِظُ بِتوازُنِها. أدْركتْ فيديلي أنَّهُ لنْ يستطيعَ القيامَ بِذلكَ وحدَهُ إلى ما لا نهاية.

– لا تخافِي، أرى أنَّ الأمرَ مُسلٍّ لا أكثرَ. قالَ ملكُ المخاطرِ على الرَّغمِ منْ أنَّ الشَّجرةَ كانتْ تَرْتَجفُ رُعباً، والأوراقَ تصْرخُ ألماً. نظرتْ فيديلي إلى قمَّةِ الشَّجرةِ لترَى كمْ بقيَ أمامَهُما لِيصِلَا إلى هناكَ. رأتْ عندَها المحافظَ جالساً في القمَّةِ كغُرابٍ أسْودَ سمينٍ. نَعَقَ بِصوْتٍ لطيفٍ خَرَجَ منْ منقارِهِ الكبيرِ، ورَفْرفَ بِمِعْطفِ القاضِي الَّذي يرْتَديهِ أثناءَ تأديَتِهِ لعملِهِ، لكنْ في اللَّحظةِ الَّتي ظنَّتْ فيها أنَّهُ يريدُ مُساعدَتَهُما، ومدَّتْ يدَها لِتُداعبَهُ، طرأَ عليهِ التَّحوُّلُ. رأتْ فيديلي ضحكةً مُروِّعةً تنمو وتكبرُ على وجهِهِ، ونادى بِصوْتٍ مُزَمْجرٍ: «لقدْ انتهَى الأمرُ!» ثُمَّ دفعَ ملكَ المخاطرِ وأوقَعَهُ أرضاً، ووقعتِ الشَّجرةُ إلى الخلفِ؛ بينَما فيديلي ما تزالُ مُتَشبِّثَةً بِأغصانِها.

اسْتفاقتْ منَ النَّومِ عندَما سيطرتْ عليها رغبةٌ في الصُّراخِ. كانَ

الصَّباحُ يوشِكُ أنْ يَحُلَّ. وما زالتْ شجرةُ الزَّيزفونِ واقِفةً في مكانِها خارجَ النَّافذةِ، هادئةً ومهجورةً. قامتْ فيديلي منْ فِرَاشِها في الحالِ، وتسلَّلتْ إلى الحديقةِ بثيابِ النَّومِ. لمْ ترَ أنَّ لديْها مُتَّسعاً منَ الوقتِ لتُبدِّلَ ملابسَها. لمْ تأخذْ معَها سِوى الحجرِ الأبيضِ. سارتْ في بدايةِ الأمرِ باتِّجاهِ الشُّرفةِ، وتحقَّقتْ منَ الأرضِ حيثُ وقعَ ملكُ المخاطِرِ... هناكَ بعضُ الحُفرِ في الحصَى. أسرعتْ مُمْسِكةً بِمِشطِ الأرضِ، وأعادتْ تَمشيطَ الحصَى لكَي تَختفِيَ تلكَ الحُفرُ. ثُمَّ حاولتْ أنْ تَجِدَ آثارَ قدميْهِ فوقَ سَجَّادةِ العُشبِ، لكنَّ الآثارَ كانتْ ممحيَّةً. سارتْ فيديلي بِحذرٍ إلى شجرةِ الزَّيزفونِ. وَجَدتْها خاويةً مُظلمةً. تابعتْ سيرَها باتِّجاهِ البوَّابةِ. توقَّفتْ هناكَ دونَ أنْ يكونَ لديها عِلْمٌ بِما تفعلُهُ. ظنَّتْ أنَّها بدأتْ تسمعُ أصوَاتاً غريبةً منْ بعيدٍ، وأزيزَ عرباتٍ وخطًى ثقيلةً إلى درجةٍ تجعلُها تبدو مَحضَ خيالٍ. بدأتِ الأصواتُ تقْتربُ ببطءٍ. ها هيَ تكادُ تصِلُ إلى نهايةِ الطَّريقِ. طارتِ الطُّيورُ مُغادرةً أشجارَها، ومالتْ فيديلي بِثقلِ جسدِها نحوَ البوَّابةِ. فجأةً مرَّ فيلُ السِّيركِ منْ هناكَ. ثُمَّ تَبِعَهُ قفصُ الأسدِ فوقَ عربةٍ، ثُمَّ عرباتُ سَكنِ جماعةِ السِّيركِ، وعرباتُ نقلٍ تحْملُ قماشَ الخيمةِ والخيلَ والجِمالَ والكلابَ. إنَّهُ السِّيركُ ينتقلُ!

عندَما رأتْ فيديلي ذلكَ صرَختْ. لا بُدَّ منْ أنْ تُودِّعَ ملكَ المخاطِرِ، وتُعطيَهِ الحجرَ الأبيضَ. في لَمْحِ البَصرِ فَتحتِ البوَّابةَ، وراحتْ تعدوُ خلفَ العرباتِ. في اللَّحظةِ ذاتِها خرجَ أحدٌ ما منْ مَخْبَئِهِ خلفَ

بيتِ الإسكافيِّ، وبدأَ يعدوُ بِجانبِها. إنَّهُ ملكُ المخاطِرِ.

عندَما رأتْهُ فيديلي ابْطأَتْ منْ سرعتِها لكنَّ ملكَ المخاطِرِ تابعَ العَدْوَ.

– تعالي، لا بُدَّ منْ أنْ نَلْحقَ بِهم. قالَ.

مهَّد لهُ طريقاً بينَ الكلابِ الَّتي كانتْ تَقفِزُ وتُلاحِقَهُ بِأفواهِها حتَّى وصلَ مُؤخِّر العَربةِ الأخيرةِ. قفزَ إلى العَربةِ واسْتدارَ باحثاً بِنظرِهِ عنْ فيديلي.

– أسرعِي، عليَّ أنْ أنتقِلَ وإلَّا سيَقْبِضُ المحافظُ عليَّ. تعالَيْ معي! ناداها.

بدأتْ فيديلي تعدو ثانيةً؛ لكنَّها لمْ تجرؤْ على الاقْترابِ منَ الكلابِ الَّتي ما زالتْ تقفِزُ في عَرْضِ الطَّريقِ. فكَّرتْ بِوالدةِ فيا الَّتي سَتبقَى هنا، وتعملُ مُعلِّمةَ موسيقَى وحيدةً، ولمْ تعُدْ تدْري على منْ تُشْفِقُ أكثرَ؛ على الأُمِّ، أمْ على ملكِ المخاطِرِ. ناداها ملكُ المخاطِرِ ثانيةً، وأرادتْ فيديلي أنْ تَتْبعَهُ. لكنَّها صارتِ الآنَ عاجزةً عنِ اللَّحاقِ بِالعربةِ. ابْتعدتِ العربةُ عنْها أكثرَ وأكثرَ، ممَّا أجبرَها على التَّوقُّفِ.

– توقَّفْ. قالتْ، ومدَّتْ يدَها الَّتي تَحْمِل الحجرَ نحوَه.

فيديلي والكَنزُ في شجرةِ الزَّيزفونِ

حملتْ فيديلي حجرَ المواساةِ الأبيضَ اللَّامعَ بِيدِها المفتوحةِ، وراحتْ تُحدِّقُ في عرباتِ السِّيركِ المُبتعِدةِ. قفزَ عندَها ملكُ المخاطرِ منَ العربةِ، وعادَ إليها.

– لنْ أسمحَ لكَ بأنْ تُغادرَ معَ السِّيركَ وتترُكَنِي هنا. قالتْ فيديلي.

– أنا مُجَبَرٌ على ذلكَ بِسبَبِ المحافظِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– ألَا تستطيعُ أنْ تختبئَ في بيتِ الإسكافيِّ حتَّى يُنْسَى الأمرُ كلُّهُ؟

– سوفَ يتوجّهُ إلى هناكَ مباشرةً ليسألَ عنِّي، وعندَها سَينتهِي كلُّ شيءٍ!

– لكنِّي أريدُكَ أنْ تبقَى هنا وتُرافِقَنِي إلى المدرسةِ.

– ذلك غير ممكنٍ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

شعرتْ فيديلي بالغصَّةِ، ونظرتْ صوبَ شجرةِ الزَّيزفونِ. لا تريدُ أنْ يرَى أحدٌ مَدَى حزنِها.

– إنْ لمْ يكنْ ذلكَ ممكناً، تستطيعُ أنْ تبقَى هنا لبعضِ الوقتِ فقطْ

رُبَّما؟ بِضعةُ أيامٍ! سوفَ آتي إليكَ بِالطَّعامِ إنْ اخْتبَأتَ. وتستطيعُ أنْ تستَعيرَ غطائِي.

– أينَ الحجرُ؟ قالَ ملكُ المخاطِرِ بِصوْتٍ مُفعَمٍ بِالحزنِ.

ناولَتْهُ فيديلي الحجرَ، لكنَّهُ أعادَهُ إليها.

– لَمْ أعثرْ على البيضةِ. لقد أزالَها أحدٌ ما منْ هناكَ.

– لا يهمُّ. تستطيعُ الاحتفاظَ بِالحجرِ على أيِّ حالٍ. لقد وضعتَ يدَكَ تحتَ الفِرَاشِ، وهذا يكفِي.

وضعَ ملكُ المخاطِرِ الحجرَ في جيبِهِ.

– خُذْهُ معكَ إنْ اضْطُرِرْتَ للرَّحيلِ. قالتْ فيديلي.

نظَرَ كلاهما في جِهةٍ معاكسةٍ ثانيةً. وَقَعَ عِندَها نَظْرُ فيديلي على شجرةِ الزَّيزفونِ. أَمْسكتْ بِملكِ المخاطِرِ، وسَحَبَتْهُ مَعَها.

هيَّا، بِسرعةٍ. اخْتبِئْ بينَ أغصانِ شجرةِ الزَّيزفونِ، لنْ يبحثوا عنْكَ هناكَ. أسرِعْ!

ركضَ كلاهما فوقَ سَجَّادةِ العشبِ دونَ أنْ يَلْتَفِتَا حولَهُما.

– بِسرعةٍ، بِسرعةٍ، بِسرعةٍ! سوفَ أدْخلُ البيتَ بِسرعةٍ وأُحْضِرُ غطائِي ووسادتِي قبلَ أنْ ينهضَ الآخرونَ منَ النَّومِ!

أسْرعتْ فيديلي باتِّجاهِ المنزلِ. تَسلَّلتْ عبْرَ الممرِّ على قدَمَيْها المُبتَلَّتينِ، ودخلتْ غرفةَ النَّومِ بِصمتٍ تامٍّ. أخْرجتْ وسادتَها السُّفلى منْ بينَ طيَّاتِ الفِرَاشِ، ورَمتْها منَ النَّافذةِ مع غِطائِها الإضافيِّ. ثُمَّ هرِعتْ إلى غرفةِ الغسيلِ، وأخَذَتْ منْ هناكَ سلَّةَ غسيلٍ مَكسورةً،

وأربعةَ بُسُطٍ قديمةٍ. نقلتِ الأشياءَ تلكَ كلَّها إلى شجرةِ الزَّيزفونِ، ورَتَّبتْ هناكَ سريراً لملكِ المخاطرِ. لمْ يكنْ بوسعِهِ أنْ يتَمَدَّدَ بكاملِ طولِهِ داخلَ سلَّةِ الغسيلِ، لكنْ إنْ مَدَّ ساقَيْهِ منْ خلالِ الفَتحةِ الموجودةِ في الجانبِ القصيرِ المكسورِ للسلَّةِ، يستطيعُ أنْ يتَمَدَّدَ بطريقةٍ مُريحةٍ فوقَ البِساطِ والوِسادةِ. كانَ للسلَّةِ مُتَّسعٌ عندَ الأغصانِ السُّفلَى بالقربِ منْ جِذْعِ الشَّجرةِ دونَ أنْ تتفرَّقَ الأوراقُ وتَفضَحَ أمرَها.

– لا تَقْفزْ على السَّريرِ كي لا تَهتزَّ الشَّجرةُ. قالتْ فيديلي. سَأذهبُ الآنَ، وأُحْضِرُ شيئاً تُغطِّي بِهِ ساقيكَ!

– لا حاجةَ لذلكَ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

لكنَّ فيديلي أصرَّتْ على ذلكَ. أسرَعَتْ وأحْضَرتْ صُحُفاً قديمةً للقراءةِ، وروبَ الحمَّامِ الأزرَقَ الَّذي ترتديهِ عادةً وسُجُقاً وخُبزاً. وهكذا رأتْ أنَّها تستطيعُ أنْ تطْمَئِنَّ عليهِ.

– قد لا أتمكَّنُ منَ المَجيءِ إلى هنا كثيراً، فعلَيّ تَوخِّي الحذَرِ حتَّى لا يرونني. قالتْ فيديلي.

– أستطيعُ الخروجَ أثناءَ اللَّيلِ، وقَطْفَ بعضِ التُّفَّاحِ والجَزرِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– عليَّ أنْ أدْخلَ الآنَ، وأعودَ إلى سريري. لا شكَّ أنَّهم سيستيقظون قريباً!

– لا تَنسني. قالَ ملكُ المخاطرِ. عليكِ أنْ تقومي بِمَهمَّةٍ أُخرى. إنْ فَعلْتِ سَأُعيدُ إليكِ الحجرَ!

– ما هيَ المُهِمَّةُ؟ قالتْ فيديلي.

– عليكِ أنْ تَجمعِي كنزاً! كنزاً كبيراً، عظيماً! عليكِ أنْ تجْمَعِي كلَّ ما تستطيعينَ الحصولَ عليهِ!

نظرَ ملكُ المخاطرِ إليْها وكأنَّهُ يختبِرُها. كانَ جالساً على غُصنٍ وبدتْ عليهِ الوِحدةُ.

– علينا أنْ نمتَلِكَ ما يُمكِّنُنا منَ العيشِ! إنْ أرسَلوا الشُّرطةَ لِمُلاحَقَتِي سَنأخذُ الكَنزَ ونهربُ.

– سَأقومُ بِالمَهمَّةِ. قالتْ فيديلي.

تمدَّدَ ملكُ المخاطرِ في السَّلَّةِ ثانيةً بينَ البِساطِ والغِطاءِ والرُّوبِ.

– تصبحُ على خيرٍ. قالت فيديلي.

دخلتِ إلى البيتِ بِصمتٍ، وتمدَّدَتْ فوقَ سريرِها. لمْ تَعُد الغرفةُ مظلمةً كما كانتْ منْ قبلُ، ودقَّتْ ساعاتُ المنزلِ مُعلِنةً الخامِسةَ والنِّصفَ صباحاً. تَغطَّتْ فيديلي بلِحافِها حتَّى حاجبيْها، وراحتْ تفكِّرُ بِكلِّ ما يمكِنُ حدوثُهُ، ثُمَّ غفتْ. على والدتِها أنْ توقِظَها منَ النَّومِ عندَ الساعةِ الثَّامنةِ.

– هلْ قالَ المحافظُ شيئاً ما؟ سألتْ فيديلي حالَ اسْتيقاظِها منَ النَّومِ.

– لمْ يرتدِ المحافظُ ثيابَهُ بعدُ. لكنِّي خرجتُ وتحدَّثتُ إلى أولادِ الإسكافيِّ؛ لأتحقَّقَ إنْ كانَ الولدُ الَّذي تَسلَّقَ الشُّرفةَ واحداً منْهم. قالتْ والدةُ فيا. التَقيتُ بولدٍ صغيرٍ يُدْعى لولي. يقولُ إنَّ لهُ ثلاثَ أخواتٍ؛

سيري ونانا وإيفور، وأخَوينِ، اسمُ أحدِهما هنينغ واسمُ الثَّانِي توري. طلبتُ منْهُ انْ يُحْضِرَهُما إليَّ لكنِّي لمْ أجدْ بينَهُما واحداً يُشْبِهُ الولدَ الَّذي كانَ هنا يومَ أمسِ.

حَبَستْ فيديلي أنفاسَها. لمْ يعدْ لديها ما يكْفي منَ الجُرأةِ لطرحِ أيَّةِ أسئلةٍ أُخرى.

– هو إذاً ليسَ ابنَ الإسكافيِّ. قالتْ والدةُ فيا. لا بُدَّ منْ أنَّهُ منْ جماعةِ السِّيركِ في كلِّ الأحوالِ.

– لقدْ سافرتْ جماعةُ السِّيركِ هذا الصَّباح. قالتْ فيديلي.

– حسناً، لمْ يعدْ بِالإمكانِ فِعْلُ أيِّ شيءٍ في أمْرِ هذا الولد. كما أنَّهُ لمْ يأخذْ شيئاً، فلا داعيَ للاهتمامِ بِما حصلَ بعدَ الآنَ. قالتْ والدةُ فيا. علينا أنْ ننسَى الأمرَ برُمَّتِهِ!

لمْ تُجِبْها فيديلي. فكَّرتْ بأنَّ الكبارَ مُهمِلونَ دائماً. لا يُدركونَ خُطورةَ بعضِ الأمورِ، وَيتَظاهرونَ بأنَّ كلَّ شيءٍ سَيُصبِحُ على ما يرامُ حينَ يتحدَّثونَ إلى الأطفالِ. أدْركتْ فيديلي أنَّه لا المحافظَ ولا العمَّةَ مالين سَيَنْسيانِ الأمرَ لمُجرَّدِ رحيلِ جماعةِ السِّيركِ. سيجدُ المحافظُ السِّيركَ! سيتَّصلُ هاتفيّاً أو يلحقُ بِهم، فكَّرتْ. ولنْ تَستَسلمَ العمَّةُ مالين إطلاقاً، قبلَ أنْ تُؤَنِّبَ ملكَ المخاطر، أو تضرِبَهُ، أو تَحْبِسَهُ في مكانٍ ما! وفي نهايةِ المطافِ سيُدْرِكان أنَّ مَنْ كتبَ رسالةَ التَّحذيرِ هوَ أنا. لنْ أسمحَ للعمَّةِ مالين بأنْ تؤَنِّبَ ملكَ المخاطِرِ مهما حدثَ! ولنْ تُؤَنِّبَنِي أيضاً. أُفضِّلُ عندَها أنْ نتناولَ طعاماً سامّاً لنمُوتَ!

أعلمُ ما نستطيعُ تناوُلَهُ عنَدها. لكنْ قبلَ ذلكَ، سَأقومُ بِالمُهمَّةِ الَّتي أَوْكَلَها إليَّ ملكُ المخاطِرِ.

ارْتـدتْ فيديلي ملابسَها دونَ أنْ تَنْطقَ بِكلمةٍ. المطرُ يتساقطُ خارجاً. زَحَفتْ قطراتُ المطرَ على زجاجِ النَّافذةِ، كَسِرْبٍ منَ النَّملِ الصَّغيرِ اللَّئيمِ. وكانتِ القطراتُ تتوقَّفُ عنْ زَحْفِها أحياناً لتلتقيَ بِقطراتٍ أُخرى، ثُمَّ تُتابعَ طريقَها. لبِسَتْ فيديلي حذاءً مطاطيّاً ومِعْطفاً يقِيها منَ المطرِ، ووضَعَتْ مِنْديلاً فوقَ رأسِها. دخلتْ والدةُ فيا المطبخَ لتتحدَّثَ إلى العمَّةِ مالين. أخذتْ فيديلي سلَّةَ الحِبالِ منَ المخزنِ، أفرَغَتْ منْها الحبالَ على الأرضِ، وخرجتْ منَ البيتِ. عليْها أنْ تذهبَ لِمُمارسةِ مِهنةِ القرصنةِ الآنَ.

– سَآخذُ أشياءَ منْ جميعِ النَّاسِ. فكَّرتْ، حينَ مَّرتْ بِشجرةِ الزَّيزفونِ وشعرتْ أنَّ ملكَ المخاطِرِ جالسٌ هناكَ خلفَ الأوراقِ الخُضْرِ يُراقبُها.

– وسوفَ أُعطيهِ كلَّ شيءٍ! رُبَّما يريدُ الحصولَ على نُقُودٍ حقيقيَّةٍ؟ لمْ تتوقَّفْ فيديلي لِتسألَهُ. فهيَ تعلمُ أينْ يُخَبِّئُ العمُّ إيميلسون صاحبُ المقهَى مِحفظةَ نقودِهِ حينَ لا يَحْمِلُها. ثُمَّ إنَّها تستطيعُ الذَّهابَ إلى مكتبِ البريدِ، وفَتْحَ صندوقِ النُّقودِ هناكَ. كما قد رأتْ مرَّةً أينْ خبَّأَ صانعُ العرباتِ ورقةَ العشرِ كروناتٍ حينَ أعطاهُ المحافظُ أُجْرةَ تصليحِ عجلةِ عربتِهِ. ولبريتا صاحبةُ الجَدائِلِ صديقةٌ تُجيدُ فتْحَ الحصَّالاتِ. فتَحتْ تلكَ الصَّديقةُ حصَّالتَها مرَّاتٍ عِدَّةٍ جعلتْها غيرَ قابلةٍ للإقفالِ

مرَّةً أُخرى، أخْبَرتْها بريتا. كانتِ السَّيدةُ أولسون تَضَعُ ثمنَ طوابعِ البريدِ في صندوقِ بريدِها حينَ تُريدُ أنْ تُرْسِلَ شيئاً معَ السَّاعِي. تعْلمُ فيديلي ذلكَ، وتعْلمُ أنَّ ابنَ الجِيرانِ يَضَعُ مِحْفظتَهُ دائماً في حقيبةِ الدَّرَّاجةِ.

توجَّهتْ فيديلي إلى المقهَى مباشرةً. كانتْ قبضةُ البوَّابةِ مُبلَّلةً بالماءِ حينَ فتَحَتْها، وانْعكستْ قطراتُ المطرِ في المرآةِ الكُرويَّةِ في حوضِ الزُّهورِ. خَطَتْ فيديلي خُطوةً بينَ أزهارِ البَانسيهِ، ورفَعَتِ المرْآةَ الكرويَّةَ منْ مكانِها، ثُمَّ وضَعَتْها في السَّلَّةِ معَ بعضِ الأصدافِ الَّتي التَقطَتْها عندَ أطرافِ سَجَّادةِ العُشبِ. كانتِ الأصدافُ ضخمةً زهريَّةَ اللَّونِ. أخذتْ ثلاثةً منْها عنْ كلِّ جانبٍ منْ جانِبَيْ الممرِّ. عندَما أغلقتْ غِطاءَ السَّلَّةِ، فُتِحتْ نافذةٌ في الطَّابقِ العُلويِّ لِمبنَى المَقهَى ظَهَرَ فيها العمُّ إيميلسون.

– لمْ نفتحِ المَقهَى حتَّى الآنَ. قالَ. لمْ أكنْ أظنُّ أنَّ الزَّبائنَ سَيأتونَ في طقسٍ كهذا. إنْ كنتِ تريدينَ شِراءَ الخُبزِ تستطيعينَ الدُّخولَ منَ البابِ الخلفيِّ.

– حسناً. قالتْ فيديلي.

عندَما أقْفَلَ العمُّ إيميلسون النَّافذةَ عَبَرَتْ فيديلي الطَّريقَ مُتَوجهةً إلى مكتبِ البريدِ. اضْطُرّتْ عندَ دخولِها أنْ تَخْطُوَ فوقَ المرأةِ الَّتي تُنظِّفُ المكانَ، حيثُ كانتْ مُنكَبَّةً على تنظِيفِ العَتَبَةِ.

– هل تمكَّنتِ منَ العُبورِ. قالتْ عاملةُ التَّنظِيفَ بِصوْتٍ لطيفٍ.

– أجلْ، شكراً. قالتْ فيديلي.

سارتْ إلى المنضدةِ، وأخذتْ حمَّالةَ أقلامٍ منْ مكانِها. كانتِ الحاملةُ مليئةً بِحبَّاتِ خَرَزٍ خضراءَ صغيرةٍ جميلةٍ تُغْرَسُ أقلامُ الحِبْرِ فيها. تلوَّنتْ بعضُ حبَّاتِ الخَرَزِ بلونِ الحِبْرِ، لكنَّ ذلكَ لا يهمُّ. نظرتْ فيديلي باتِّجاهِ عاملةِ التَّنظيفِ حينَ أفْرَغتْ حمَّالةَ الأقلامِ ممَّا تَحْتَويهِ منَ الخرزِ في سلَّتِها. ثُمَّ فَعَلَتِ الأمرَ ذاتَهُ معَ ما تبقَّى منْ حمَّالاتِ الأقلامِ الثَّلاثةِ الأُخرى. لقدْ أخذتْ كلَّ ما كانَ هناكَ منْ خرزٍ أخْضرَ.

– حسناً، أتيْتِ لتُحضِري بعضَ الأوراقِ للمحافظِ؟ سألتْها عاملةُ التَّنظِيفِ دونَ أنْ ترْفَعَ رأسَها، حينَ مرَّتْ فيديلي منْ فوقِها ثانيةً.

تابعَتْ فيديلي طريقَها إلى المزبلةِ خارجَ منزلِ صانعِ العرباتِ. رأتْ هناكَ ألواحَ الزُّجاجِ الثَّلاثةَ المَكْسورةَ، والَّتي كانتْ سابقاً جزءاً منَ الجِدارِ الزُّجاجيِّ لِشرفةِ مبنَى المدرسةِ. قِطَعٌ مِنَ الزُّجاجِ الأخْضرِ والأزرقِ والأصْفرِ اعتادتِ الشَّمسُ أنْ تُرسلَ أشعَّتَها الجميلةَ منْ خلالِها، قبلَ أنْ يقومَ أولي غلادر بتحطيمِها عندَما أصابَها بِكُرةِ البيسبولِ. التقطتْ أجملَ القطعِ منْ هناكَ ووضعتْها في السَّلَّةِ. سارتْ منَ المزبلةِ إلى بيتِ صديقةِ بريتا المفضَّلةِ مباشرةً. طرقتِ البابَ، وطلبتْ منْ سيغبريت أنْ تقابلَها في الخارجِ.

أريـدُكِ أنْ تُعيدِي إليَّ كُرَتِي المعدنيَّةَ. قالتْ لسيغبريت. إنَّني أريدُها الآنَ.

– لقد رَبِحْتُها منْكِ. قالتْ سيغبريت ونظرتْ نحوَ بابِ المطبخِ.

– كنتِ تَغُشِّينَ. قالتْ فيديلي.

زفرتْ سيغبريت بِتهكُّم، ثُمَّ دخلتِ البيتَ.

– ها هيَ الكرةُ، خُذِيها! قالتْ ورمتِ الكُرةَ منْ فوقِ السُّلَّمِ.

التَقَطَتْ فيديلي الكرةَ منْ بينِ الحصَى، وسارتْ بِاتِّجاهِ البيتِ. تكادُ تكونُ سلَّتُها ممتلئةً. لقد امتلأتْ بِالبريقِ، وتهادتِ المِرْآةُ الكرويَّةُ بينَ الأصدافِ. عندَما مرَّتْ بِبيتِ السَّيِّدةِ أولسون رأتْ ساريةَ العَلمِ مائلةً نحوَ الأرضِ كي تدهنَ بالطلاء. رأتها مسنودةً إلى كراسي الحديقةِ المُغطَّاةِ بِالصُّحفِ، والمقبضُ العُلويُّ لها يُشيرُ نحوَ الخارجِ. سارتْ فيديلي على سجَّادةِ العُشبِ، وفكَّتِ المقبضَ منْ على قمَّةِ السَّارية. إنَّه يلمَعُ كالذَّهبِ. ثُمَّ تابعتْ طريقَها. بِالقربِ منْ بيتِ الإسكافيِّ رأتْ درَّاجةَ الجَارِ القديمةَ. كانَ المصباحُ العاكِسُ في مؤخِّر الدرَّاجةِ على وشكِ الخروجِ منْ مكانِهِ؛ لأنَّهُ لمْ يُثبَّت كما يجبُ. أدْركتْ فيديلي أنَّها تستطيعُ أنْ تَنْزِعَهُ منْ مكانِهِ بِمُجرَّدِ أنْ تُحرِّكَهُ بيدِها. كانَ المصباحُ أحمرَ بِلونِ اليَاقوتِ. دخلتْ فيديلي منْ بوَّابة بيتِ المحافظِ دونَ أنْ تنظرَ نحوَ شجرةِ الزَّيزفونِ. تركتِ السَّلَّةَ في تَعريشةِ اللَّيلَكِ قبلَ أنْ تتَّجهَ إلى مدْخلِ المطبخِ. سوفَ تأخُذُ الآنَ الكُرةَ الزُّجاجيَّةَ بِأزهارِها الَّتي تنْمو تحتَ الماءِ منْ غرفةِ المحافظِ. تسلَّلتْ صاعدةً السُّلَّمَ إلى الطَّابقِ العُلويِّ بِجوارِبِها.

سَمعتْ عندَها أحداً ما يتحدَّثُ في غرفةِ نومِ المحافظِ.

– هلْ نامَ حضرةُ المحافظِ جيِّداً؟ سألتِ العمَّةُ مالين.

– لا، بلْ كانَ نوماً سيِّئاً للغايةِ. قالَ المحافظُ. كيفَ للمرءِ أنْ ينامَ جيِّداً عندَما يصْحو منَ النَّومِ عندَ منتصفِ اللَّيلِ بِسبَبِ أولادٍ معْتوهينَ. ثُمَّ إنَّ هناكَ عُقدةً ما في السَّريرِ.

– ولمْ يَغْمضْ لي جفنٌ طوالَ اللَّيل. قالتِ العمَّةُ مالين. لكنَّني أعرفُ الحقيقةَ كاملةً الآنَ. الحقيقة الَّتي أنوي الآنَ أنْ أُخْبرَ المحافظَ بِها! ليسَ منْ دواعِي سُروري أنْ أوجِّهَ التُّهمَ لأحدِ سكَّانِ هذا البيتِ، لكنْ لا بُدَّ منْ أنْ يعملَ المَرْءُ بِما يُمْليهِ عليهِ ضميرُهُ. ولا بُدَّ منْ أنْ تأخُذَ العَدالةُ مَجراها، كما يعلمُ المحافظُ.

– ماذا تعنينَ يا مالين؟ قالَ المحافظُ.

– لقد فكَّرتُ بِما قالَهُ حضرةُ المحافظُ عنِ الرِّسالةِ، وأنَّهُ لا بُدَّ منْ أنْ يكونَ كاتبُها طفلاً. عندَها أدْركتُ حقيقةَ الأمورِ. لا أدْري لماذا لمْ تَقُل السَّيدةُ باترشون شيئاً بِهذا الخصوصِ، لكنْ لا بُدَّ منْ أنَّ لديها أسبابَها. مَنْ كتبَ رسالةَ التَّحذيرِ تلكَ هيَ فيا...

عندَما سمعتْ فيديلي ذلكَ، أفْلَتَتْ قبضتَها عنْ مقبضِ درابزينِ السُّلَّمِ، ونزلتْ إلى الطَّابقِ السُّفليِّ. ركضتْ عبرَ ممرِّ المطبخِ إلى تعريشةِ اللَّيلكِ حيثُ أحضرتِ السَّلَّة، وأسرعتْ بِها إلى شجرةِ الزَّيزفونِ.

كانَ ملكُ المخاطرِ مُنكَمشاً على ذاتِهِ، يُحدِّقُ في أوراقِ الشَّجرةِ حينَ أتَتْ فيديلي. لمْ تكترثْ لِمحادثَتِهِ، بلْ أكملتْ تَسلُّقَها إلى أعلى الشَّجرةِ، وأفرَغتْ محتوياتِ السَّلَّةِ في المثلَّثِ الَّذي صَنَعَهُ

تَفَرَّقُ الغُصْنَينِ إلى جانبِ نقودِ ملكِ المخاطرِ. تَبِعَها ملكُ المخاطرِ. وقَفَا ينْظُرانِ إلى الكنْزِ وبريقِهِ الرَّائعِ في الضَّوءِ الأخْضرِ. كانَ الكنْزُ يلمَعُ، ويعْكِسُ الضَّوءَ ويخْطِفُهُ.

لمْ تتأَكَّدْ فيديلي إنْ كانَ ملكُ المخاطرِ سعيداً بِالكنْزِ أمْ لا. لمْ يقلْ شيئاً حينَ تأمَّلَهُ، واكْتفَى بأنْ وضعَ يدَهُ في جيبِهِ. رُبَّما أدْركَ الآنَ أنَّ الأوانَ قد فاتَ على جَمْعِ الكُنوزِ. وأنَّ الجميعَ سَيُصرُّون على مُلاحَقَتِهما أكثرَ إنْ هُمَا أَخَذَا مِنَ الآخَرينَ نقوداً حقيقيَّةً. وأنَّهُ ليسَ هناكَ سِوى طريقةٍ واحدةٍ للخلاصِ. لِهذا أخرجَ الحجرَ الأبيضَ منْ جيبِهِ، وناولَها إيَّاهُ.

– خُذي الحجرَ الأبيضَ للمرَّةِ الأخيرةِ. قالَ. أخذتْ فيديلي الحجَر، وبدأتْ تنزلُ منْ على الشَّجرةِ.

– إلى أينْ تذهبينَ؟ سألَ ملكُ المخاطرِ.

– عليَّ أنْ أَقطفَ بعضَ الفِطرِ. أجابتْ فيديلي. بعدَ ذلكَ سَأبقَى معكَ دائماً.

المحافظُ ومسارُ العدالةِ

– يجبُ على مالين أنْ توضِّحَ حالاً ما تَعْنيهِ. قالَ المحافظُ. كُلِّي آذانٌ صاغيةٌ.

– حسناً، الأمرُ كما يلي. قالتِ العمَّةُ مالين. أظنُّ أنَّ المحافظ كانَ مُحِقّاً حينَ قالَ إنَّه لا علاقةَ للأشباحِ بِما حصلَ في المقبرةِ، في كلِّ الأحوالِ. هناكَ شخصٌ منْ سكَّانِ هذا البيتِ، مُتآمرٌ معَ المَدعوِّ «ملكُ المخاطرِ»، عاملُ السِّيركِ الَّذي شَكَّ المحافظُ بِأمرِهِ منذُ البدايةِ. وعندَما أدْركَ ذلكَ الشَّخصُ أنَّ المحافظَ ينوي الذَّهابَ إلى السِّيركِ ليُلقِيَ نظرةً، شعرَ بِالقلقِ، لذلكَ أجبَرتْ والدةُ فيا ابنتَها على كتابةِ رسالةِ تحذيرٍ للمُتَّهمِ. كانتْ قد أوصَتِ ابنتَها بعدمِ التحدُّثِ لأيٍّ كانَ عنِ الأمرِ بِرمَّتِهِ، ولذلكَ لمْ تفتحْ فيا فاهَا، وتصرَّفتْ بتلكَ الطَّريقةِ العجيبةِ يومَها، الأمرُ واضحٌ وُضُوحَ الشَّمسِ.

– ما هوَ الأمرُ الواضحُ وُضُوحَ الشَّمسِ؟ سألَ المحافظُ.

– الأمرُ بِرمَّتِهِ. قالتِ العمَّةُ مالين. ألَا يُدْركُ المحافظُ مَنْ هوَ ذلكَ الشَّخصُ؟

– بلى، أفهمُ أنَّ مالين تعني السَّيدةَ باترشون!

– بِالضَّبطِ. قالتِ العمَّةُ مالين. تلكَ هيَ المُذنِبةُ.

– مذنبةٌ؟ وما هوَ ذنبُها؟ قالَ المحافظُ.

– مذنبةٌ بكلِّ شيءٍ. قالتِ العمَّةُ مالين. لقد خطَّطتْ هيَ وفنَّانُ السِّيركِ للقيامِ بعملٍ إجراميٍّ ما، لكنَّهُما توخَّيَا الحذرَ حينَ أدْركا أنَّ المحافظَ اقتفَى أثرَهُما، وعندَها أرسلَ رجلُ السِّيركِ ذلكَ الولدَ، كي يسرقَ رسالةَ التَّحذيرِ. كانا يخشَيانِ أنْ يُكتَشفَ أمرُهُما بِكلِّ تأكِيدٍ.

– حسناً، لكنَّهُما لمْ يقترفَا أيَّ ذنبٍ حسبَ عِلمِي. قالَ المحافظُ.

– ألمْ يرسُمَا على ساعةِ الكنيسةِ؟

– وما هيَ الجريمةُ في الرَّسمِ على ساعةِ الكنيسةِ؟

– لا بُدَّ منْ أنَّها إشارةٌ سرِّيَّةٌ بينَهُما. قالتِ العمَّةُ مالين. لقد رَسَمَ على ساعةِ الكنيسةِ لكَي يُعْلِمَها بِأنَّهُ موجودٌ هنا.

– ألمْ تكنْ رؤيتُها لمرورِ السِّيركِ منْ هنا كافيةً؟ سألَ المحافظُ.

– رُبَّما هناكَ مَغزًى آخر للأمرِ. رُبَّما تحدَّثَ الرَّسمُ عنِ السَّاعةِ الَّتي سَتقعُ فيها الجريمةُ.

– أيَّةُ جريمة؟ قالَ المحافظُ.

– قد لا يَتَسنَّى لنا معرفتُها أبداً. قالتِ العمَّةُ مالين. أظُّن أنَّ إمكانيَّاتِ المحافظِ تفوقُ إمكانيَّاتِي فيما يتعلَّقُ بِالوصولِ إلى الحقيقةِ. لكنِّي لمْ أحبَّ تلكَ الإنسانةِ في يومٍ ما؛ لأنَّهُ لا نَفْعَ منْ وجودِها على الإطلاقِ. كلُّ ما تفعلُهُ هوَ أنَّها تعْزِفُ على البيانُو وتمارِسُ كَسَلَها

طوالَ اليوم. ثُمَّ إنَّ تربيتَها لابنتِها تثيرُ الشَّفقَةَ والشُّعورَ بِالعيبِ. ابنتُها لا تجيدُ الشُّكرَ على الطَّعامِ على الرَّغمِ منْ أنَّها كَبُرَتْ. كما أنَّها عنيدةٌ وغريبةُ الأطوارِ، كوالدتِها تماماً. لقد سرقتْ مقبضَ درابزينِ السُّلَّمِ، لا بُدَّ أنَّ المحافظَ يعلمُ ذلكَ! لكنِّي كنتُ أعلمُ منذُ البدايةِ أنَّ أمرَهُما يثيرُ الرَّيبةَ. كنتُ أعلمُ ذلكَ. لنْ تتمكَّنا مِنْ خِداعِي. قالتِ العمَّةُ مالين.

– لا، رُبَّما الأمرُ كذلكَ. قالَ المحافظُ، لأنَّ مالين تَخْدَعُ ذاتَها بذاتِها، وعليها أنْ تُصْغِي جيِّداً إليَّ الآنَ: لا أدْري بِالضَّبطِ ما العلاقةُ بينَ ما حدثَ لِساعةِ الكنيسةِ وبينَ الولدِ والرِّسالةِ والموضوعِ برمَّتِهِ. لكنِّي أُدْرِكُ تماماً أنَّ مالين لا تعرفُ عنِ الأمرِ أكثرَ ممَّا أعرفُ، وعليها أنْ تتوخّى الحذرَ، وألَّا تتسرَّعَ بِنَشْرِ شكوكٍ خاطئةٍ! نعلمُ سابقاً أنَّ مالين لا تُحبُّ السَّيدةَ باترشون، فقد تحدَّثْنا عنِ الأمرِ مراراً وتكراراً، إنْ لمْ تَخُنِّي ذاكرَتي. لكنْ لا علاقةَ لِهذا بِما نحنُ بصددِه الآنَ. وعلينا ألَّا نَخْلطَ بينَ الأمورِ. السِّيدةُ باترشون تروقُ لي، لأنَّها تكتبُ جيِّداً وبخطٍّ أنيقٍ، وتدفعُ الأُجرةَ في الوقتِ المُحَدَّدِ، لذلكَ لا أريدُ سماعَ المزيدِ منَ الشَّكاوَى. وأريدُ أنْ تَكُفِّي عنْ ذكْرِ مقبضِ الدَّرابزينِ مرَّةً أخرى وإلى الأبدِ، وعليكِ أنْ تُلقِي بِهذهِ المتاعبِ على عاتقِي أنا! فأنا سعيدٌ بِأنَّني أوَّلُ منْ حدَّثتْهُ مالين عنْ شُكوكِها، لأنَّ لديَّ خبرةً أوْسعَ منْ خِبْرةِ مالين فيما يتعلَّقُ بِالأدلَّةِ، وليسَ هناكَ أيَّةُ أدلَّةٍ في كلِّ ما قالتْهُ.

– سأقومُ بِتقديمِ استقالتِي إذاً. قالتِ العمَّةُ مالين

صمتَ المحافظُ للحظاتٍ.

– لا تتسرَّعِي يا مالين. قالَ لاحقاً. فكِّري بِالأمرِ ملياً بهدوءٍ وسكينةٍ قبلَ أنْ تتّخِذِي أيَّ قرارٍ! ليسَت لديّ أيَّةُ ملاحظاتٍ على عملِكِ، كلُّ ما في الأمرِ أنَّني لا أريدُ وقوعَ المَشاكلِ... أريدُ أنْ أقولَ شيئاً آخرَ بِما أنِّي بدأتُ الحديثَ: إنَّ كراهيَّةَ النَّاسِ جريمةٌ! خاصةً تلكَ الكراهيَّةُ الَّتي تمارِسُها مالين ولِدوافِعَ غيرِ حقيقيَّةٍ. الكراهيَّةُ جريمةٌ في كلِّ الأحوالِ!

– لا أريدُ أنْ أُفكِّرَ ملياً بالأمرِ. قالتِ العمَّةُ مالين. أريدُ أنْ أستقيلَ في نهايةِ الشَّهرِ، وبعدَ ذلكَ سَأجدُ عملاً آخرَ في إينشوبينغ.

– لطفاً، قولي للسَّيدةِ باترشون أنْ تأتِيَ إلى هنا. قالَ المحافظُ.

وضعَ المحافظُ صينيَّةَ الشَّاي الَّتي وضعتْها مالين فوقَ رُكْبَتيهِ جانباً، مُحاولاً ألَّا يُوقِعَ المِصْباحَ عنِ الطَّاولةِ الصَّغيرةِ بِجانبِ السَّريرِ. نهضَ من سريرِهِ، وراحَ يبحثُ عنِ الرَّوبِ ليرتديَهُ، ثُمَّ أزاحَ الفرَاشَ، ونظرَ إلى السَّريرِ.

– ألَمْ أقلْ إنَّني شعرتُ بِشيءٍ؟ قالَ. كيفَ أتتْ إلى هنا؟ بيضةُ دجاجٍ قديمةٌ. تُرَى هلْ مرَّتْ داخلَ ماكينةِ كَيِّ المُلاءات أيضاً؟

طرقتْ والدةُ فيا بابَ غرفةِ النَّومِ. رفعَ المحافظُ السِّتارةَ وفتحَ النَّافذةَ. تنهَّدَ وراحَ يبحثُ عنِ الشِّبْشبِ، الَّذي يبدو أنَّهُ هربَ أثناءَ اللَّيلِ. لو بقيَ الولدُ مُمدَّداً تحتَ السَّريرِ لوضعَهُ أمامَهُ مرَّةً أُخرى.

– تفضَّلي. قالَ بصوْتٍ عالٍ.

دخلتْ والدةُ فيا، ووقفتْ عندَ البابِ.

– أعْتذرُ عنِ الفوضَى الَّتي تَعُمُّ الغرفةَ. قالَ المحافظُ، لكنِّي أريدُ أن أحدِّثَكِ عمَّا حصلَ أثناءَ اللَّيلِ. يُسْتَحْسَنُ أنْ نُحاولَ اسْتيضاحَ بعضِ الأمورِ قبلَ أنْ تستجِدّ تعقيداتٌ أُخرى.

– حسناً. قالتْ والدةُ فيا.

– لقد طرحتْ مالين عليَّ وجهةَ نظرِها.

– حسناً. قالتْ والدةُ فيا.

– رُبَّما أخْبَرتْكِ بِها أيضاً؟

– لا، ليسَ بشكلٍ مباشرٍ.

– دَعينا لا نُناقشُها الآنَ إذاً. قالَ المحافظُ. يسُرُّني أنْ أسْمعَ رأيَ السَّيدةِ باترشون في الموضوعِ.

– لستُ أدْري إنْ كانَ لي رأيٌ في الموضوعِ. قالتْ والدةُ فيا. سألتُ أحَدَ أولادِ الإسكافيِّ هنا في الجِوارِ كمْ عددُ إخوتِهِ وطلبتُ أنْ أقابلَهُم. قلتُ إنَّنا نريدُ أنْ نتعرَّفَ إلى بعضِنا بعضاً بِما أنَّنا جيرانٌ. لا أريدُ أنْ أزْرعَ فيهم شيئاً منَ الخوفِ بِسببِ شُكوكٍ لا أساسَ لَها.

– بِالطَّبعِ. قالَ المحافظُ. هلْ وجدتِ الولدَ هناكَ؟

– لا، فقط ثلاثةُ صِبْية آخرون.

– قد يلجؤون إلى الكذبِ طبعاً. قالَ المحافظُ.

– لا أظنُّ أنَّهم شَكُّوا بِشيءٍ منْ هذا القبيلِ.

– لقد رحلَ جماعةُ السَّيركِ هذا الصَّباح. اسْتيقَظتُ منَ النَّومِ عندَما سَمِعتُ صَريرَ العرباتِ. كانتِ الضَّجةُ فظيعةً! رُبَّما هو بينَهُم،

وفي تلكَ الحالِ نستطيعُ أنْ نَجِدَهُ. ليسَ علينا سِوى الاتِّصالِ بِالنَّائبِ العامِ للمنْطِقةِ إنْ احتاجَ الأمرُ. قالَ المحافظُ. أريُد أنْ أفهمَ أوَّلاً ما هيَ التُّهمَةُ الَّتي سَأوجِّهُها إليهِ.

– لا أفقهُ منَ الأمرِ كلِّهِ شيئاً. قالتْ والدةُ فيا. أنا أيضاً لا أعلمُ شيئاً.

– ما رأيُ السَّيدةِ باترشون في رسالةِ التَّحذيرِ؟

حرَّكتِ السَّيدةُ باترشون خاتمَ الخُطوبةِ والزَّواجِ حركةً دائريَّةً حولَ إصبعِها.

– أسوأُ ما في الأمرِ هوَ ظنِّي أنَّ فيا هيَ منْ كتبتْ تلكَ الرِّسالةَ. قالتْ وقدْ بَدا الحُزنُ عليها. لمْ أقلْ شيئاً في بادئِ الأمرِ؛ لأنِّي كنتُ تحتَ تأثيرِ الصَّدمةِ، ولأنِّي أحاولُ أنْ أفهمَ قبلَ أنْ أقومَ بِأيِّ تصرُّفٍ.

– هلْ سألتِ ابنتَكِ؟ قالَ المحافظُ.

– لا. قالتْ والدةُ فيا وبَدَتْ أكثرَ تعاسةً. لقدْ خرجتْ قبلَ قليلٍ، وكنتُ أنوي اللَّحاقَ بِها للبحثِ عنْها عندَما طلبتْ مالين منِّي المَجيءَ إلى هنا.

– افعلِي ذلكَ، وسوفَ أرتدِي ملابسِي.

– هلْ المحافظُ غاضبٌ؟ سألتْ والدةُ فيا.

– لا. قالَ. لكنِّي لا أريدُ التَّعرُّضَ إلى الإزعاجِ أثناءَ اللَّيلِ مرَّةً أُخرى، ولا أحبُّ أنْ يدخلَ الغُرباءُ غرفةَ نومِي! لا بُدَّ منْ معرفةِ السَّببَ الَّذي جعلَهُم يأتونَ إلى هنا. ثُمَّ إنَّهُ لا يجبُ أنْ يُهمِلَ المرءُ الأمورَ قبلَ

أنْ يتأكَّدَ مِنْ أنَّها مجرَّدُ تفاهاتٍ. تستطيعينَ المَجيءَ إليَّ في المكتبِ إنْ علمتِ بِأمرٍ ذي أهميَّةٍ.

– حسناً. قالتْ والدةُ فيا.

– لستُ بحاجةٍ إلى الإشارةِ إلى أنَّ على المرءِ أنْ يُخاطبَ الأطفالَ بِحذرٍ إنْ أرادَ أنْ يكونَ لِشهادتِهم أيَّةُ قيمةٍ؟ أَعنِي أنَّ على السَّيدةِ باترشون أنْ تُحاولَ الاستغناءَ عن اللّهجةِ الشَّديدةِ بِالدَّرجةِ الأُولى.

– فيا تُخْبِرُني بِكلِّ شيءٍ عادةً. قالتْ والدةُ فيا.

تثاءب المحافظُ واضعاً يدَهُ فوقَ فمِهِ.

– أسْخفُ ما في الأمرِ هوَ أنَّني لمْ أنمْ جيِّداً طوالَ اللَّيلِ؛ لأنَّهُ كانَ في فِرَاشِي بيضةٌ. قالَ.

سمعَ طرقاً على البابِ.

– الإسكافيُّ يريدُ التحدُّثَ إلى المحافظِ. قالتِ العمَّةُ مالين.

مُذكَّراتُ الإسكافيِّ

عندما هبط المحافظُ إلى مكتبِهِ في الطَّابقِ الأرضيِّ، وجدَ الإسكافيَّ واقفاً هناكَ، ينظرُ منَ الشُّباكِ إلى الخارجِ، حاملاً قبَّعتَهُ بيدِهِ. ليسَ لأنَّهُ يحتاجُ إليها أثناءَ عبورِهِ الطَّريق الفاصِل بين بيتِه وبيتِ المحافظِ، بلْ لحاجتِهِ للإمساكِ بِها بيدِهِ فقط حينَ يَقِفُ في مكتبِ المحافظِ، وينظرُ منَ النَّافذةِ إلى الخارجِ. بدا وكأنَّهُ انتظرَ لساعةٍ كاملةٍ... هكذا يبدو دائماً. لاحظَ المحافظُ أنَّ الإسكافيَّ لمْ يَحْلِقْ ذقنَهُ، ورأى إصْبعَ الإبهامِ الوحيدَ في يدَيهِ وملامحَهِ الَّتي تَحْمِلُ معالمَ الصَّبرِ.

– تفضَّلْ واجْلسْ. ما هو سبَبُ زيارتِكَ؟ قالَ المحافظُ.

– ليسَ هناكَ سبَبٌ مُعيَّنٌ. قالَ الإسكافيُّ. كلُّ ما في الأمرِ أنَّ لديَّ ستَّةَ أبناءٍ.

– ومنْ ثُمَّ؟

– سَمعتُ أنَّ السَّيدةَ باترشون قصدَتْ بَيتَنا، وتحدَّثتْ إلى أولادِي.

– أجلْ؟

– ثُمَّ إنَّها تكرَّمَتْ، وسألَتْ عنْ أسمائِهِم.

– لقدْ عِلمتُ بالأَمرِ.

– النَّاسُ ليسوا بِهذا اللُّطفِ عادةً. قالَ الإسكافيُّ.

نظرَ إلى المحافظِ وانْتظَرَ. ثُمَّ نظرَ منَ النَّافذةِ إلى الخارجِ ثانيةً.

– إنَّني أتَنَقَّلُ كثيراً. قالَ الإسكافيُّ. المدخولُ ضعيفٌ في بعضِ المناطقِ، ثُمَّ إنَّ الأولادَ يقعونَ في المشاكلِ. يُريدُ الكثيرون النَّيلَ منَ الأطفالِ الفقراءِ، وليس هناكَ أسهلُ منَ النَّيلِ منْ أبناءِ الإسكافيِّ، لأنَّهُم لا حولَ لهم ولا قوَّة. لكنِّي لا أقصدُ الشَّكوَى.

– هكذا إذاً. قالَ المحافظُ.

– لا، فلا جدوى منَ الشَّكوى. بل على العكس، إنَّها تزيدُ الأمورَ سوءاً، ثمَّ إنَّني أُشْفقُ عليهم.

– حسناً.

– أولادي ليسوا أَسوأَ منْ أولادِ الآخرين، وهامبوس كذلكَ.

– هكذا إذاً.

– لا أتوقُ إلى المشاكلِ. أريدُ أنْ يتمكَّنَ أولادي منَ اللَّعبِ مثلَ أولادِ الآخرينَ، أريدُ أنْ أجدَ منزلاً صالحاً للسَّكنِ. في أحدِ المنازلِ الَّتي سكنَّاها كانتِ الفئرانُ تخرجُ منَ المغسلةِ أثناءَ اللَّيلِ، وتأكلُ السُّجقَ، على الرَّغم منْ أنَّنا كنَّا نُعلِّقُهُ في السَّقفِ.

– كيفَ لي أنْ أُصدِّقَ ذلكَ؟

– رُبَّما كانتْ تلكَ الفئرانُ تُجيدُ الطَّيرانَ. قالَ الإسكافيُّ. أو رُبَّما أطفالِي همْ منْ أكلوا السُّجقَ. لقد أكلوا فطائرَ البيضِ باللَّحمِ أيضاً،

أعنِي الفئرانَ. لأنَّني رأيتُها بِأُمِّ عينِي.

– ألمْ تتمكَّنْ منْ وضعِ مصفاةٍ فوقَ فتحةِ المغسلةِ؟

– لمْ يكن ذلك كافياً على أيِّ حالٍ، فالمطرُ يَسِيلُ إلى الدَّاخلِ عبر السَّقفِ!

– ألمْ يكنْ إصلاحُ السَّقفِ مُمكناً؟

– لا، وأحدُهُم سرقَ أغطيةَ الفرنِ، فلمْ نتمكَّنْ من طهيِ الطَّعامِ أيضاً.

– هكذا إذاً. قالَ المحافظُ.

– بعدَ ذلكَ انْتَقلنا إلى منزلٍ نَمتْ في حديقتِهِ نباتاتُ الرَّاوند. قالَ الإسكافيُّ. كانَ ذلكَ المنزلُ أفضلَ بعضَ الشَّيءِ. لكنِّي أنْتَقِلُ كثيراً.

– ما هو الأمرُ الَّذي كنَّا ننوِي الحديثَ عنهُ؟ سألَ المحافظُ.

– أجلْ، سَنتحدَّثُ عن التَّالي. حينَ ينتقلُ المرءُ كثيراً مثلِي، يتعرَّفُ إلى الكثيرِ منَ النَّاسِ. ويعرفُ ما معنى أنْ يأتيَ أحدهم ويسألُ عنْ أسماءِ الأولادِ بِلطفٍ.

– هناك أُناسٌ لطفاءُ. قالَ المحافظُ.

– نعمْ، لكنَّهُم نادرون جداً.

– لمْ تكنْ السَّيِّدةُ باترشون تنوي سُوءاً حينَ تحدَّثتْ إلى أطفالِكَ...

– أجلْ، لكنَّها أرادتْ أنْ تعْرفَ إنْ كانَ لي ابنُ أخٍ أيضاً؟ قالَ الإسكافيُّ.

قامَ المحافظ منْ على كرسيِّهِ، وسارَ فوقَ أرضِ المكتبِ ذهاباً وإيَاباً.

توقّفَ ونظرَ عبرَ النّافذةِ، ممّا أجبرَ الإسكافيَّ على أنْ يميلَ برأسِهِ كي يتمكّنَ منَ النّظرِ إلى الخارجِ هو أيضاً، فعادَ المحافظ وسارَ فوقَ السّجّادةِ. عندَما وصلَ إلى طرفِ السّجّادةِ فتحَ البابَ ونادى مالين.

– هل تُقدِّمينَ القهوةَ لنا!؟

ثُمَّ عادَ وجلسَ في مكانِهِ.

– أُريدُ أنْ تسمحَ لي بِأنْ أقولَ لكَ شيئاً.... قالَ المحافظُ.

– ليسَ هناكَ ما يُعيبُ ابنَ أخِي. قالَ الإسكافيُّ. اسمُهُ هامبوس، يخرجُ منَ البيتِ أثناءَ اللّيلِ عادةً لكنَّهُ ليسَ لصّاً، إنَّهُ معتوهٌ فقطْ.

– هل هوَ مجنونٌ؟

– لا، بلْ هوُ حكيمٌ. يقولُ أساتِذتُهُ إنَّهُ جيِّدٌ في الحسابِ لكنَّهُ لا يتمكّنُ منَ البقاءِ في مكانٍ ما ليحصلَ على شهادةٍ، وامْتنعَ مرَّةً عنْ سرقةِ نقودِ بيعِ الحليبِ منْ على المنصَّةِ الّتي يتركُ عليها أندرشون الحليبَ لزبائنِهِ، على الرَّغمِ منْ أنَّ النُّقودَ كانتْ هناكَ. ظننتُ أنَّهُ سَيُحِبُّ السُّكنَى هنا، فقد كانَ مُتَحمِّساً للبقاءِ في هذهِ المنطقةِ. أرادَ أنْ يساعدَنِي في إصلاحِ أرضِ الطَّابقِ العُلويِّ، كَي لا ينامَ الجميعُ في المطبخِ، وقامَ بِضَجَّةٍ وصَخَبٍ منْ أجلِ ذلكَ. لهذا سوفَ أَحْزَنُ إنْ اضْطُرِرْنا للانتقال في الحال كما نُضْطرُّ لأنْ نفعلَ عادةً.

– ولماذا تَنتقِلونَ؟ سألَ المحافظُ.

– فيما لو اقْترفَ ابنُ أخي ذنباً ما. إذا كانَ لدَى السَّيِّدةِ باترشون مُلاحظةٌ ما، سَأكونُ مُمتنّاً جداً لو أتتْ وأخْبَرتنِي بِها وجهاً لوَجهٍ!

ثُمَّ دخلتِ العمَّةُ مالين بِصِينيَّةِ القهوةِ، وقدْ وضَعتْ أربعَ قطعٍ منَ الكعكِ الجافِّ، وقطعةً منَ الكعكِ الإسْفنجيِّ فوقَ طبقٍ بينَ الفنَجانينِ. حَدَّقَ المحافظُ فِيها إلى أنْ خرجت منَ الغرفةِ ثُمَّ أقْفَلَ البابَ.

– تَفَضَّلْ، الكعكُ لكَ. مالين تعلمُ أنَّنِي لا أتناولُ الكعكَ الإسْفِنجيَّ. يبدو أنَّ هناكَ نقصاً في الكعكِ في البيتِ. لكنَّ مُدبِّرةَ مَنزلي تنوي أنْ تَستَقيلَ، ولذلكَ ترَى أنَّ الوضعَ يجبُ أنْ يُبقَى على حالِهِ حتَّى إشعارٍ آخرَ.

ضَحِكَ عندَها الإسكافيُّ.

– هل تسمحُ لي بِأنْ أطرحَ عليكَ سؤالاً. قالَ المحافظُ ثانيَة. هلْ وضَعَ ابنُ أخيكَ بيضةً في فرَاشِ سريرِي؟ لقدْ ظهرَ زاحفاً منْ تحتِ سريرِي في الحاديَة عشرة والنِّصفِ ليلاً، ولمْ أتمكَّنْ منَ النَّومِ بعدَ ذلكَ.

– عنْ أيَّةِ ليلةٍ تتحدَّثُ؟

– عنِ اللَّيلةِ الماضيةِ.

– هكذا إذاً، كنتُ أتساءلُ فقطْ. قالَ الإسكافيُّ. اليوم بِالذاتِ لمْ ألتقِ بِهِ، لذلكَ لا أدْري ماذا فعلَ. لكنْ إنْ كانتِ البيضةُ مُلكَ المحافظِ، أتمنَّى أنْ تسمحَ لي بِشراءِ بيضةٍ بديلةٍ عنْها.

عندَها ضَحِكَ المحافظُ.

– أرْسِلْهُ إليَّ عندَما يعودُ، ولا تنتقلْ قبلَ أنْ نناقشَ الأمرَ ثانيةً! إنْ لمْ يكنْ أسوأَ منْ أنْ نستطيعَ تقْويمَ سلوكِهِ، لنْ تقعَ أيَّةُ مشاكلَ منْ ناحيَتِي. قالَ المحافظُ.

– أشكرُكَ. قالَ الإسكافيُّ.

– تفضَّلْ واجْلسْ حتَّى تُكْمِلَ شُربَ القهوةِ، فلستُ على عجلةٍ منْ أَمرِي. أُدْرِكُ المصَاعبَ الَّتي تواجِهُها في إعالةِ سبعةِ أطفالٍ. ولا داعيَ لأسألَكَ إنْ كانتْ زوجتُكَ تستطيعُ أنْ تعملَ مُدبِّرةً لمنزِلي هنا، حتَّى أَعثرَ على مُدبّرةِ منزلٍ جديدةٍ؟

– بلى، تستطيعُ زوجتِي فعلَ ذلكَ. قالَ الإسكافيُّ. لمْ يتسنَّ لها رؤيةُ بيتٍ جميلٍ منَ الدَّاخلِ منذُ زواجِنا، لذلكَ سوفَ يُسْعِدُها العملُ هنا. سأذهبُ وأسألُها في الحالِ.

– لنْ يبدأ العملُ قبلَ اليومِ الأوَّلِ منَ الشَّهرِ القادمِ، في تلكَ الحالِ، لذلكَ سَتجدُ مُتَّسعاً منَ الوقتِ لإكمالِ شُربِ القهوةِ! ثُمَّ علينا أنْ نتَّفقَ على أُجرتِها. سوفَ أتحدَّثُ إلى السَّيدِ أولسون في المنشَرةِ كي لا يأخذَ أكثرَ منَ اللَّازمِ ثمناً لألواحِ الخشبِ، إنْ كنْتُم تنوونَ إصلاحَ أرضِيَّةِ الطَّابقِ العُلويِّ بذلكَ المبلغِ.

– أجلْ، أشكرُكَ منْ كلِّ قلبِي.

– لكنِّي أريدُ في بادئِ الأمرِ أنْ أتحدَّث إلى الولدِ.

– لكَ ما تريدُ. قالَ الإسكافيُّ وشَربَ ما تَبَقَّى منَ القهوةِ دُفعَةً واحدةً.

ثُمَّ لوَى القُبَّعةَ بينَ يديهِ ونظرَ منَ النَّافذةِ. وقفتْ شجرةِ الزَّيزفونِ كالشَّبحِ وسْطَ الحديقةِ بأوراقِها الَّتي اهتزَّتْ تحتَ المطرِ. اِنْحَنَى الإسكافيُّ احتراماً للمحافظِ ثُمَّ غادرَ إلى بيتِهِ.

– ما زالَ في الدُّنيا أُناسٌ طيِّبونَ . قالَ لنفسِهِ عندَما خرجَ منَ البوَّابةِ .

– بابا، لقدْ وقعَ هامبوس في البِئْرِ! أستطيعُ أنْ أرَى بجامتَهُ ذاتَ الخطوطِ الحَمْراءِ، صرختْ سيري حينَ رأتْهُ .

النِّهايةُ

يا إلهي! لقد حلَّتْ علينا المُصيبةُ!!

صرختْ زوجةُ الإسكافيِّ، ومَسَحتِ الماءَ عنْ يديْها بالمَريلةِ. وقفتْ على السُّلَّمِ وحدَّقتْ في الجزءِ الظَّاهرِ منَ البِئْرِ عنْ بعدٍ.

كانتْ سيري مَثنيَّةً على مَعدَتِها فوقَ حافَّةِ البِئْرِ، تُشيرُ إلى الماءِ القاتمِ في الأسفلِ، وقفزَ بقيَّةُ الأولادِ منْ حولِها كَمَنْ أصابَهُم مَسٌّ. كانَ الضَّجيجُ يَعُمُّ بيتَ الإسكافيِّ كلَّما وقعَ حادثٌ جديدٌ.

– تعالَ وانْظرْ، تعالَ وشاهدْ بِنفسكِ، إنَّهُ هناكَ، مُنْكمِشاً على ذاتِهِ وكأنَّهُ كتلةٌ منْ خُيوطِ الصُّوفِ، صرختْ سيري وتأوَّهَتْ.

– أرى إحْدَى ساقيهِ عائمةً لكنِّي لا أرَى القدمَ، صرخَ لولي وعضَّ على مَفاصِلِ الأصابعِ في ظهرِ يديهِ.

– لا أرَى وجهَهُ، يبدو أنَّ الوَجْهَ يُشيرُ نحوَ الأسفلِ، صرختْ نانا وغطَّتْ عينيْها بيديْها.

– أنا رأيتُهُ أوَّلاً لأنِّي أتيتُ إلى هنا لإحضارِ بعضِ الماءِ، صرخَ هنينغ.

– لا تقلْ ذلكَ! صَرَخَتْ إيفور.

– لا أريدُ سماعَ ما تقولونَ. صرخَ توري.

راحَ الإسكافيُّ يَعْدو تُجاهَ البِئْرِ بِأقصَى سُرْعَتِهِ، لكَّنهُ تحَّولَ في اللَّحظاتِ الأخيرةِ، وَعاد نحو مخزنِ الحطبِ، وأحْضَرَ مُشْطَ أرضٍ. كَسَرَ بعضَ أسنانِ المُشْطِ كي يَتمكَّنَ منْ تَحْريكِهِ داخلَ البِئْرِ ثُمَّ أسْرَعَ إلى هناكَ.

– ابْتعدوا كي أتحققَ منَ الأمرِ، صرخَ الإسكافيُّ.

كَانَّ الذُّعرَ دَبَّ في ماءِ البِئْرِ فَهاجَ ممَّا جعلَ الإسكافيَّ عاجزاً عنْ رؤيةِ ما فَعَلَ هناكَ. أدارَ المُشْطَ داخلَ البِئْرِ حتَّى اصْطَدَمَ بِجُدْرانِهِ دونَ أنْ يدْرِي ما يفعلُهُ، وظنَّ أنَّهُ شاهدَ بيجامةَ هامبوس، لقدْ أَحَسَّ بِذلكَ الثِّقلِ، بِذلكَ المستحيلِ. حدثَ ذلكَ كلُّهُ بينَما كانَ يُسْنِدُ جَسَدَهُ على مِرفقِ ذراعِهِ فوقَ حافَّةِ البِئْرِ قائلاً لذاتِهِ:

– من الواضحِ أنَّ الأوانَ قد فاتَ! من الواضحِ أنَّهُ سوفَ يقومُ بِتصرُّفٍ مجنونٍ! في اللَّحْظةِ الَّتي ظَنَنْتُ فيها أنَّ كلَّ شيءٍ سَيكونُ على ما يرامُ! في اللَّحْظةِ الَّتي ظَنَنْتُ فيها أنَّهُ سَيصيرُ لنا جميعاً بيتٌ حقيقيٌّ! في اللَّحظةِ الَّتي كانَ سَيحْصُلُ فيها على ما يريدُ! إنْ اسْتطعتُ إخْراجَهُ منَ البِئْرِ حيّاً، سَافرِشُ الأرضَ بِسجَّادةٍ منَ الفلّينِ منْ أجلِهِ، وأضعُ ورقاً للجُدْرانِ تُزَيِّنُهُ ورودٌ ذهبيَّةٌ!

– هل هناكَ منْ يعرفُ ما هذهِ الضَّجَّةُ الَّتي تَعُمُّ بيتَ الإسكافيِّ؟ قالتِ العمَّةُ مالين في مطبخِ بيتِ المحافظِ.

كانتْ تقفُ هناكَ، وقدْ كتَّفَتْ ذراعيها لكَيلا تقومَ بِأيِّ عملٍ،

لأنَّها صمَّمتْ على الاستقالةِ في نهايةِ الشَّهرِ.

– لِحُسْنِ الحظِّ أنَّني سَأتركُ هذهِ المنطقةَ، ولنْ أضْطَرَّ لِسماعِ صُراخِهم بعدَ ذلكَ.

وقفتْ والدةُ فيا عندَ البابِ وفي يدِها رسالةٌ. بدا وكأنَّها لمْ تسمعْ ما قالتْهُ العمَّةُ مالين، وهذا ما حدثَ فعلاً. كانتْ قدْ وَجَدَتْ رسالةَ فيا على الأرضِ تحتَ السَّريرِ، وقرأتْها للمرَّةِ الأولى.

«عزيزتي السَّيدةُ باترشون!

لا تَحْزَني لِضياعِ ابنتِكِ.

لا تبْحَثِي عنْها! لأنَّها لنْ تعودَ في كلِّ الأحوالِ.

ولكِ منِّي ألفُ تحيَّةٍ.

ف»

ماذا يعْنِي ذلكَ؟

– هذهِ رسالةٌ غريبةٌ... لا بُدَّ منْ أنَّ فيا هيَ الَّتي كَتَبتْها! أظنُّ أنَّها هربتْ منَ البيتِ! قالتْ والدةُ فيا. هلْ رأيتِ فيا يا مالين؟

– لا، لمْ أرَها. قالتِ العمَّةُ مالين. تلكَ الطِّفلةُ الَّتي لا تُطاقُ. ما الَّذي يرْبُطُنِي بِها!؟

– لا بُدَّ منْ أنَّ أمراً ما أحزنَها! لا بُدَّ منْ أنَّ شيئاً ما قدْ حدثَ. قالتْ والدةُ فيا.

أسْرَعتْ إلى الحديقةِ تَحْمِلُ الرِّسالةَ في يدِها، وقَلبُها في حَلقِها. لمْ تَجدْ فيا في الغُرفةِ ولا في الحديقةِ. لمْ تجدْها واقفةً عندَ البوَّابةِ ولا في تَعْريشةِ اللَّيلَكِ. أرادتْ أنْ تسألَ أولادَ الإسكافيِّ إنْ كانوا قد رأوها في مكانٍ ما.

رأتْها فيديلي تسيرُ هناكَ، منْ خلالِ أوراقِ شجرةِ الزَّيزفونِ. كانتْ قدْ عادتْ منْ رحلةِ قِطافِ الفِطْرِ. وضعتْ سلَّةَ الفِطْرِ على الأرضِ بِجوارِ سلَّةِ الغسيلِ الَّتي جلسَ فيها ملكُ المخاطرِ مُنكَمِشاً على ذاتِهِ وهي تجلسُ إلى جانبِهِ. كانتْ قادرةً على الإمساكِ بِالفِطْرِ إنْ مدَّتْ يدَها إلى السَّلَّةِ، لكنَّها لمْ تكنْ قدْ أخبرتْهُ عنْها. ملكُ المخاطرِ ينظرُ إلى البوَّابةِ.

– لماذا لمْ نهربْ مع جماعةِ السِّيركِ؟ قالَ.

– لو فَعَلَنا لعثَروا علينا بِكلِّ سُهولةٍ. قالتْ فيديلي.

– لو كانَ لدينا نقودٌ لَمَا وَجَدُونا. لو كانَ لدينَا المالُ لتَمَكَّنَّا من الرَّحيلِ بعيداً، ووَجَدْنا عملاً.

– لا أظنُّ أنَّني أستطيعُ الحصولَ على عملٍ ما لأنَّ علاماتِي في المدرسةِ سيئةٌ جداً. قالتْ فيديلي.

– لو كانَ الكَنْزُ حقيقيّاً لتَمكنَّا منْ شِراءِ الطَّعامِ مقابلَ جزءٍ منْهُ!

الكَنْزُ حقيقيٌّ، لأنَّني جَمَعْتُ أجملَ ما وَجَدتُ!

– لماذا لمْ تَجْمَعِي المالَ؟

– لو فعلتُ لبحثوا عنَّا في الحالِ!

– سوفَ يعْثُرون علينا في كلِّ الأحوال. لا يُمكِنُنا الجلوسُ هنا إلى أنْ نَكْبُرَ! قالَ ملكُ المخاطِر.

– لا، لا نستطيعُ ذلكَ. قالتْ فيديلي.

أمْسَكتْ بالسَّلَّةِ الصَّغيرةِ، وأرْجَحَتْها بيدِها. لكنَّها عادتْ ووضَعتْها على الأرضِ.

– لماذا لا نَذْهَبُ إلى المحافظِ، ونُخْبِرُهُ بكلِّ شيءٍ؟ قالتْ.

– وما الفائدةُ منْ ذلكَ؟ قالَ ملكُ المخاطِر. أعْلمُ نتيجةَ ذلكَ مُسْبَقاً. سوفَ يؤنِّبونَنَا ثُمَّ يضْرِبونَنا وسيُضايقُنَا الأطفالُ الآخرون، ثمَّ سَأنتقلُ منْ هنا على كلِّ حالٍ.

– هل أنتَ متأكِّدٌ منْ ذلكَ؟ تَمْتَمَتْ فيديلي.

– متأكِّدٌ؟ نعم. لستُ متأكِّداً منْ أيِّ شيءٍ آخرَ سِوى ذلكَ. يُجْبِرونَنِي دائماً على الانتقال. قالَ ملكُ المخاطِر.

– لكنْ ماذا لو قلتَ إنَّنا مضْطَرَّانِ للالتقاء بينَ أغصانِ شجرةِ الزَّيزفونِ؟ قالتْ فيديلي.

– وما الَّذي يجْعلُهُم يكْتَرِثونَ لذلكَ الأمرِ؟ نحنُ بالنِّسبةِ لهُم مُجرَّدُ أحْجارٍ في لُعْبَةٍ. هلْ تنتظرينَ أنْ يقولوا: عفواً يا حضرةَ الحجرِ الأخضرِ، هلْ تُريدين أنْ أنْقُلَكَ خُطْوتينِ أم ثلاثَ خطواتٍ؟ لا، لنْ يفعلوا. همْ يرْمونَ النَّردَ وينتهي الأمرُ. لا أحدَ يتَوَجَّهُ إليَّ بالحديثِ!

– ثُمَّ ابْقَى هنا وأَصيرُ وحيدةً ثانيةً، وأَقِفُ عندَ البوَّابةِ. سوفَ تموتُ ساحرةُ المريلةِ منَ الضَّحكِ!

نظرَ كلٌّ منْهما إلى الآخرِ.

– أشْعُرُ باليأسِ يَتَمَلَّكُني. قالَ ملكُ المخاطرِ. كلُّ شيءٍ مستحيلٌ. لا فَرْقَ بينَ حياةٍ كهذهِ والموتِ.

رفعتْ فيديلي السَّلَّةَ، ووضَعَتْها فوقَ ركبتِها.

– هذا الفِطْرُ سامٌّ. قالتْ. إذا تَناولَهُ المرْءَ يموتُ.

– لماذا قَطَفْتِهِ؟

– لستُ أدْري. قالتْ فيديلي.

أَمْسَكَ ملكُ المخاطرِ بعضَ الفِطْرِ وراحَ ينظرُ إليهِ. كانتْ حبَّاتُه طازجةً ولزِجةً. التِهامُها ليسَ صعباً على الإطلاقِ. أعادَها بعدَ ذلكَ إلى السَّلَّةِ ما عدا اثْنتينِ منْها، ونظرَ إلى فيديلي.

– واحدٌ لكِ وواحدٌ لي! هل نأكلُهُما؟

– إنْ فعلْنا، علينا أنْ نأكلَهُما في اللَّحظةِ ذاتِها!

– أجلْ، طبعاً.

نظرتْ فيديلي إلى الفِطْرِ في يدِها. كانَ مُحدودِبا جميلاً، لمْ يلحقْ بِهِ أيُّ أذًى. الفِطْرُ الَّذي في يدِ ملكِ المخاطرِ أجملُها لوناً.

– لمْ يَحنِ الوقتُ بعدُ. قالتْ فيديلي.

سمعَ عندَها صوْتَ العمَّةِ مالين وهيَ تُنادِي منْ نافذةِ المطبخِ.

– هلْ سَتجدونَ الطِّفلينِ في وقتٍ قريبٍ أم ستضْطَرّونَنِي للبحثِ عنْهما بدلاً منْكُم؟ لا يريدُ المحافظُ انتظارَهُما طوالَ اليومِ! لا بُدَّ منْ أنْ نَضَعَ حدّاً لِهذهِ المهزلةِ!

– علينا أنْ نأكلَ الفطرَ الآنَ. قالتْ فيديلي.

صارتْ شجرةُ الزَّيزفونِ فجأةً مُفعمةً بِنوعٍ خطيرٍ وسرّي منَ الجِدِّيَّةِ. تحوَّلَ نورُ الغروبِ المخضرِّ إلى ما يُشْبِهُ الظَّلامَ تحتَ جُفونٍ مُغْمَضةٍ، وأثارتِ الرِّيحُ الفزعَ في الأوراقِ الخارجيَّةِ للشَّجرةِ، ممَّا جعلَها ترْتَعشُ. ظلَّ كلٌّ منْ فيديلي وملكُ المخاطرِ جالسين كما فعلَا من قبلُ، لكنَّهما لمْ يعودا يكترثان لما يحدثُ خارجَ حدودِ الشَّجرةِ. ظلَّا يُمْسكانِ بِأطرافِ السَّلَّةِ وينتَظِرانِ. وضعَ ملكُ المخاطرِ قدَميهِ فوقَ قدمي فيديلي، لكيلا تشعرَ الأقدامُ بِالوحْدةِ.

– أنتَ أَحبُّ إلى قلبِي منْ كلِّ ما في السِّيركِ. قالتْ فيديلي.

اكْتفَى ملكُ المخاطرِ بِإيماءَةٍ منْ رأسِهِ. أمَّا هوَ، فقدْ أحَبَّ فيديلي وشجرةَ الزَّيزفونِ والعالمَ بأسرِهِ، أكثر منْ أوديسهوغ إلى نودينغرو.

عادتِ الآنَ والدةُ فيا منَ البوَّابةِ بِصُحْبَةِ هنينغ ابنِ الإسكافيِّ، ومرَّا بِشجرةِ الزَّيزفونِ يعدوانِ تقريباً.

– حضرةَ المحافظِ! حضرةَ المحافظِ! نادى كلٌّ منْهُما.

– وماذا الآنَ؟ زمْجرَتِ العمَّةُ مالين.

– أنا هنا. قالَ المحافظُ منْ على الشُّرفةِ.

– يبدو أنَّ حَدَثاً مُروِّعاً أصابَ الولدَ الَّذي كانَ هنا اللَّيلةَ الماضيةَ! ولا أثرَ لفيا في أيِّ مكانٍ! ماذا عسانا نفعلُ؟

– اهدَئي قليلاً، سآتِي في الحالِ. قالَ المحافظُ ونزلَ إلى الشُّرفةِ أمامَ المَدْخلِ الرَّئيس.

– علينا ألَّا نُصابَ بِالذُّعرِ، وألَّا نُفكّرَ في الأَسوأ! كلُّ شيءٍ سَيسِيرُ على ما يرامُ بِالتَّأكيدِ! هلْ لي أنْ أتحدَّثَ معَ الإسكافيِّ؟

– أجلْ لكنْ أسرعْ، فالمَسْألةُ مَسْألةُ حياةٍ أو موتٍ! قالَ هنينغ.

– أَشْعُرُ أنَّ الأمْرَ خطيرٌ للغايةِ. قالتْ والدةُ فيا.

مرَّ الجميعُ منْ أمامِ شجرةِ الزَّيزفونِ وَتبِعَتْهمُ العمَّةُ مالين. راحتْ تنظرُ إلى سجَّادةِ العشبِ بحثاً عنْ فروعٍ جديدةٍ لنباتِ الشَّوكِ كأنَّ ما حدثَ لا يعنِيها. كانتْ تتوقّفُ أحياناً لتقتلِعَ نبتةً ضارّةً هنا أو هناكَ. ثُمَّ داستْ على شيءٍ صُلبٍ.

– منْ يَرْكُلُ الحَصَى خارجَ حدودِ الممرَّاتِ يا تُرى؟ هذه حصى فوقَ سجَّادةِ العشبِ. هنا ليسَ مكانَهُا المناسبَ. قالتْ حينْ أمْسكتْ بِحجرٍ أبيضَ لامعٍ.

سمِعتْ صوْتَ حفيفِ أوراقِ الشَّجرةِ، وانْقَضّ كلٌّ منْ فيديلي وملكُ المخاطرِ عليها. كانتْ فيديلي تُمْسِكُ بِسلَّةٍ صغيرةٍ بيدِها فَرَمتْها كي تَتَمَكَّنَ منَ الانقِضاضِ على ذراعِ العمَّةِ مالين وأسرعَ ملكُ المخاطرِ وراحَ يَلْوي أصابعَها.

– إيَّاكِ أنْ تَلمَسِي الحجرَ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– أعْطِنا الحجرَ، فنحنُ أصحابُهُ، صرختْ فيديلي.

لمْ تتأخرِ العمَّةُ مالين عنِ الإمْساكِ بِهِما، وتَثْبيتِهِما في مكانِهِما. ظلَّتْ مُتشَبِّثةً بِذراعِ فيديلي وعنقِ ملكِ المخاطرِ.

– ها أنتُما إذاً! حسناً، لقدْ أمْسَكتُ بِكُما! لنْ تُفْلِتا منِّي! يا

حضرةَ المحافظِ، لقدْ أمْسكتُ بِهِما! ها هُما في قبضتِي!

– لنْ تتمكَّنوا منَ المَساسَ بنا بعدَ الآنَ. لقد تَناوَلنا الفِطْرَ السَّامَّ.

قالَ كلٌّ منْ فيديلي وملكُ المخاطرِ.

التَّفسيرُ

لِحُسنِ الحظِّ، لا أحدَ يموتُ بِسبَبِ تناولِ فطرِ البقرِ! قالَ المحافظُ، لكنِّي سَأموتُ تحتَ وطأةِ الفضولِ إنْ لمْ يخبرْني أحدٌ منكما بِكاملِ تفاصيلِ القِّصةِ!

فجأةً انتهَى كلُّ شيءٍ. كأنَّ الأحداثَ الفظيعةَ لمْ تحصلْ.

– لا أفقهُ شيئاً منَ الأمرِ. قالَ المحافظُ عندَما غادرَ طبيبُ المنطقةِ، وقامتْ فيديلي وملكُ المخاطرِ بِشرحِ الأمورِ كلِّها. لماذا قلتِ أنَّكِ وضعتِ البيضةَ في سريرِي يا بنت؟

– ليقومَ هوَ بأخذِها منْ هناكَ خلالَ اللَّيلِ، أجابتْ فيديلي.

– ولماذا أتيتَ لأخذِها أثناءَ اللَّيلِ يا ولد؟

– لأنَّها وضعتْها هناكَ أثناءَ النَّهارِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– لا أفقهُ منَ الأمرِ شيئاً. قالَ المحافظُ ثانيةً.

– إنَّها أمورٌ يَصْعُبُ شرْحُها. قالَ ملكُ المخاطرِ.

نظرَ المحافظُ عبرَ نافذةِ مكتبِهِ وسارَ فوقَ السَّجَّادةِ ذهاباً وإيَاباً. كانَ قدْ طردَ الآخرينَ جميعاً خارجَ المكتبِ، ظنّاً منْهُ بِأنَّهُ سَيتمكَّنُ

منْ معالجةِ الأمرِ بنفسِه بطريقةٍ أفضلَ، لكنْ لا بُدَّ لهُ منْ أنْ يعترفَ بحيرته. لقد أجابَ الطِّفلانِ عنْ جميعِ الأسئلةِ، دونَ أنْ يؤدِّي ذلكَ إلى وضوحِ الأمرِ بالنِّسبةِ إليه.

نظرَ كلٌّ منْ ملكِ المخاطرِ وفيديلي إلى الآخرِ. لقد سَبَقَ ونظرَ كلٌّ منْهُما إلى شجرةِ الزَّيزفونِ في الخارجِ عبرَ النَّافذةِ أيضاً. شجرةُ الزَّيزفونِ الَّتي لازالتْ تَحْتَفِظُ بالسَّريرِ المصنوعِ منْ سلَّةِ غسيلٍ عندَ جذعِها، والكَنزِ السِّحريِّ في قمَّتِها.

– هل ترَى أنَّ علينا أنْ نُعيدَ الكنزَ إلى أصحابِه؟ هَمَستْ فيديلي في أُذنِ ملكِ المخاطرِ.

– ليسَ قبلَ أنْ يسألَ أحدٌ عنْ مُحْتوياتِهِ. أجابَ ملكُ المخاطرِ.

حدَّقَ المحافظُ فيهما مُجدَّداً.

– حسناً، أخْبريني لماذا لمْ تتحدَّثِي طوالَ يومٍ كاملٍ. قالَ لفيديلي.

– لقدْ سبقَ وقلتُ لكَ ذلكَ. قالتْ فيديلي. لمْ أكُنْ قادرةً على الإجابةِ لأنَّني قدْ قَرَّرتُ ألَّا أُجيبَ. اتَّخذتُ القرارَ في الصَّباحِ ولمْ أقْدِرْ على النُّطقِ بقيَّةَ اليومِ. حاولتُ طوالَ النَّهارِ، وكنتُ أفْتحُ فَمِي أحياناً لكنِّي لمْ أجدْ الكلمات.

– لماذا لمْ تجدِيها؟

– لأنَّني لمْ أُردْ ذلكَ. قالتْ فيديلي.

لكنِّي حَسِبْتُ أنَّكِ كنتِ تُريدِين ذلكَ عندَما أنَّبَتْكِ العمَّةُ مالين على عدمِ الشُّكرِ على الطَّعامِ!

– وهذا ما كانتْ تُريدُهُ العمَّةُ مالين أيضاً. وهذا ما جَعَلنِي أزْدادُ إصْراراً على عدمِ الكلامِ.

– هكذا إذاً. قالَ المحافظُ. ماذا تفْعلينَ عندَما تُقَرِّرينَ البَدْءَ بالحَدِيثِ ثانيةً؟

– عندَها أتَحَدَّثُ وحَسْبُ!

– وأنا أدْعو ذلكَ تمرُّداً. قالَ المحافظُ.

– لكنَّهُ ليسَ كذلكَ. إنَّهُ أمرٌ مُخْتلفٌ يَصْعُبُ الحديثُ عنْهُ. قالتْ فيديلي. إنَّهُ أمرٌ أغْربُ منْ ذلكَ بِكثيرٍ.

– أريدُ الآنَ أنْ تُخْبِرني عنِ السَّببِ الَّذي جَعَلَكَ تَضَعُ التُّفَّاحَ المُلطَّخَ فوقَ بوَّابةِ المَقبرةِ. قالَ المحافظُ لِملكِ المخاطرِ. هل فعلتَ ذلكَ ليُضطرّ حارسُ الكنيسةِ إلى لَمْسِها فَتَتَّسِخَ أصابعُهُ؟

– لا. قالَ ملكُ المخاطرِ. ما الفائدةُ منْ ذلكَ؟

– لستُ أدْري ما الفائدةُ منْ ذلكَ. قالَ المحافظُ. هل وضَعْتَها هناكَ لِتَجْعلَ العمَّةَ مالين تُؤمِنُ بِوجودِ الأشباحِ؟

– هيَ تُؤمِنُ بِوجودِ الأشباحِ منْ قبلُ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– هل السَّببُ هو نيَّتُك في أنْ تُثبِتَ أنَّكَ قادرٌ على سرقةِ التُّفَّاحِ؟ سألَ المحافظُ.

– هذا أمرٌ يستطيعُ جميعُ النَّاسِ القيامَ بِهِ. قالَ ملكُ المخاطرِ بِنَبرةٍ مُفْعَمَةٍ بِالازدراءِ.

– لا تَسْتَدْرِجْنِي إلى الغَضَبِ. قالَ المحافظُ. قُلْ لي لماذا وضَعْتَ

التُّفَّاحَ هناكَ؟

– لأنَّني رأيتُ أنَّه المكانَ مناسبٌ لذلك. ثُمَّ إنَّ عددَ التُّفَّاحِ كانَ كافياً. وهكذا صارَ لِكلٍّ منَ القُضْبانِ الحديديَّةِ رأسٌ على شكلِ تفاحةٍ.

– هكذا إذاً! فعلاً؟ قالَ المحافظُ.

نظرَ كلٌّ منَ الطِّفلينِ إلى الآخرِ نظْرةً مَلؤُها التَّعاطُفُ. شَعَرَا بِالشَّفقةِ على المحافظِ الَّذي تحوَّلَ إلى إنسانٍ لا حَوْلَ له ولا قُوَّةَ لِمُجرَّدِ أنَّهُ شخصٌ كبيرٌ.

– هل تُريدُني أنْ أُخْبِرَكَ لماذا عَدوْتُ متسلِّقاً الجِدارَ مرَّةً أُخرَى؟ سألَ ملكُ المخاطرِ عارضاً خَدَماتِهِ على المحافظِ.

– لا، لأنَّ ذلكَ هوَ الأمرُ الوحيدُ الَّذي أفهمُهُ. قالَ المحافظُ. كنتَ تخْشَى أنْ تَتَعرَّفَ السَّيدةُ أولسون إلى شكلِكَ لأنَّها سبقَ ورأتْكَ تقودُ الدَّرَّاجةَ أثناءَ اللَّيلِ، وذلكَ سَيجعلُها تُدْركُ أنَّكَ أنتَ منْ رسمَ على لوحةِ السَّاعةِ.

– أجلْ، بِالضَّبْطِ. قالَ ملكُ المخاطرِ.

– لكنِّي لا أفهمُ حكايةَ السَّاعةِ. كيفَ خَطَرَتْ لكَ تلكَ الفكْرَةُ أصلاً؟

– لقدْ نَمَتِ الحكايةُ داخِلي حَالَ رؤْيَتِي لَها. قالَ ملكُ المخاطرِ ومالَ بِرأسِهِ مُشيراً إلى فيديلي. كأنَّ أحداً ما هَمَسَ بِالأمرِ في أُذُنِي حينَ رأيتُ حلقةً منْ نورِ الشَّمسِ تحتَ ذَقْنِها.

– رُبَّما بدأتُ أُدْركُ الحقيقةَ الآنَ. قالَ المحافظُ.

– لا أظنُّ ذلكَ إطلاقاً. قالَ ملكُ المخاطرِ. لأنَّ هذا بالذاتِ، أغْرَبُ ما في الحكايةِ.

– لا تُخْبِرُهُ عنْ حكايةِ الفيلِ، لأنَّهُ لا يَعْرِفُ شيئاً عنْها، هَمَسَتْ فيديلي.

أومأَ ملكُ المخاطرِ برأسِه موافقاً.

– لا بلْ إنَّ أَغْرَبَ ما في الأمْرِ هوَ حكايةُ العَنْدليبِ. قالتْ.

– أيُّ عَنْدليبٍ؟ سألَ المحافظُ.

– العَنْدليبُ الَّذي عَزَفْتُ موسيقاهُ على البيانُو. قالتْ فيديلي. تَجسَّدَ أمامِي حيّاً فجأةً، وغنَّى أُغْنيةً على قَدرٍ منَ الجمالِ لمْ يُغَنِّ عندليبٌ بِمثلِها منْ قبلُ! ولمْ يكنْ خائفاً منَ النَّاسِ في المقهَى إطلاقاً. كانَ مُنْهَمِكاً كليّاً بِزقزقتِهِ.

– الأمرُ ذاتُهُ حصلَ معَ درَّاجتِي. قالَ ملكُ المخاطرِ. كانتِ الدَّرَّاجةُ كائناً حياً حينَ عُدْتُ بِها منَ المَقبرةِ إلى البيتِ. كدْتُ أَعْجَزُ عنِ السَّيطرةِ عليها تقريباً.

– هاها! أجلْ، أجلْ. قالَ المحافظُ. هل هذا كلُّ ما يجبُ أنْ أَعرفَهُ؟ أمْ أنَّ هناكَ أموراً أُخرَى؟ أُريدُ أنْ أَحُلَّ هذهِ المسألةِ برمّتِها.

– حسناً، رُبَّما منَ الأفضلِ أنْ نتكلمَ عنِ الأمرِ الرَّئيس. قالَ ملكُ المخاطرِ ونظرَ إلى فيديلي الَّتي أَوْمَأَتْ برأسِها موافِقةً. في الحقيقةِ، الأمرُ كلُّهُ يَتعَّلقُ بِحجرٍ أبيضَ في حَوزَتِنا. إنَّهُ ناصعُ البياضَ وناعمُ الملمسَ، ولولا وجودُهُ لما حدثَ أيُّ شيءٍ من كلِّ هذا.

جَحَظَتْ عينا المحافظِ.

– السَّبَبُ هوُ حجرٌ؟

– نعمْ. قال كلٌّ منْ ملكِ المخاطرِ وفيديلي معاً.

– لمْ أَعُدْ أقوَى على سماعِ المزيدِ. قالَ المحافظُ.

– عظيمٌ، لأنَّ شرحَ هذا الأمرِ صعبٌ للغايةِ أيضاً. إلَّا أنَّ الحجرَ عبارةٌ عنْ مسألةِ موتٍ وحياةٍ بِالنِّسبةِ إلَيْنا. يجبُ أنْ يكونَ في حَوَزتِنا. يجبُ أنْ يكونَ معَها أو معِي.

– وأينْ الحجرُ الآنَ؟

لقدْ اخْتفَى!! قالَ الاثنانِ معاً، كأنَّهُما جوقةٌ غنائيَّةٌ.

نظرَ كلٌّ منْهُما إلى شجرةِ الزَّيزفون. ما زالتْ تقِفُ في الحديقةِ، غايةً في الجَمالِ، تُشعُّ نوراً وتَلوِّحُ بِآلافٍ منْ أوراقِها كأنَّها تَرْغَبُ في الرَّقصِ. ضحِكتِ الرِّيحُ هامسةً لأوراقِ الشَّجرةِ، فهناكَ في الدَّاخلِ، في مكانٍ ما على الأرضِ، كانَ الحجرُ الأبيضُ مرْميّاً، وملكُ المخاطرِ هوَ مَنْ رَماهُ. لمْ يبقَ لَهُما سِوَى البَحْث عنْهُ.

لستُ ادْري ما الَّذي جرَى لكُما يا أولادُ!

– أظنُّ أنَّ الرِّيحَ انْعَطفتْ، والسَّاعةَ دَقَّتْ، والدِّيكَ صاحَ في لحظةٍ واحدةٍ، فَصِرْنا على ما نحنُ عليهِ. قالتْ فيديلي.

– هلْ تَسْمحُ لنا بِالانصِرافِ؟ سألَ ملكُ المخاطرِ.

– أجلْ، أجلْ. قالَ المحافظُ. تَسْتَطيعانِ الانْصِرافَ. لكنْ إيَّاكُما والشَّقاوةُ ثانيةً!

اليومُ الأوَّلُ في المدرسةِ

كانتْ هذهِ إذاً حكايةُ فيديلي وملكُ المخاطرِ. الحكايةُ تنتَهي هُنا في الحقيقةِ. لمْ يبقَ سِوى فصلٍ صغيرٍ جداً. ما حدثَ في اليومِ الدِّراسيِّ الأوّلِ. ولا يحتاجُ المرءُ للقِراءةِ عنْهُ. غادرتِ العمَّةُ مالين طبعاً، وبدأتْ زوجةُ الإسكافيِّ الَّتي تُدْعَى مايوتي بإعدادِ الطَّعامِ للمحافظِ بدلاً منْها. أَحَبَّتْ عملَها كثيراً وقالتْ إنّها شعرتْ كأنَّها تزورُ الجَّنةَ حينَ تدخُلُ مطبخَ المحافظِ، ويَتَسنّى لها أنْ تكونَ هناكَ وحْدَها. تناوبتْ إيفور وسيري على غَسْلِ الأطباقِ في بيتِ الإسكافيِّ بدلاً منْ والدتِهما، وتناوبَ هنينيغ وملكُ المخاطرِ على قَطْعِ الحَطَبِ في بيتِ المحافظِ وبيتِ الإسكافيِّ. توقَّفَ الإسكافيُّ عنِ العملِ فَتْرةَ المَساءِ كي يَنتهِيَ منْ تجْهيزِ الطَّابقِ العُلويِّ منْ منزلِهِ للسَّكنِ. كانتْ نتيجةُ عملِهِ جميلةً للغايةِ لكنَّ تَكْلُفَتَها غدتْ أعلَى منْ تقْديراتِهِ.

– طبعاً يَجِبُ أن يَضعَ جَدراناً داخليَّةً عازلةً لِبردِ الشِّتاءِ منذُ البِدايةِ، وإلَّا لنْ يكونَ هناكَ فائدةٌ منْ وضعِ أرضيَّةٍ جديدةٍ. قالَ المحافظُ.

– سيَجعلُني ذلكَ أقْتَرِضُ بعضَ المالِ، وأسْكُنُ هنا مدَى العُمْرِ حتَّى أقومَ بِسدادِ الدَّينِ.

– سَبَقَ وأخبَرْتَني أنَّكَ مَللتَ منَ التَّنقُّلَ، أيُّها الإسكافيُّ. قالَ المحافظُ.

ثُمَّ تبرَّعَ للإسكافيِّ ببعضِ المَفْرُوشاتِ الَّتي كانتْ مُخَزَّنةً بِلا فائدةٍ في الطَّابقِ العُلويِّ منْ منزلِه.

– هناكَ أُناسٌ طيِّبون. قالَ الإسكافيُّ ثانيةً.

– نعمْ، هناكَ أُناسٌ طيِّبون بِعددِ ما هناكَ منَ اللِّئَامِ، أو رُبَّما يزيدُ عددُ بعْضِهِم عنْ عددِ الآخرينِ. لكنَّ هناكَ الكثيرَ منَ النَّاسِ، ممَّا يَجْعلُ معرفةَ غالبيّةِ هذا النَّوعِ أو ذاكَ أمراً غايةً في الصُّعوبَةِ. ثُمَّ إنَّهُ منَ الصَّعبِ معرفةُ منْ هوَ الطَّيِّبُ ومنْ هوَ اللَّئيمُ. البعضُ طيِّبٌ أحياناً ولئيمٌ أحياناً أخرَى. حتَّى العمَّةُ مالين تَبَيَّنَ أنَّها لمْ تكنْ لئيمةً تماماً. فقدْ أرْسلتْ بِطاقةَ مُعَايَدَةٍ لفيديلي معَ حُلولِ عيدِ الميلادِ. لكنْ حدثَ ذلكَ بعدَ مرورِ نصفِ سَنةٍ على اليومِ الدِّراسيِّ الأوَّلِ.

لمْ ترَ فيديلي ملكَ المخاطرِ في بعضِ الأيَّامِ. بَدَا وكأنَّهُ لا يُريدُها أنْ تلتقِي بِهِ كثيراً بعدَ الآنَ. خاصَّةً حينَ يكونُ في البيتِ ويُنادِيهِ أبناءُ الإسكافيِّ، أو عندَما تطلبُ العمَّةُ مايوتي منْهُ مُساعَدَتَها. أرادَ أنْ يلتقِي بفيديلي بينَ أغصانِ شجرةِ الزَّيزفونِ فقطْ. أَحْزَنَها ذلكَ لأنَّها تُريدُ أنْ تقْضِيَ أكبرَ قدرٍ مُمْكنٍ منَ الوقتِ بِصُحبةِ ملكِ المخاطرِ. كانتْ تُحبُّ مُشاهدتَهُ حينَ يُقطِّعَ الحَطبَ، وأرادتْ أنْ يجلسَ معَها

في المطبخِ عندَ العمَّةِ مايوتي، ويَتَحدَّثَ إليها حينَ تتناولُ طعامَها. كي تستطيعَ النَّظرَ إليهِ وسماعِهِ حينَ يتكلَّمُ. الشَّيءُ الوحيدُ الَّذي لمْ ترُدْهُ، هوَ أنْ يقْتربَ منْ والدةِ فيا. لمْ تُردْ أنْ يتساءلَ هيَ أمُّ مَنْ. لمْ تُردْ أنْ يسمَعها حينَ تتحدَّثُ إلى فيديلي وتبدو كأنَّها صاحبةُ القرارِ في كلِّ ما يتعلَّقُ بِها. ولمْ ترُدْ أنْ يُفكِّرَ في السِّرِّ الَّذي يتعلَّقُ بوالدِ فيا ووَالدتِها. لقدْ سَمِعَ في الحقيقةِ كلامَ بريتا عندَما قالتْ إنَّ عَزْفَ مقطوعَةِ العَنْدليبِ ليسَ بِالأمرِ المُعقَّدِ، حينَ يكونُ لدَى المرءِ أُمٌّ تعملُ كمُعَلِّمةِ عزفٍ على آلةِ البيانُو. لكنْ فيديلي ظنَّتَ أنَّهُ لمْ يُفكِّرْ بِما قالتْهُ بريتا. كما لمْ تَكْتَرِثْ هيَ لكلامِها حينَ تحدَّثتْ عنْ ملكِ المخاطرِ وقالت: ابنُ الإسكافيِّ. كانتْ فيديلي تعلمُ أنَّ بريتا خبيرةٌ في أمورِ النَّكدِ، وتحبُّ دائماً القيامَ بِذلكَ الدَّورِ. ثُمَّ إنَّ فيديلي وملكُ المخاطرِ تَبَادَلا وعْداً بِأنْ يَنْسَيا ما قالتْهُ بريتا. سَوفَ تَعلَمُ فيديلي دائماً أنَّ ملكَ المخاطرِ هوَ ملكُ المخاطرِ، ولذلكَ يستطيعُ أنْ يَعْلمَ هو أيضاً أنَّ فيديلي هيَ فيديلي. هكذا فكَّرتْ. رَغْمَ ذلكَ شَعرتْ أنَّ بدايةَ العامِ الدِّراسيِّ سَتكونُ مُرْعبةً.

إنْ التَحَقَ ملكُ المخاطرِ بِصفٍّ أعلَى منْ صفِّها سيكونُ كلُّ شيءٍ على ما يُرامُ. بل يكْفِي ألَّا يجْلِسا في غرفةِ صفٍ واحدةٍ. لكنَّ مدرسةَ القريةِ صغيرةٌ وغُرفُ الصُّفوفِ فيها ليستْ كثيرةً لجعلِ تلاميذَ كلِّ صَفٍّ يجْلِسونَ في غرفةٍ خاصَّةٍ بِهم. الصَّفُ الرَّابعُ والصَّفُ الخامسُ مثلاً يَتَقاسَمانِ غرفةً واحدةً. كذلكَ الصَّفُ السَّادسُ والسَّابعُ. إنْ

ناداها الآخرونَ باسمِ فيا، سوفَ يسْمعُ ملكُ المخاطرِ ذلكَ. وسوفَ يسْمعُ ذلكَ أثناءَ الفُرَصِ أيضاً. سوفَ يُنادُونَها عندَها «فيا – بلينغ – بلونغ – باترشون» كعادتِهم.

أرْهقَ التَّفكيرُ في تلكَ الأمورِ فيديلي إلى درجةٍ جعلتْها تفْقِدُ الرَّغبةَ في العودةِ إلى المدرسةِ مرَّةً أخرى. تريدُ أنْ تتمدَّدَ فوقَ سريرِها، وتقولَ إنَّها مريضةٌ في أوَّلِ أيَّامِ المدرسةِ، لكنَّ ذلكَ يعْنِي أنَّ عليها أنْ تبْقَى مريضةً طوالَ الفصلِ الدِّراسيِّ أيضاً. لمْ تكنْ تَعْلمُ كيفَ يجبُ أنْ تتصرَّفَ. وستبدأُ والدتُها بالعزفِ أثناءَ صلواتِ الصَّباحِ، وتَعليمِ الموسيقَى في دروسٍ خصوصيَّةٍ، كما اقْترحَ مديرُ مكتبِ البريدِ سابقاً. عَدَمُ سماعِ ملكِ المخاطرِ عنْ والدةِ فيا صارَ أمراً مستحيلاً!!

في اليومِ الأوَّلِ للمدرسةِ ارْتَدتْ فيا ثوبَها الأحْمرَ، وسارتْ إلى المدرسةِ برفقةِ والدتِهَا. بَحَثَتْ فيديلي عنْ ملكِ المخاطرِ ورأتْهُ عندَ بوَّابةِ بيتِ الإسكافيِّ، لكنَّهُ تَباطأَ ولمْ يلحقْ بِها. سارَ مع إيفور وتوري وسيري ونانا، لأنَّ عليهِم البَدْءُ في العامِ الدِّراسيِّ هم أيضاً.

سَيبدأُ أولادُ الإسكافيِّ جميعاً في المدرسةِ ما عدا هنينغ، لأنَّهُ كبيرٌ وحصلَ على عملٍ عندَ صاحبِ الدُّكَّانِ. ملكُ المخاطرِ يسكُنُ في بيتِ الإسكافيِّ الآنَ، لأنَّهُ لمْ يَعُدْ قادراً على السَّكنِ في السِّيركِ. لذلكَ كانَ لا بُدَّ منْ أنْ يُرافِقَهُ أبناءُ الإسكافيِّ.

– أَشْتاقُ للعودةِ إلى السِّيركِ أحياناً. قالَ مرَّةً بينَ أغصانِ شجرةِ الزَّيزفونِ. ما أَرْوَعَ ترويضَ الأُسُودِ والنُّمورِ، والحبالِ والأراجيحِ المُعلَّقةِ

في الهواءِ الَّتي يستطيعُ المرءُ القفزَ بينَها كلَّما أرادَ ذلكَ. لِسُوءِ الحظِّ لمْ أكنْ موجوداً يومَ زيارتِكِ للسِّيركِ! لو كنتُ هناكَ لرأيتِ ما لمْ تريْهِ منْ قبلُ! لو كانَ ذلكَ الفيلُ المُسنُّ هُنا الآنَ لسرْتُ بِهِ في جميعِ أنحاءِ القريةِ وجعلتُهُ يقفُ على رأسِهِ في حوضِ زهورِ مُعلِّمة المدرسةِ!

وكم أحبَّتْ فيديلي سماعَ حديثِهِ ذاكَ.

– احْكِ لي حكايةَ النُّزهةِ مع الفيلِ، طلبتْ منْهُ.

بعدَ ذلكَ أرادَ ملكُ المخاطرِ أنْ تُحدِّثَهُ عنْ يومِها الأخْرَسِ. لقد تَبادَلا الحكاياتِ مرَّاتٍ كثيرةً حتَّى الآنَ، وفي كلِّ مرَّةٍ تزدادُ تلك الحِكَايَاتُ تشْويقاً.

لكنْ ها هيَ الآنَ فيديلي تكادُ أنْ تصلَ مبنَى المدرسةِ برفقةِ والدةِ فيا. الطَّريقُ إلى هناكَ قصيرٌ للغايَة. دخلتْ فيديلي غرفةَ صفِّها حيثُ كانتْ تجْلسُ سيغبريت وبريتا صاحبة الجَدائِلِ. وكانَ هناكَ أولي غلادر أيضاً وبقيَّةُ تلاميذِ الصَّفِ.

– انْظروا، لقدْ وصلتْ فيا – بلينغ – بلونغ! قالتْ سيغبريت.

لكنَّها ما لَبِثَتْ أنْ صَمتتْ، لأنَّ تلميذينِ جديدين دخلا الصَّفَ؛ بنتٌ وولدٌ. نظرَ الجميعُ إليهِما ونسَوا الحديثَ برمَّتِهِ. لا بُدَّ منْ أنْ يتعرَّفوُا إليهِما.

اسْتدارتْ فيديلي ورأتْ نانا وملكَ المخاطرِ. أصابَها إرْهاقٌ مفاجئٌ جعلَها تَهبِطُ جالسةً في مكانِها القديمِ، على الرَّغمِ منْ أنَّها لمْ تعلمْ إنْ كانَ سَيُسْمَحُ لها بِالجُلوسِ في المكانِ ذاتِهِ هذهِ السَّنةَ أم لا.

– قِفوُا جميعاً يا أطفال. علينا أنْ نَتبادَلَ التَّحيةَ. قالتْ مُعلِّمةُ المدرسةِ عندَ دُخولِها غرفةَ الصَّفِ.

ثُمَّ وقَفوُا هناكَ جميعاً. نظرتِ المُعلِّمةُ إلى أوراقِها، وأمرتِ الجميعَ أنْ يجلسوا في أماكِنِهِم القديمةِ. وطلبتْ من التِّلميذينِ الجَديدينِ أنْ يجْلسا على مقعدٍ بِالقُربِ منْ فيديلي، وبِالطَّبعِ جَلَسَ ملكُ المخاطِرِ في المكانِ الأقْربِ إليْها، كي لا يستطيعَ تفاديَ سماعَ الاسمِ الَّذي تُناديها بِهِ المُعلِّمةُ، عندَما يحينُ وقتُ تَسْجيلِ الحضورِ لاحقاً. لَمْ ينْظرْ ملكُ المخاطِرِ باتِّجاهِ فيديلي، ولمْ تنْظرْ هيَ نحوَهُ.

– سَنَبْدأُ بِغناءِ التَّراتيلِ ثُمَّ نقُومُ بِقراءةِ نصٍّ جميلٍ ونُسَجِّلُ الحضورَ والغيابَ، وبعدَ ذلكَ سَأقومُ بِتوزيعِ البرنامجِ الدِّراسيِّ ونَكونُ عندَها قدْ فعلْنا كلَّ ما علينا لِهذا اليومِ. قالتِ المُعلِّمةُ.

– إنْ كانَ الأمرُ كذلكَ، أُريدُ أنْ أقرأَ القصيدةَ الَّتي لَمْ أتمكَّنْ منْ قراءتِها عندَ احتفالِنا بِانتِهاءِ العامِ الدِّراسيِّ الماضِي. قالَ أولي غلادر ووافقتِ المُعلِّمةُ على ذلكَ.

– دربُ التَّبانةِ للشَّاعرِ زكريا توبيليوس. بدأَ أولي تِلاوتَهُ:

« والآنَ انْطفأَ المِصباحُ فصارَ اللَّيلُ ساكناً، وسماؤُهُ صافيةٌ.
والآنَ تَحْضرُ الذِّكرياتُ، منْ أيَّامٍ انْقضتْ، منْ دُهورٍ ماضيةٍ.
وتُحلِّقُ حكاياتٌ طيِّبةٌ كخيوطٍ منَ النُّورِ في زُرْقةِ السَّماءِ.
فَيرقُّ القلبُ، ويْمتلِئُهُ الشَّجنُ ويغْمرُهُ الدِّفءُ.

تُحدّقُ النُّجومُ السَّاطعةُ منْ عَلِ إلى بريقِ اللَّيلِ الشَّتويِّ
باسمةً، فرحةً، كأنَّه لا موتَ على هذهِ الأرضِ.
هل تفهمُ لُغتَها الصَّامتةَ؟ ما زالَ لديَّ حكايةٌ
أخْبرتنِي بِها النُّجومُ، فهل ترغبُ بِسماعِها؟»

– لا أرغبُ في سماعِها. همسَ كال أريك.
– اصْمُتْ يا كارل أريك. قالتِ المُعلِّمةُ.

«كانَ يسْكُنُ نجمةً بعيدةً، في بَذَخِ سماءِ المساءِ
وسكنتْ هيَ شمساً أُخرى، في بُقعةٍ أُخرى منْ بِقاعِ الكونِ.
اسمُها سلامةً، واسمُهُ زولاميث.
وفي قلبِ كلٍّ منْهُما حُبٌّ عظيمٌ، للكونِ وللآخرِ.»

يا للسَّذاجةِ! همسَ كارل أريك.

«كانا من سكَّانِ الأرضِ يوماً، ومنذُ ذلكَ الحينِ يَتّقدُ الحُبُّ بينَهُما.
لكنَّهما افْترقا، عندَما حلَّ الليلُ والموتُ والحُزْنُ والخَطيئةُ.
ثُمَّ نَمتْ لهُما أجْنحةٌ بيضاءُ في سَكينةِ الموتِ.
وحُكِمَ عليهِما بالنَّفيِّ، كلٌّ إلى نجمتِهِ البعيدةِ.»

– يا وَيلِي! تأوَّهَ كارل أريك.

– علينا أنْ نسْتمعَ جيِّداً، ما دامَ أولي قد كلَّفَ نفسَهُ عناءَ حِفظِ قصيدةٍ طويلةٍ جميلةٍ كهذهِ! إذا كانَ كارل أريك لا يُحبُّ الشِّعرَ، يستطيعُ أنْ يُغادرَ الصَّفَ أثناءَ قراءتِها. قالتِ المُعلِّمةُ.

– أُريدُ أنْ أبقَى هنا. تَمْتَمَ كارل أريك.

ظلَّتْ فيديلي صامتةً في مكانِها. شعرتْ أنَّ قِراءةَ أولي للقصيدةِ أمرٌ مريحٌ. كلَّما طالتِ القصيدةُ كانَ ذلكَ أفضلَ. هذا يعْنِي أنَّ وقتاً طويلاً سَيمرُّ قبلَ أنْ يسمعَ ملكُ المخاطرِ أنَّهم ينادونَها باسمِ «فيا – بلينغ – بلونغ.» لمْ تجرؤْ على اسْتراقِ النَّظرِ إليهِ. ظلَّتْ تُحدِّقُ في أولي الَّذي يفْرُكُ أصابعَهُ.

«لكنَّ أحدَهُما لمْ يكُفَّ عنِ التَّفكيرِ بِالآخرِ،
كلٌّ في بيتِهِ الأزرقِ العالِي؛
وبيْنَهُما امْتدَّ الفضاءُ منْ بريقٍ وشُموسٍ فرَّقتْ بيْنَهُما.
عوالمُ لا تُحْصَى، معجزاتٌ صنعتْها يدُ الخالقِ بِحكْمتِها
امتدَّت بين سلامة وزولاميث كالحريقِ.

وفي إحدى الأُمْسياتِ، عندَما أضْنَى الشَّوقُ زولاميث
شرعَ في بناءِ جسرٍ منَ النُّورِ، يمتدُّ منْ عالمٍ إلى آخرَ
كذلكَ فعلتْ سلامةُ الَّتي بدأتْ عندَ حافةِ شمسِها

في بناءِ جسرٍ منْ قُطْبٍ إلى قُطْبِ .

ألفُ عامٍ بَنى كلٌّ منْهما، بإيمانٍ لا يعرفُ الشَّقاءَ .
وهكذا بُنِيَتْ دربُ التبانة، جِسْرٌ مَنَ النُّجومِ السَّاطعةِ
تَحْتضنُ أعلى قناطرِ السَّماءِ ودائرةَ البروجِ
وصارتْ صِلةَ الوصْلِ بينَ شاطئٍ وشاطئٍ،
فوقَ مُحيطٍ مَنَ الفضاءِ .
دبَّ الذُّعرُ في . . .»

– حسناً يا أولي . قالتِ المُعلِّمةُ .
– دبَّ الذُّعرُ في . . .
– هل نَسيتَ البقيَّةَ؟
– لا، سَأتذكَّرُها في الحالِ . أحتاجُ فقط لبعضِ التَّفكيرِ .

« دبَّ الذُّعرُ في الملائكةِ فَهُرعتْ هاربةً إلى اللهِ:
(انظرْ، أيها الرَّبُ، لِما بَناهُ كلٌّ منِ سلامةَ وزولاميث)
لكنَّ الرَّبَ ابتسمَ، وسَطعَ شعاعٌ مَنَ النُّورِ وانْتشرَ:
(ليسَ منْ عادتي أنْ أهدِمَ، ما بنتْهُ يدُ الحُبِّ في عالمي)

وعندَما انْتهى كلٌّ منْ سلامة وزولاميث مَنَ البِناءِ

راحا يعدُوانِ كلٌّ إلى حُضْنِ الآخرِ، فظهرَ نجمٌ ساطعٌ بلْ أكثرُ نجومِ السَّماءِ وضوحاً، وسارَ في إثرِهما»

– بعدَ ألفِ عامٍ منَ الحُزنِ.... قالَ أولي.

– تفتّحتْ زهورُ القلبِ. قالتِ المُعلِّمةُ.

– لا، اذْهبْ واسْتحمَّ. قالَ كارل أريك، وضَحِكَ الأولادُ الآخرونَ.

– أنْسَى دائماً البيتَ الأخيرَ منْ هذهِ القصيدةِ. قالَ أولي.

– سوفَ تتذكَّرُهُ. قالتِ المُعلِّمةُ. لقد حَفِظْتَ القصيدةَ كلَّها وسوفَ تتذكَّرُ البيتَ الأخيرَ. أعْلمُ أنَّكَ تستطيعُ تذكَّرَهُ!

– أُمِّي هيَ الَّتي طلبَتْ منِّي أنْ أتْلوَها. قالَ أولي.

– هيَّا، اقْرأها إذاً. قالتِ المُعلِّمةُ. إنَّهُ اجْتهادٌ عظيمٌ أنْ تَحْفظَ كلَّ هذا عنْ ظَهرِ قلبٍ!

تنَحْنَحَ أولي، ورمقَهُ كارل أريك بنظرةٍ سريعةٍ. ظلَّتْ فيديلي مُسمَّرةً في مكانِها، وفكَّرتْ بأنَّهُ البيتُ الأخيرُ منَ القصيدةِ. اسْتدارَ عندَها ملكُ المخاطرِ ونظرَ إلى فيديلي. نظرَتْ إليه أيضاً لكنَّها رأتْ أنَّهُ يجْلسُ، وكأنَّهُ تجَمَّدَ في مكانِهِ، لذلكَ لمْ تستطعْ فَهمَ ما كانَ يشْغلُ فكرَهُ. كانَ لديْها رغبةٌ واحدةٌ وهيَ أنْ تطْلبَ إذْناً بمُغادرةِ الصَّفِ كي تَهرُبَ إلى البيتِ. لكنَّ أولي بدأَ بتلاوةِ قصيدتِهِ مُجَّدداً.

– وكلُّ ما على هذهِ الأرضِ المظلمةِ...ليسَ أنا منْ ألَّفَ هذهِ القصيدةِ! قالَ.

– لا، إنَّنا نعلمُ ذلكَ! تابعْ القراءةَ يا أولي!

«وكلُّ ما على هذهِ الأرضِ المظلمةِ من حُبٍّ وحنانٍ وفرحٍ
فرَّقتْهُ الخطيئةُ والحُزنُ والعذابُ والموتُ وظُلمةُ اللَّيلِ
لا يسعُهُ سِوى أنْ يَبْنِيَ لذاتِهِ جسراً ما بينَ عالمِ وعالمِ
ولَنكنْ على يقينٍ منْ أنَّ كلَّ حُبٍّ سيصلُ إلى حُبِّهِ، وأنَّ شوقَهُ سَيهدأُ ويرتوي!»

– شكراً يا أولي. قالتِ المُعلِّمةُ. إنَّها قصيدةٌ رائعةٌ حتَّى لو لمْ يفقْهْ كارل إيريك منْها شيئاً. سَوفَ تُحبُّونَها جميعاً عندَما تكْبُرونَ!

– إنَّني أُحبُّها منذُ الآنَ. قالتْ سيغبريت.

– سأقومُ بِقراءةِ الأسماءِ الآنَ كي نُسجِّلَ الحضورَ. قالتِ المُعلِّمةُ. على كلِّ منْ يسمعُ اسمَهُ أنْ يقفَ ويقولَ «نعم» بِصوْتٍ واضحٍ. سَأقرأُ الأسماءَ حَسَبَ تَرْتيبِ الأبجديَّةِ، سأقرأُ أسماءَ التَّلاميذِ الجددِ في النِّهايةِ، كي نُقرِّرَ أينَ سَيجلسُ كلٌّ منْهُم. وسوفَ يَحْتَفِظُ الآخرونَ بِأماكنِهم الحاليَّةِ.

ألف: سيغبريت أندرشون؟

– نعم!

– كارل أريك أبلكفيست؟

– نعم!

لمْ تستمعْ فيديلي إلى الأسماءِ الَّتي قرَأتْها المُعلِّمةُ. لقد فاتَ الأوانُ. لمْ يَعدْ بِإمكانِها مُغادرةُ الصَّفِ وحينَ تسمعُ اسمَها، عليها أنْ تُجيبَ. أَحْكمتْ قبْضتَها على الحجرِ الأبيضِ في جيبِها.

– إينا فنديلا صوفيا باترشون؟ قالتِ المُعلِّمةُ أخيراً.

– نعمْ. قالتْ فيا ووقفتْ.

ثُمَّ عادَتْ وجلَستْ ونظرتْ إلى ملكِ المخاطرِ. لكنَّهُ لمْ ينظرْ إليها. بَدا وكأنَّ الجّديةَ حوّلتْهُ إلى حجرٍ، فأُصيبَ بِالصَّمِ والعَمَى، وأنَّ كلَّ ما يدورُ في رأسِهِ، هو أفكارٌ تتعلَّقُ بِالموتِ.

– نانا كولمودين؟

– نعمْ. قالتْ نانا ووقَفَتْ.

في تلكَ اللَّحظةِ بِالذَّاتِ أدْرَكَت فيا أنَّ ملكَ المخاطرِ لا يريدُ البَوحَ باسمِهِ. أخَذتِ الحجرَ الأبيضَ منْ جيبِها، ومالتْ بِجسمِها فوقَ الممرِّ الفاصلِ بينَ مَقْعديهِما وناولتْهُ إيَّاهُ. أخذَ ملكُ المخاطرِ الحجرَ منْ يدِها.

– تَظاهَرْ بِأنَّ اسمَكَ يُشْبِهُ أسماءَ أولادِ الإسكافيِّ، مهما اخْتاروا لكَ منِ اسمٍ. همستْ فيا. تماماً كما أتَظاهرُ أنا بِأنَّني أُدْعَى باترشون!

– هامبوس كولمودين؟ قالتِ المُعلِّمةُ.

– أجلْ، هذا أنا. قالَ ملكُ المخاطرِ ووقفَ منْ مكانِهِ ثُمَّ رمَى كارل أريك بِقطعةٍ منَ الطَّبْشورِ.

– لسنا مُعْتادينَ على هذهِ التَّصرفاتِ في مدرستِنا. ألستَ أنتَ منْ

ربطَ الفيلَ في حديقتِي؟ قالتِ المُعلِّمةُ.

– بلى، أنا فعلتُ ذلكَ. لكنَّنِي لنْ أفْعلَها ثانيةً. قالَ هامبوس ثُمَّ ضَحِكَ.

ضَحِكتْ فيا أيضاً. ضَحِكتْ حتَّى اضْطُرّتْ إلى تَغْطيةِ وجهِها بيديْها.

– خُذِي الحجرَ، إنَّهُ مِلكُنا سَويّاً. همسَ هامبوس في أُذُنِها.

ثُمَّ تستمرُّ أحداثُ الحكايةِ عنْ فيا وهامبوس لاحقاً. لكنَّها حكايةٌ مختلفةٌ بِالطَّبعِ!

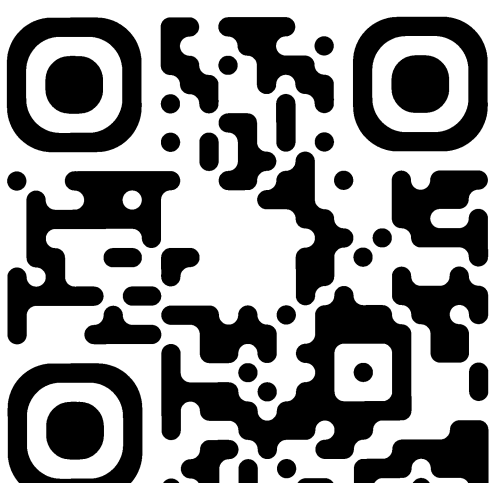

telegram @yasmeenbook